الابداع العالمي

من قصص دينو بوتزاتي

ترجمة: حسن رفعت فرغل

مراجعة: د. حكاشيا ثابت

د. محب [illegible]





الاخراج الفنى

راجيه حسين

من قصص دينو بوتزاتي

ترجمة : حسين رفعت فرغل

١ ـ سبعة طوابق

بعد يوم سفر فى القطار وصل « جوزيبى كورتى » ذات صباح من مارس الى المدينة التى كانت تقع فيها دار العلاج الشهيرة كان يشعر بحمى طفيفة لكنه أراد مع ذلك أن يقطع الطريق بين المحطة والمستشفى راجلا ، وهو يحمل حقيبته الصغيرة ٠

ورغم أن وعكة « جوزيبى كورتى » كانت خفيفة جدا فى بدايتها الا أنهم نصحوه بالتوجه الى المصحة المشهورة ، التى لم تكن تعالج سوى ذلك المرض ، مما يضمن مهارة الأطباء المميزة ، والكفاءة العالية ، والتنظيم الفعال للتجهيزات

تملك « جوزيبى كورتى » انطباع طيب للغاية عندما تبينها من بعيد ، وقد عرفها لأنه كان قد رأى صورتها فى احدى النشرات الاعلانية كان المبنى الأبيض ذو سبعة الطوابق مخططا بتداخلات متساوية تضفى عليه طابع فندق رشيق كان يحيط به من كافة الجهـــات سور من الأشجار العالية

وضع « جوزيبى كورتى » بعد فحص طبى مبدئى فى حجرة بهيجة فى الطابق السابع والأخير انتظارا لفحص أكثر دقة كان الأثاث ذا

لون فاتح وأنيق وكذلك الستائر ، كانت المقاعد من الخشب ، والوسائد مكسوة بأقمشة ذات ألوان عديدة وكانت الرؤية تمتد على واحد من أجمل أحياء المدينة كان كل شيء هادئا أليفا وباعثا على السكينة

دخل « جوزيبى كورتى » الفراش على الفور ، وبعد أن أضاء المصباح خلف السرير ، بدأ فى قراءة كتاب كان قد جاء به معه بعد قليل دخلت احدى الممرضات لتسأله ان كان يرغب فى شيء ٠

لم يكن « جوزيبى كورتى » يرغب فى شيء لكنه شرع بسرور يجذب أطراف الحديث مع الفتاة ، طالبا بعض المعلومات عن دار العلاج وهكذا عرف الخاصية الغريبة لهذه المستشفى كان المرضى موزعين من طابق لطابق حسب حالة الخطورة السابع أى الأخير كان للحالات الخفيفة جدا ٠ السادس كان مخصصا للمرضى الذين ليست حالتهم خطرة ولكنها كذلك لا تدعو الى الاهمال فى الخامس كانت تعالج الأمراض الأكثر خطورة ، وهكذا بالتتابع من طابق لطابق فى الثانى كان المرضى ذوى الحالات الخطيرة جدا يوجدون به ٠ وفي الأول كان أولئك الذين لا يشفع من أجلهم الأمل

كان هذا النظام الفريد ، فضلا عن أنه يعمل على الاسراع فى الخدمة بشكل كبير يحول دون احتمال انزعاج أحد مرضى الحالات الخفيفة بسبب وجوده بالقرب من زميل يحتضر ، ويضمن فى كل طابق جوا متجانسا ومن ناحية أخرى فان العلاج يمكن أن يكون متدرجا هكذا بطريقة مضبوطة

وعلى ذلك فقد كان المرضى مقسمين الى سبع فئات متوالية كان كل طابق كعالم صغير فى ذاته ، بقواعده المتميزة بتقاليده الخاصة وحيث ان كل قطاع كان يعهد به الى طبيب مختلف ، فقد ظهرت اختلافات فى طرق العلاج وهى وان كانت محدودة لكنها بينة ، وذلك برغم أن المدير العام قد طبع المنشأة باتجاه أساسى وحيد

عندما خرجت الممرضة وبدا « لجوزيبى كورتى » كما لو أن الحمى قد تلاشت ، ذهب الى النافذة ونظر للخارج لا من أجل مشاهدة منظر المدينة ، والتى كانت جديدة بالنسبة له ، ولكن على أمل أن يتبين من خلال النوافذ مرضى آخرين من قاطنى الأدوار السفلى كان تكوين المبنى ، ذو الفتحات الكبيرة يسمح بذلك النوع من الملاحظة ٠ ركز « جوزيبى كورتى » انتباهه بالذات على نوافذ الدور الأول التى كانت تبدو بعيدة جدا

والتى كان يمكنه أن يلمحها بميل لكنه لم يستطع أن يرى شيئا ذا بال كانت فى أغلبها موصدة تماما بالمصاريع الرمادية المنزلقة

لاحظ « كورتى » أن رجلا يطل من نافذة الى جانب نافذته تبادل الاثنان النظرات طويلا فى صمت وفى اعجاب متزايد لكنهما لم يعرفا كيف يكسران الصمت أخيرا تشجع « جوزيبى كورتى » وقال « وأيضا سيادتك هنا منذ قليل ؟ »

فقال الآخر « أوه لا ، اننى هنا منذ شهرين » سكت عدة لحظات ثم أضاف لمجرد أن يستطرد فى المحادثة « كنت أنظر لأسفل حتى أرى أخى »

« أخوك ؟ »

فأفصح الغريب قائلا « نعم لقد دخلنا سويا انها مسألة غريبة حقا لكن حالته أخذت تسوء ، تصور أنه الآن فى الرابع »

« رابع ماذا ؟ »

« الدور الرابع » هكذا شرح له الرجل وقد نطق الكلمتين بتعبير يمزج بين الاشفاق والهلع حتى أن « جوزيبى كورتى » بقى وقد انتابه شىء من الذعر

وسأله بحذر « وهل حالات الدور الرابع خطيرة الى هذا الحد ؟ »

« ليس تماما(١) » ـ قالها الآخر وهو يهز رأسه فى بطء ـ « ليست حالات ميئوسا منها لكنها على كل حال لا تدعو لكثير (٢) من التفاؤل »

ثم سأله « كورتى » مرة أخرى بعدم اكتراث يتسم بالمزاح كمن يتحدث فى أمور مأسوية لا تتعلق به « ولو كان من بالدور الرابع بهذه الدرجة من الخطورة ، فمن يضعون فى الأول اذن ؟ »

« أوه » فى الأول يوجد المحتضرون بالذات هناك لم يعد للأطباء ما يفعلون الكاهن فقط هو الذى يعمل وطبيعى

---

(١) وردت بالنص oh Dio والمعنى الحرفى لها هو « يا الهى » ولكن المعنى الذى يقصده الكاتب هو ليس معنى التعجب Senso Esclamativo انما معنى الشك Senso dubitativo وهكذا يمكن ترجمتها اما ب « ياربى » او « يعنى » او « ليس تماما »

(٢) وردت فى النص C'è comunque poco da stare allegri ومعناها الحرفى « ولكن على كل حال ثمة قليل يجعلهم مبتهجين » ولكن المقصود ليس القليل نفسه il poco بل المقصود هو الأسباب التى تفضى للتفاؤل

« لكن يوجد عدد قليل فى الدور الأول » هكذا قاطعه « جوزيبى كورتى » كما لو كان يتلهف على أن يحصل على ما يؤيد حديثه فكل الحجرات تقريبا مغلقة هناك »

« يوجد عدد قليل الآن ، لكنهم كانوا كثيرين هذا الصباح » هكذا أجاب الرجل المجهول بابتسامة لماحة (١) ثم أضاف « حيثما النوافذ منكسة هناك مات أحدهم منذ قليل(٢) ثم ألا ترى أن مصاريع نوافذ الأدوار الأخرى مفتوحة كلها ؟ لكن عفوا » ثم استطرد وهو ينسحب ببطء « أعتقد أن الجو قد بدأ فى البرودة وسأعود الى الفراش ، تمنياتى، تمنياتى »

اختفى الرجل من مسند النافذة التى أغلقت بقوة ثم شوهد فى الداخل نور يضاء ظل « كورتى » بلا حراك عند نافذته يحملق فى مصاريع الدور الأول المسدلة كان يحملق فيها بعمق سقيم وهو يحاول أن يتخيل الأسرار الجنائزية للدور الأول المرعب ذاك حيث يعزل المرضى حتى يموتوا ، وكان يشعر بارتياح وهو يعلم أنه بعيد عنه الى هذا الحد وفى تلك الأثناء كانت ظلال المساء تهبط على المدينة ونوافذ المصحة الألف تضاء واحدة وراء واحدة حتى أنها تبدو(٣) من بعيد وكأنها قصر به احتفال أما فى الطابق الأول فقط ـ هناك فى قاع الهاوية ـ فقد بقت عشرات وعشرات النوافذ عمياء معتمة

طمأنت « جوزيبى كورتى » نتيجة الفحص الطبى العام ولأنه ميال فى العادة لأن يتوقع أسوأ الأمور فانه كان قد استعد بالفعل فى قرارة نفســه لتقبل قرار قاس ولم يكن ليفاجأ لو أن الطبيب أخبره بوجوب

---

(١) وردت بالنص un sottile sorriso ومعناها المباشر « ابتسامة رقيقة » لكن لكلمة sottile معنى مجازى يخص العقل الفطن ومظاهر الذكاء وقد استعملها الكاتب هنا بمعنى « ابتسامة سيئة النية او ابتسامة على شيء من المكر وربما يكون من الأفضل الأخذ بصفة « لماحة » للابتسامة لما فيها من شمول لهذا كله او تترجم هكذا « ابتسامة ذات معنى »

(٢) وردت بالنص del resto « ومعناها فيما تبقى من قول أو من الوجهة الأخرى » غير أنها قد تحمل فى معناها شيئا من المعارضة leggermente avversativo وربما تؤدى كلمة « ثم » هذا المعنى بالعربية اكثر من غيرها من الكلمات

(٣) جاءت بالنص si sarebbe potuto pensare والمعنى الحرفى هو « ربما كان من المستطاع أن يظن » او « قد ظان » وربما تكون الترجمة التى وردت باعلى انسب لأسلوب الكاتب

نقله الى الدور الأسفل كانت الحمى فى الواقع لا تنذر بالاختفاء بالرغم من أن الحالة العامة بقيت طيبة الا أن الطبيب وجه اليه كلمات ودية ومشجعة فقد قال له ان هناك بداية مرض ولكنه خفيف جدا ومن الجائز خلال أسبوعين أو ثلاثة أن ينتهى كل شيء

عند هذه النقطة سأله « جوزيبى كورتى » فى قلق « اذن سأبقى فى الدور السابع ؟ »

« طبعا طبعا ! » أجابه الطبيب وهو يربت فى ود بيده على كتفه وسأله وهو يضحك وكأنه يشير الى أكثر الاحتمالات استحالة « وأين كنت تظن أنك ينبغى أن تذهب ؟ الى الرابع مثلا ؟ »

« هذا أفضل ، هذا أفضل » قالها « كورتى » وأضاف « تعرف ؟ عندما يكون الانسان مريضا يتخيل دائما الأسوأ »

بقى « جوزيبى كورتى » بالفعل فى الحجرة التى خصصت له أصلا تعلم أن يتعرف ببعض زملائه فى المستشفى خلال فترات بعد الظهر النادرة التى كان يسمح له فيها بالنهوض تابع العلاج بكل دقة وبذل كل جهده حتى يبرأ بسرعة ، ولكن يبدو بالرغم من ذلك أن أحواله الصحية قد بقيت كما هى

كانت قد مرت حوالى عشرة أيام عندما حضرت رئيسة ممرضات الدور السابع الى « جوزيبى كورتى » وكانت تود أن تطلب منه معروفا بصورة ودية تماما فى اليوم التالى كان مفروضا أن تدخل احـــدى السيدات المستشفى ومعها طفلان، كانت هناك حجرتان شاغرتان ، بجوار حجرته تماما لكن كانت تعوزهم الثالثة ألا يوافق السيد « كورتى » على أن ينتقل الى حجرة أخرى مريحة مثل حجرته ؟

لم يبد « جوزيبى كورتى » بالطبع أى اعتراض ، فلا فرق بين حجرة وأخرى بالنسبة له ، بل ربما يصادف هناك ممرضة أكثر حسنا

أشكرك من قلبى » قالتها عندئذ رئيسة الممرضات مع انحناءة خفيفة « اعترف أنه يدهشنى مثل هذا التصرف الرقيق الشهم من شخص مثلك بعد ساعة لو لم يكن لديك مانع فسوف نجرى عملية النقل على فكرة ينبغى أن تنزل الى الدور الأسفل » ـ أضافت ذلك

بصوت ملطف(١) كما لو كان الأمر يتعلق بنقطة فرعية لا محل للاهتمام بها على الاطلاق ـ « للأسف فى هذا الطابق لا توجد حجرات أخرى شاغرة ، لكنها اقامة مؤقتة تماما » . وعندما رأت أن « كورتى » قد نهض جالسا فجأة ، وشرع يفتح فاه محتجا ، أسرعت هى فى تحديد الموقف « اقامة مؤقتة تماما وبمجرد أن تخلو احدى الحجرات ، واعتقد أن ذلك سوف يكون خلال يومين أو ثلاثة ، فانك تستطيع أن تعود الى أعلى »

« أعترف لك » ـ قالها « جوزيبى كورتى » وهو يبتسم ، كى يظهر أنه ليس بطفل « اعترف لك أن نقلا من هذا النوع لا يعجبنى »

« لكن هذا النقل ليس لأى سبب طبى ، أفهم جيدا ما تقصد أن تقوله كل ما فى الأمر أنك تسدى خدمة لهذه السيدة التى تفضل ألا تنفصل عن طفليها لا قدر الله » ثم أضافت ضاحـــكة باشراق « لا ينبغى أبدا أن يجول بخاطرك أن هناك أسباب أخرى »

قال « جوزيبى كورتى » « فليكن لكن يبدو لى أن ذلك يحمل سوء الطالع »

هكذا انتقل « كورتى » الى الدور السادس وبرغم أنه كان مقتنعا أن هذا الانتقال لا يدل على تفاقم المرض ، فانه كان يشعر بما يعكر صفوه عندما تراوده فكرة أن بينه وبين العالم العادى عالم الناس الأصحاء قد وضع عائق كامل ففى الدور السابع ميناء الوصول ، كان النزلاء على اتصال بشكل ما بجماعة البشر بل كان يمـــكن اعتباره امتدادا للعالم المألوف أما فى السادس فيبدأ صلب جوهر المستشفى فعقلية الأطباء ، والممرضات والمرضى أنفسهم مختلفة الى حد ما فمن المعترف به أنه فى ذلك الطابق كان يتم استقبال مرضى بالفعل ، حتى وان كانت حالاتهم ليست بخطيرة تبين « جوزيبى كورتى » من أحاديثه الأولى التى أجراها مع جيران حجرته ومع العاملين فى المستشفى ومع الأطباء كيف أنهم فى ذلك القسم يعتبرون الدور السابع كما لو كان لهوا مخصصا للمرضى الهواة المصابين بالوسوسة ليس الا واعتبار من السادس فقط فانه ، كما يقال تأتى البداية الحقيقية

على كل حال لقد فهم « جوزيبى كورتى » أنه كى يعود الى أعلى

---

(١) وردت بالنص voce attenuata والمعنى الأصلى صوت هادىء ولكن الموقف هنا يجعل من كلمة ملطف أكثر استقامة مع المعنى حيث ان الممرضة تخفض من صبرتها بقصد تخفيف رد الفعل المحتمل انبعاثه من « كورتى » .

الى المكان الذى كان يخصــه طبقا لطبيعة مرضــه ، فانه ســيواجه بعض المصاعب بكل تأكيد فلكى يعود للدور السابع عليه أن يحرك جهازا معقدا ، حتى وان كان بجهد(١) بسيط ، فلم يكن هناك شك فى أنه ان لم يتكلم فانه لن يفكر أحد فى نقله من جديد الى الدور العلوى الخاص « بالأصحاء ـ تقريبا(٢) »

لذلك صمم « جوزيبى كورتى » الا يتساهل فى حقوقه والا يستسلم لاغواءات التعود وكان حريصا جدا على أن يحدد لزملائه فى القسم أنه موجود معهم فقط لأيام قلائل ، وأنه هو الذى أراد النزول طابقا ليقدم معروفا لسيدة ، وبمجرد أن تخلو حجرة فسيعود لأعلى كان الآخرون يسمعونه بلا اهتمام ويومئون رؤوسهم ـ بقليل من الاقتناع

وجد اقتناع « جوزيبى كورتى » تأكيدا كاملا فى حــــكم الطبيب الجديد فقد سلم هو أيضا بأن « جوزيبى كورتى » كان يستطيع تماما أن يحول الى الدور السابع فحالته خفيفة بشكل مطلق ـ وكان ينطــق كلمات وصفه هذا ضاغطا على مقاطعها حتى يظهر أهمية ما يقول ـ لكنه فى النهاية كان يرى أن « جوزيبى كورتى » ربما يعالج بطريقة أفضل فى الدور السادس

« لا داعى لأن نبدأ بهذه الحكايات » هكذا قاطعه المريض عند هذه النقطة بحزم وأضاف « لقد قلت لى ان الدور السابع هو مكانى ، وأريد أن أعود اليه »

أجابه الطبيب « ان أحدا لم يقل العكس لقد كانت كلماتى نصيحة خالصة ليست من دكتور ولكن من صديق مخلص ! ان حالتك ، أكرر لك ، حالتك خفيفة جدا ، وليس من المبالغة أن أقول انك لست حتى بمريض ، ولكنك بالنسبة لى تتميز عن حالات مماثلة بسعة الانتشار أشرح لك ان حدة المرض ضئيلة ، لكن اتساعه كبير ، فعملية تدمير الخلايا » كانت المرة الأولى التى يسمع فيها « جوزيبى كورتى » بداخل المستشفى تلك التعبيرات المشئومة « ان عملية تدمير الخلايا فى بداياتها تماما ، وربما لم تبدأ بعد لكنها تتجه ، أقول فقط تتجه ، الى اصابة أجزاء واسعة فى نفس الوقت من الجهاز العضوى من أجل هذا فقط ، فى رأيى ، يمكنك

(١) وردت بالنص per un minime sforzo ويمكن ترجمة per هنا يحرف ب وهى تعنى الوسيلة motivo وليست الغاية fine

(٢) quasi-sani وهو تعبير من اختلاق Dino Buzzati

أن تعالج بفعالية أكثر هنا فى السادس ، حيث الوسـائل الطبية أكثر نوعية وكثافة » ٠

فى يوم ما أنهى اليه أن المدير العام لدار العلاج ، قد قرر بعد مناقشة استمرت طويلا مع معاونيه ، اجراء تعديل فى تقسيم المرضى فانقص مستوى كل واحد منهم ـ بما يمكن أن يطلق عليه ـ نصف درجة واذا اعتبرنا أن المرضى مقسمون فى كل دور ، حسب خطـورة الحالة ، الى مستويين (وقد أجرى الأطباء المسئولون هذا التقسيم بالفعل وذلك لاستخدامه استخداما داخليا فقط) فانه يتم تحويل الجزء الأدنى من هذين النصفين كاجراء مكتبى الى دور أسفل فان نصف مرضى الدور السادس ذوى الحالات الأكثر سوءا ، يجب ـ على سبيل المثال ـ أن ينتقلوا الى الخامس وكذلك الأدنى قليلا من السابع يصيرون الى السادس أسعد الخبر « جوزيبى كورتى » لأنه فى اطار مركب كهذا للانتقالات سوف تصير عودته الى الدور السابع أيسر جدا

عندما أشار الى أمله هذا للممرضة تلقى على العكس مفاجأة مريرة لقد علم أنه سوف يتم نقله ، لكن ليس الى السابع ، وانما للدور الأسفل٠ ولأسباب لم تكن تعلم أن تفسرها له الممرضة فقد أدرج فى النصف « الأخطر » من نزلاء الدور السادس وكان عليه اذن أن ينزل الى الخامس

بعد أن مرت المفاجأة الأولى انتاب « جوزيبى كورتى » الهياج صاح بأنهم كانوا يخدعونه ، وأنه لا يريد أن يسمع حديثا عن انتقالات أخرى لأسفل ، وأنه سوف يعود أدراجه الى البيت ، وان الحقوق حقوق وان ادارة المستشفى لا تستطيع أن تتغاضى بمثل هـذه الوقاحـة عن تشخيص الأطباء للمرض

وبينما كان يصـيح وصل الطبيب لتهدئته نصح « كورتى » أن يهدأ اذا كان يريد ألا يرى الحمى ترتفع ، شرح له أنه قد حدث لبس ، جزئى على الأقل أقر مرة أخرى أن « جوزيبى كورتى » كان سوف يصبح فى مكانه المضبوط لو أنهم وضعوه فى الدور السابع ، لكنه أضاف أن له مفهوما خاصا مختلفا قليلا يتعلق بحالته ففى النهاية يمكن اعتبار مرضه أيضا ، بشكل ما وهذا مفهوم ، من الدرجة السادسة وذلك بسبب اتساع الأعراض المرضية وهو نفسه مع ذلك لم ينجح فى أن يفسر كيف تم وضع « كورتى » فى النصف الأدنى من الدور السادس يحتمل أن سكرتير الادارة ، الذى اتصل به تليفونيا هذا الصباح بالذات سائلا

عن حالة « جوزيبى كورتى » المرضية بالضبط قد أخطأ فى الكتابة أو ربما ، وذلك أرجح(١) ، ان الادارة قد تعمدت « اساءة » تقديره بقدر بسيط وذلك لأنه معروف عنه أنه طبيب خبير ولكنه متساهل جدا وأخيرا نصح الطبيب « كورتى » بألا يشـــغل باله ، وأن يتحمل النقل بدون احتجاج ، فما ينبغى أن يقام له حساب هو المرض ، وليس المكان الذى يوضع فيه المريض

وفيما يتعلق بالعلاج ـ هكذا أضاف الطبيب ـ فلن يكـــون هناك ما يشكو منه « جوزيبى كورتى » فطبيب الدور الأسفل له بالتأكيد خبرة أكبر ، فلقد كان هناك ما يشبه العقيدة بأن مهارة الأطباء تأخذ فى التزايد ، وهذا على الأقل فى رأى الادارة ، كلما نزلنا الى أسفل كانت الحجرة مريحة وفخمة كالحجرات الأخرى وكان المنظر أيضا رحبا فابتداء من الدور الثالث والى أسفل فقط كان المشـــهد مبتورا بأشجار السور

كان « جوزيبى كورتى » وهو صريع الحمى الليلية ، ينصت وينصت باعياء متزايد الى التبريرات المنمقة وفى النهاية أدرك أنه تعوزه القوة والرغبة بالذات فى اســـتمراره فى مقاومة النقـــل الجائـــر ودون أى احتجاجات تركهم يحملونه الى الدور الأسفل

وما أن وجد « جوزيبى كورتى » نفسه فى الدور الخامس حتى كان عزاؤه الوحيد وان كان عزاء بائسا أنه علم أن هناك اجماعـــا فى آراء الأطباء والمرضين والمرضى على أنه أخف مريض بين جميع من فى ذاك القسم كان على وجه العموم يستطيع فى محيط ذلك الدور أن يعتبر نفسه الى حد بعيد الأكثر حظا • لكن من ناحية أخرى ، كانت تعذبه فكرة أن عائقين كبيرين يحولان الآن بينه وبين عالم الناس الأصحاء •

مع تقدم الربيع ، كان الهواء يزداد دفئا ، لكن « جوزيبى كورتى » لم يعد يحب أن يطل من النافذة كما كان فى الأيام الأولى ، فقد كان يشعر بذاته كلها وقد انتابته رعشة غريبة لدى رؤيته لنوافـــذ الطابق الأول التى كانت دائما فى أغلبها مغلقة والتى أصبحت أكثر قربا وذلك بالرغم من أن خوفا كهذا كان يعد محض حماقة

---

(١) وردت بالنص O meglio الترجمة الحرفية لها « أو الأفضل » ولكن المعنى الحقيقى لها فيه الاحتمال بين البديلين مع ترجيح البديل الثانى وربما يكون من المتعسر فى العربية ايجاد مرادفا من كلمتين كالايطالية لهذا المعنى ومن هنا وجب أن توضع العبارة بالشكل الوارد باعلى حتى يكتمل المعنى

كانت حالته المرضية تبدو متوقفة بل بعد ثلاثة أيام من الاقامة فى الدور الخامس ظهر على ساقه اليمنى نوع من الاكزيما لم تومىء بالاختفاء فى الأيام التالية قال له الطبيب انه التهاب لا علاقة له اطلاقا بالمرض الأساسى مجرد خلل يمكن أن يحدث لأكثر الناس صحة فى العالم ومن أجل القضاء عليه فى أيام قلائل ، فانه سيلزم علاج مركز بأشعة ديجاما(١)

« الا يمكن أن نجد هنا أشعة ديجاما ؟ » هكذا سأله « كورتى » ٠

« بالتأكيد » أجابه الطبيب راضيا وأضاف « ان مستشفانا مجهز بكل شىء يوجد فقط عائق واحد »

« ما هو ؟ » هكذا سأله « كورتى » بشىء من التوجس

صحح الطبيب قوله « أقول عائق لمجرد القول فقط ، كنت أريد أن أقول أن التجهيزات الخاصة بالأشعة توجد فقط فى الدور الرابع وأنا لا أنصحك بأن تقوم برحلة كهذه ثلاث مرات فى اليوم »

« وعليه نستغنى عنها ؟ »

« وعليه فمن الأفضل أن تتفضل بالنزول الى الرابع الى أن تزول » ٠

« كفى ! » صرخ بها عندئذ « جوزيبى كورتى » مشتطا فى الحنق ، « كفانى نزولا ، للرابع لن أذهب حتى ولو مت »

« كما ترى سيادتك » هكذا قال له الطبيب مسترضيا اياه حتى لا يغضبه ، ثم أضاف « لكنى كطبيب معالج أحذرك من الذهاب لأسفل ثلاث مرات فى اليوم »

المؤلم أنه بدلا من أن تتناقص الاكزيما ، أخذت فى الانتشار ببطء ٠ لم ينجح « جوزيبى كورتى » فى أن يجد السكينة وهكذا ظل يتقلب فى الفراش استمر على هذه الحال ، غضبان ثلاثة أيام ، الى أن اضطر الى الاستسلام ورجا الطبيب من تلقاء نفسه أن يجعله ينفذ علاج الأشعة وان يدعه ينتقل الى الدور الأسفل

---

(١) وردت بالنص Digamma والمشهور هو الأشعة المعروفة (بأشعة جاما) ، ولا تعرف أشعة باسم أشعة « ديجاما » فهى اذن من ابتكار Dino Buzzati وقد تعنى كذلك أن Dino Buzzati قد ضم الى كلمة « جاما » حرف الجر Di والمستخدم للاضافة وجعل منها كلمة واحدة ٠

هنا بأسفل لاحظ « كورتى » فى رضا داخلى أنه يمثل استثناء ، (كانت حالات مرضى القسم الآخرين جادة جدا بشكل قاطع) لدرجة أنهم لا يستطيعون ترك الفراش ولو لدقيقة واحدة   بينما هو كان يستطيع أن يستمتع بترف الوصول من حجرته الى قاعة الأشعة على قدميه ، وسط مجاملات وتعجب الممرضات أنفسهن

حدد هو ، للطبيب الجديد ، وضعه الخاص بحـــزم   مريض فى الأصل له حق التواجد فى الطابق السابع ينتهى به المآل الى الرابع بمجرد أن ينتهى الطفح فهو ينوى أن يعود لأعلى   سوف لن يقبل مطلقا أى عذر جديد ، هو الذى لم يزل يستطيع أن يتواجد قانونا فى السابع

« فى السابع   فى السابع » هكذا أفصح الطبيب مبتســـما وقد انتهى لتوه من زيارته « دائما مبالغون أنتم أيها المرضى ! اننى أول من يقول انك يمكنك أن تكون راضيا عن حالتك   فكما أرى من صحيفتك العلاجية ، لم يحدث أن تدهورت حالتك تدهورا كبيرا   ولكن بين هذا وبين الحديث عن الدور السابع ـ واغفر لى صراحتى الجريئـــة ـ هنـــاك فارق ما ، فحالتك أقل الحالات اثارة للقلق ، وأنا متفق على ذلك ، ولكنك على كل حال مريض »

« وعلى هذا وعلى هذا » قالها « جوزيبى كورتى » بينما كان وجهه كله مشتعلا   « فى أى دور تضعنى ؟ »

« يا الهى   ليس بالأمر السهل أن أقول   اننى لم أقم حيالك الا بزيارة واحدة قصيرة   ينبغى أن أتابعك لمدة أسبوع على الأقل حتى يمكننى ان أحكم »

« حسنا » ثم ألح « كورتى » قائلا   « لكنك تعرف بالتقريب » ·

كى يهدئه الطبيب تظاهر بالتركيز لحظة متأملا   ثم قال ببطء وهو يومىء برأسه وكأنه يقنع نفسه(١)   يا الهى ! كى أرضيك (٢) ، نعم

---

(١) جاء بالنص   annuendo con il capo a se stesso   والفعل (annuire) معناه اظهار الاتفاق أو الاقتناع   او وافق ، او اوضح رضاه باشارة الثبات من الرأس وهكذا فلترجمة هذا الفعل الى العربية لا بد أن نذكر حركة الرأس والايماء بمعنى الاقتناع او الرضا فى آن واحد   على نحو ما جاء بالترجمة أعلى

(٢) أرضيك   accontentarla   انما جاءت بفكرة أن الطبيب يعانى من أجل تقييم مرض « كورتى » الذى ألح فى ذلك وانه لا يريد أن يرده دون اجابة بعد الحاحه هذا   وليست بفكرة أن يرضيه فيرفع من مكانه الى طوابق المستشفى العليا

نستطيع فى النهاية أن نضعك فى السادس ! نعم نعم » ثم أضاف وكأنه يقنع نفسه « ربما أن السادس مناسب »

كان الطبيب يعتقد أنه يدخل البهجة هكذا على المريض وعلى العكس انتشرت على وجه « جوزيبى كورتى » أمارات من الرعب لقد أدرك المريض أن أطباء الأدوار الأخيرة قد خدعوه ، وها هو ذا ذلك الطبيب الجديد ، وهو من الواضح أكثر مهارة ، وأكثر أمانة يضعه - فى سريرته كما هو واضح - ليس فى السابع بل فى الدور الخامس وربما فى الخامس الأدنى أنهك الاحباط غير المتوقع « كورتى » تلك الليلة ارتفعت الحمى بدرجة ملحوظة

تميزت الاقامة فى الدور الرابع بأنها أكثر الفترات التى مرت على « جوزيبى كورتى » هدوءا منذ دخوله المستشفى كان الطبيب شخصا خفيف الظل جدا ، شهما وحميما ، وكان كثيرا ما يبقى ولساعات كاملة يثرثر فى مختلف الموضوعات وكان جوزيبى كورتى » يحادثه أيضا بسرور كبير باحثا عن موضوعات تتعلق بحياته العادية كمحام وكرجل مجتمع كان يحاول أن يقنع نفسه بأنه ما زال ينتمى الى جماعة الرجال الأصحاء وبأنه مازال مرتبطا بعالم الأعمال وبأنه مازال مهتما بالشئون العامة كان يحاول دون جدوى فباستمرار كان ينتهى الحديث دائما الى المرض

أصبحت الرغبة فى أى تحسن وسواسا لدى « جوزيبى كورتى » وللأسف فاذا كانت أشعة ديجاما قد نجحت فى وقف انتشار الطفح الجلدى فانها لم تكن كافية لازالته كان « جوزيبى كورتى » يتكلم كل يوم باسهاب عن هذا الموضوع مع الطبيب ، وكان يجاهد فى هذه اللقاءات أن يظهر بمظهر القوى بل الساخر دون أن ينجح فى ذلك أبدا

« قل لى يا دكتور » قالها فى يوم ما كيف حال سريان المرض المدمر لخلاياى ؟ »

« أوه ، يالها من كلمات قبيحة ! » هكذا عنفه الدكتور مازحا

« أين تعلمتها ؟ هذا ليس سليما ، ليس سليما ، خصوصا بالنسبة لمريض ! لا أريد أبدا أن أسمع منك أحاديث مماثلة »

« حسنا » عارضه « كورتى » « لكنك هكذا لم تجبنى »

« آه ساجيبك حالا » قالها الطبيب برقة « ان سريان المرض

المدمر للخلايا كى آكرر تعبيرك الرهيب قليل فى حالتك قليل بشكل مطلق ولكنى أستطيع أن أصفه بانه عنيد »

« عنيد ، مزمن تعنى ؟ »

لا تقوّلنى ما لم أقل أريد أن أقول عنيدا فقط ثم ان معظم الحالات هكذا حتى الالتهابات الخفيفة جدا تحتاج فى الغالب لعلاج نشط وطويل »

« لكن قل لى يا دكتور ، متى أستطيع أن آمل فى بعض التحسن ؟ »٠

« متى ؟ ان التخمينات فى هذه الحالات غالبا ما تكون صعبة لكن اسمع » أضافها بعد برهة من التفكير « أرى أنه لديك رغبة حقيقية فى الشفاء لولا انى أخشى أن أغضبك أتعرف ماذا كنت أنصحك به ؟ »

« قل ، قل بصراحة يا دكتور ٠٠ »

« حسنا ، اننى أضع المسألة فى كلمات واضحة جدا ، لو أنى بعد اصابتى بهذا المرض حتى ولو بشكل خفيف جـــدا وصلت الى هذه المصحة ، التى ربما تكون أفضل مصحة موجودة ، لاخترت من تلقـــاء نفسى ومن أول يوم ، من أول يوم ، أتفهم ؟ أن أوضع فى واحد من الأدوار السفلى بل جعلتهم يضعونى فى ٠٠٠ »

« فى الأول ؟ » هكذا لقنه « كورتى » بابتسامة مفتعلة ٠

« ياه لا ! فى الأول لا » أجابه الطبيب ساخرا « أما هذا فلا ! انما فى الثالث أو حتى فى الثانى بالتأكيد ففى الأدوار السفلى يتم العلاج بطريقة أفضل ، وأضمن لك أن التجهيزات أكثر اكتمالا وأكثر فعالية ، والعاملين أكثر مهارة ثم أتعرف من هو روح هذه المستشفى ؟ »

« أليس هو الأستاذ داتى ؟ »

« نعم هو الأســتاذ داتى انه هو مبتكر العلاج المتبع هنا ، وهو الذي صمم هذا النظام بالكامل جسبنا وهو المعلم ، موجود ، هكذا يمكننا القول ، بين الدور الأول والثانى من هناك تشع قوته الادارية ٠ ولكنى أوكد لك أن تأثيره لا يتعدى الدور الثالث ويمكننى القول ان أوامره نفسها تتضاءل فيما وراء هذا تفقد صلابتها ، يتغير مسارها ان قلب المستشفى بأسفل وبأسفل يجب أن يكون المرء حتى يأخذ العلاج الأفضل »

« القصد » قالها « جوزيبى كورتى » بصوت مرتعش « اذن فانك تنصحنى »

« أضف الى ذلك » هكذا أكمل الدكتور دون وجل « أضف الى ذلك انه فى حالتك الخاصة لا بد أن نراعى الطفح انه شىء بلا أى أهمية ، أنا موافق على ذلك ، لكنه يثير الضيق ومع مرور الوقت فانه قد يصيب معنوياتك وحضرتك تعلم مدى أهمية سكينة النفس للعلاج ان مفعول الأشعة التى قمت بها نجح فقط فى بلوغ نصف الفائدة السبب ؟ قد تكون محض صدفة ، ولكن قد يكون السبب أيضا أن الأشعة لم تكن قوية بما فيه الكفاية أما فى الدور الثالث فان ماكينات الأشعة أكثر قوة وسوف تكون احتمالات شفائك من الأكزيما أعلى جدا ثم أنظر ؟ بمجرد أن تبدأ فى الشفاء ، فان الخطوة الأصعب تكون قد تمت وعندما يبدأ الصعود من جديد ، فستكون من الصعوبة بمكان العودة مرة أخرى الى الوراء عندما ستشعر حضرتك أنك فعلا أحسن عندئذ لا شىء يمكن أن يمنعك من الصعود هنا عندنا أو حتى الى أعلى حسب « أحقيتك » حتى الى الخامس الى السادس أو حتى الى السابع أجرؤ أن أقول »

« لكن هل تعتقد سيادتك أن هذا يعجل بالعلاج ؟ »

« لا يمكن الشك فى ذلك لقد قلت لك من قبل ماذا كنت أفعل أنا لو كنت مكانك »

كان الطبيب يدير أحاديث من هذا النوع كل يوم مع « جوزيبى كورتى » فى النهاية أتت اللحظة التى قرر فيها المريض بعد أن أجهدته معاناته من الاكزيما ، أن يتبع نصيحة الطبيب بالرغم من مقاومته الغريزية للنزول وانتقل الى الدور الأسفل

لاحظ على الفورَ فى الدور الثالث أن انشراحا خاصا يسود القسم ، سواء لدى الطبيب أو الممرضات بالرغم من أنه هناك كان تحت العلاج مرضى حالتهم تثير القلق · بل لاحظ أن هذا الانشراح كان يزداد من يوم ليوم ، وبعد أن رفع بعض الكلفة مع الممرضة ، سألها مستقصيا لماذا كان الجميع هكذا مرحين

« آه ألا تعرف ؟ » هكذا أجابته الممرضة « بعد ثلاثة أيام سوف نذهب فى أجازة »

« كيف ، انذهب فى اجازة ؟ »

« نعم . لمدة خمسة عشر يوما ، سوف يغلق الدور الثالث ، وسوف يذهب العاملون فى أجازة فان الراحة تؤخذ دورية بين مختلف الأدوار »

« والمرضى ؟ ماذا تفعلون بهم ؟ » .

« بما أنهم قليلون نسبيا فسوف يتم ضم طابقين فى طابق واحد »

« كيف ؟ هل ستدمجون مرضى الثالث مع الرابع ؟ »

« لا ، لا » هكذا صححت المرضة قائلة « الثالث والثانى ينبغى على الموجودين هنا أن ينزلوا لأسفل »

« ينزلون الى الثانى ؟ » قالها « جوزيبى كورتى » شاحبا كميت « أعلى أن أنزل للثانى ؟ »

« بالتأكيد ، وأى شىء غريب فى هذا ؟ عندما نعود بعد خمسة عشر يوما سوف تعود سيادتك الى هذه الحجرة أنا لا أرى ما يدعو الى انزعاجك »

على العكس كان « جوزيبى كورتى » ــ وقد أحس أن هاجسا غامضا ينذره ــ قد ألم به خوف قاس لكنه عندما رأى أنه لا يستطيع أن يمنع العاملين عن القيام باجازاتهم ، ولأنه كان مقتنعا أن العلاج الجديد بالأشعة أتى بنتيجة طيبة ــ فقد كانت الاكزيما قد امتصت كلية تقريبا ــ فانه لم يجسر على أن يحرك أى اعتراض شكلى على الانتقال الجديد لكنه طالب دون أى مبالاة بدعابات المرضات ، بأن تلصق على باب حجرته الجديدة ورقة مكتوب عليها (« جوزيبى كورتى » من الدور الثالث ، عابر) . ان شيئا كهذا لم يرد فيما سبق فى تاريخ المصحة ، لكن الأطباء لم يعارضوه ، لأنهم كانوا يعرفون أن مضايقة ولو صغيرة يمكن أن تسبب صدمة هائلة لشخصية عصبية المزاج مثل « كورتى » .

فى النهاية كان كل ما فى الأمر أن ينتظر خمسة عشر يوما لا تزيد واحدا ولا تقل واحدا . شرع « جوزيبى كورتى » فى عدها بنهم دؤوب ، وهو باق لساعات كاملة ساكنا على السرير ، بعينين مثبتتين على الأثاث الذى لم يكن فى الدور الثانى حديثا وزاهى الألوان كما كان فى الأقسام

العليا بل كان يتسم بضخامته وبخطوط أكثر هيبة ووقارا وبين آن وآخر كان يرهف سمعه ، فقد كان يهيأ له أنه يسمع من الدور الأسفل ، دور المحتضرين ، قسم المقضي عليهم ، يسمع حشرجات الاحتضار المبهمة

كان كل هذا بالطبع يسهم فى تثبيط همته ويبدو أن هذا القلق قد ساعد المرض فاتجهت الحمى الى الارتفاع وضرب الضعف العام بجذوره فى أعماقه لم تعد تظهر من النافذة ـ وكان الصيف حينئذ فى قمته وكان الزجاج يكاد يترك مفتوحا باستمرار ـ لم تعد تظهر الأسطح ولا حتى منازل المدينة بل كان سور الأشجار الأخضر الذى يحيط بالمستشفى هو الذى يظهر فقط ٠

بعد سبعة أيام ، وفى حوالى الثانية بعد ظهر يوم ما دخل فجأة رئيس الممرضين ومعه ثلاثة من الممرضين ، وهم يدفعون سريرا صغيرا ذا عجل « هل نحن جاهزون للنقل ؟ » هكذا سأله رئيس الممرضين بنغمة بشوشة مداعبة

أى نقل ؟ » سأله « جوزيبى كورتى » بصوت منهك « ما هذه الدعابات الجديدة ؟ ألن يعود بعد سبعة أيام العاملون بالدور الثالث ؟ »

« أى دور ثالث ؟ » قالها رئيس الممرضين كما لو كان لم يفهم « لدى أمر أن أقودك الى الأول ؟ أنظر هنا » وأراه نموذجا مطبوعا للنقل الى الدور الأسفل يحمل توقيع الأستاذ « داتى » نفسه ولا غيره

انفجر حينذاك هلع وغضب « جوزيبى كورتى » النارى فى صرخات طويلة هائجة هزت أرجاء القسم كله ٠٠ « بالراحة بالراحة ، نرجوك » هكذا توسل اليه الممرضون « يوجد مرضى حالاتهم سيئة ! » لكن ذلك لم يكن كافيا لتهدئته

أخيرا وصل الطبيب الذى كان يدير القسم ، شخص مهذب ، ومؤدب جدا استعلم ، نظر الى النموذج ، استفسر من « كورتى » ثم اتجه غاضبا الى رئيس الممرضين ، موضحا أن هناك ثمة غلطة ، فهو لم يعط أية تعليمات من هذا النوع وأنه منذ بعض الوقت أصبحت الفوضى لا تحتمل ، لقد كان هو آخر من يعلم ٠٠ قال ما قاله للعامل ثم اتجه ، بنغمة مهذبة الى المريض ، معتذرا بعمق ٠

« ولكن للأسف » أضاف الطبيب « للأسف الأستاذ داتى قد سافر منذ ساعة فى أجازة قصيرة ، ولن يعود الا بعد يومين انني مهموم

تماما ، ولكن أوامره لا يمكن مخالفتها سوف يكون هو أول من يأسف ، أضمن لك هذا غلطة كهذه ! لا أدرى كيف وقعت ؟ »

كانت رعشة مسترحمة قد أخذت تهز « جوزيبى كورتى » لقد خانته تماما قدرته على التماسك لقد قهره الرعب كطفل كانت انتحاباته ترن بطيئة يائسة فى الحجرة

هكذا وصل بسبب تلك الغلطة اللعينة الى المحطة الأخيرة فى قسم المحتضرين هو ، وهو فى الأصل ، وفقا لخطورة المرض ووفقا لتقارير الأطباء ، حتى أكثرهم قسوة ، كان له الحق فى أن يتواجد فى السادس ان لم يكن فى الدور السابع ! لقد كان الموقف ساخرا الى الحد الذى جعل « جوزيبى كورتى » يشعر فى هاتيك اللحظات أنه يكاد يرغب فى القهقهة بلا توقف

وفيما هو ممدد على السرير بينما كانت قيلولة الصيف الحارة تمر ببطء على المدينة الكبيرة ، كان ينظر الى خضرة الأشجار من خلال النافذة بانطباع من وصل الى عالم غير حقيقى أقيم من حوائط مستحيلة ، من بلاط عقيم من دهاليز جنائزية مثلجة من أشكال انسانية شاحبة خالية من الروح لقد تصاعد أيضا الى ذهنه أن حتى الأشجار التى كان يبدو له أنه يراها من خلال النافذة لم تكن حقيقية بل انتهى الى الاقتناع بذلك عندما لاحظ أن الأوراق لم تكن تتحرك ابدا

هزت هذه الفكرة « كورتى » ، الى حد أنه استدعى المرضة بالجرس ، وجعلها تقدم له نظارته لأنه كان قصير النظر ، والتى لا يستخدمها فى السرير ، فقط عندئذ نجح فى أن يهدىء من نفسه بعض الشىء فبمساعدة العدسات استطاع أن يتأكد أنها كانت بالفعل أشجارا حقيقية وأن الأوراق يحركها الهواء من آن لآخر ، حتى وان كانت حركة خفيفة

بعد خروج المرضة ، قضى ربع الساعة من السكون الكامل ستة طوابق ، ستة أسوار مرعبة ، حتى وان كانت بفعل غلطة شكلية لكنها تقبع الآن فوق « جوزيبى كورتى » بثقل لا يرحم ، فى كم سنة نعم كان عليه أن يفكر بالسنين ، فى كم سنة سيمكنه أن يصعد الى حافة تلك الهاوية ؟

لكن لماذا أصبحت الحجرة فجأة معتمة هكذا ؟ كانت بعد الظهـيرة ما تزال فى أوجها بجهد شديد نظر « جوزيبى كورتى » ، الذى كان يشعر بالشلل من جراء بلادة غريبة ، نظر الى الساعة ، على المنضدة بجوار السرير كانت الثالثة والنصف وجه رأسه الى الجانب الآخر ، ورأى أن المصاريع المتحركة تهبط ببطء ، فى اذعان لأمر غامض ، وتغلق الطريق أمام الضوء

٢ ـ شيء يبدأ بحرف الميم(١)

ما ان وصل « كريستو فورو سكرودير » تاجر الأخشاب ، الى بلدة « سيستو » ، ونزل فى ذات الفندق الذى اعتاد النزول به مرتين أو ثلاث مرات فى السنة ، حتى ذهب لتوه الى السرير ، فقد كان يشعر بانه ليس على ما يرام ثم أرسل فى طلب الطبيب الدكتور « لوجوزى » الذى كان يعرفه منذ سنوات ٠

جاء الطبيب وبدأ عليه الارتباك استبعد أن يكون هناك شيء خطير أخذ زجاجة بول ليفحصه ووعد أن يعود فى نفس اليوم

فى الصباح التالى كان « سنكرودير » يشعر بتحسن كبير الى حد أنه أراد أن ينهض دون انتظار الدكتور كان يحلق ذقنه مرتديا القميص

---

(١) وردت بالنص «Una cosa che comincia per «elle اى شيء يبدا بحرف elle وهو ما يقابل حرف (اللام) فى الهجائية العربية وقد غير فى الترجمة الى حرف (الميم) حيث ان المقصود به الحرف الذى تبدا به كلمة lebbroso اى (مجزوم)

فقط(١) عندما سمع قرعا على الباب كان الطبيب هو الطارق قال له « سكرودير » أن يدخل

ودون أن يلتفت مجرد التفاتة قال التاجر وهو مستمر فى الحلاقة أمام المرآة « اننى فى حالة جيدة جدا هذا الصباح ، شكرا لحضوركم ، ولكن بوسعكم الانصراف الآن »

قال الطبيب « يا لها من عجلة ، يا لها من عجلة ! » ثم سعل سعلة قصيرة ليعبر عن حرج ما « اننى هنا هذا الصباح ، مع صديق »

التفت « سكرودير » فرأى على عتبة الباب سيدا فى الأربعينيات بجوار الدكتور كان قويا ذا وجه مائل للاحمرار ويبدو عليه أنه من العامة على الأغلب ، وكان يبتسم فى مداهنة ولما كان التاجر رجلا معتدا بنفسه دائما ، ومعتادا على أن يتعامل من مكانة السيد ، فقد سدد فى ضيق الى الطبيب نظرة تحمل روح التساؤل

عاد « لوجوزى » قائلا « أنه صديقى ، دون « فاليريوميليتو » بعد قليل ينبغى أن نذهب سويا الى أحد المرضى وهكذا فقد قلت له أن يصطحبنى »

قال « سكرودير » بفتور « خادمكم ، أجلسا ، أجلسا »

استطرد الطبيب ليبرر موقفه تماما « عموما ليست هناك على ما يبدو اليوم حاجة للكشف نتائج تحليل البول جيدة فقط أريد أن أقوم بعمل بذل للدم لسيادتكم »

« دم ؟ ولماذا دم ؟ »

فشرح له الطبيب قائلا « سوف يريحك ، سوف تشعر سيادتك انك انسان آخر ، بعد ذلك انه دائما يفيد ذوى الدم الوفير ثم انها مسألة دقائق »

قال هذا وأخرج من المعطف أناء زجاجيا صغيرا يحتوى على ثلاث

(١) وردت بالنص in maniche di camicia والمعنى المباشر للعبارة هو (فى اكمام القميص) أو (باكمام القميص) ولكن المعنى المراد هو (دون مراعاة للاتيكيت (senza badare all'etichetta أو (بدون سترة أو عباءة (Senza giacchetta o soprabito

ديدان ماصة للدماء وضعه على منضدة وأضاف « ضع واحدة على كل معصم يكفى أن تدعها سيادتك ساكنة لحظة فتلتصق من نفسها فورا . وأرجوك أن تقوم بهذه العملية بنفسك ، ماذا أقول لك ؟ فاننى طوال العشرين سنة التى أعمل فيها طبيبا لم استطع أن أمسك بيدى دودة مص الدماء »

« هاتها هنا » قالها « سكرودير » بروحه تلك المتأججة كبرا أخذ الاناء الصغير ، وجلس على السرير ووضع على معصميه الدودتين ، كما لو أنه لم يفعل شيئا آخر فى حياته

فى تلك الأثناء كان الزائر الغريب ، دون أن يخلع المعطف الواسع ، قد وضع قبعته على المنضدة وكذلك لفة متطاولة(١) بعثت برنين معدنى لاحظ « سكرودير » باحساس من الضيق الغامض ، ان الرجل قد جلس على العتبة تقريبا كما لو كان يصر على أن يبقى بعيدا عنه

قال الطبيب « لسكرودير » « سيادتك لا تتصور أن دون « فاليريو » ، سبق له معرفتك » هكذا قال بينما كان يجلس هو أيضا ، ومن يدرى لماذا ، قريبا من الباب

« لا أذكر ان كان لى الشرف » أجاب « سكرودير » الذى كان يجلس على السرير تاركا ذراعيه مفرودتين على المرتبة وراحتيه متجهتين لأعلى بينما كانت دودتا الدم تمتصان معصميه ثم أضاف « قل لى من فضلك(٢) يا « لوجوزى » هل تمطر هذا الصباح ؟ فاننى لم أنظر

---

(١) وردت بالنص oblungo وهى صفة agg ومعناها (طويل أكثر منه عريض (più lungo che largo, bislungo ويستلزم استخدام كل العبارة التى تضمنها المعنى فى ترجمة هذه الكلمة أو استخدام الكلمة التى وردت بالترجمة باعلى وتوجد بالعامية المصرية كلمة هى أقرب لهذه الايطالية وهى (مطيول) بكسر الميم وفتح الواو

(٢) لم ترد بالنص عبارة « من فضلك » لكنها اضيفت فى الترجمة حيث انه استخدم ضمير المخاطب فى الجمع (أنتم voi) وهو يدل على عدم رفع الكلفة والاحترام وذلك غير مستساغ فى أسلوب التخاطب فى العربية ولذلك فقد استخدم فى الترجمة كلها أسلوب المخاطب الفرد (أنت tu) مع استخدام كلمة (سيادتك) احيانا لمحاولة المحافظة على نفس الدرجة من عدم رفع الكلفة والاحترام لا سيما أنه قرب نهاية القصة ترفع هذه الكلفة فلا بد أن يكون هناك من فرق وقد استخدمت هنا عبارة من فضلك لتعذر وضع كلمة سيادتك

حتى الآن للخارج   سوف يكون شيئا سخيفا جدا لو أن هناك مطرا فعلى أن أذهب فى جولة طوال اليوم »

قال له الطبيب دون أن يعطى للأمر اهمية   « لا   ليس هناك مطر »   ثم أضاف   « لكن دون « فاليريو » يعرف سيادتك حقيقة وكان مشتاقا لرؤيتك »

« اقول لسيادتك » هكذا قال « ميليتو » بصوت كأنه آت من كهف « اقول لسيادتك   لم يكن لى أبدا شرف معرفتك شخصيا ، لكنى أعرف شيئا عنك لا تتخيله بالتأكيد »

أجابه التاجر فى لا مبالاة مطلقة   « لا أعرف اطلاقا »

فسأله « ميليتو »   « منذ ثلاثة أشهر ؟ حاول سيادتك أن تتذكر منذ ثلاثة أشهر ألم تمر بشارع الكونفينى فيكيو ؟ »

قال « سكرودير »   « ماه   جائز ، جائز جدا   لكن على وجه الدقة لا أذكر »

« حسن   أولا تذكر اذن أنك انزلقت عند أحد المنحنيات   وان سيادتك انحرفت عن الطريق ؟ »

« فعلا ، هذا صحيح » أجاب التاجر وهو يحملق ببرود فى ميليتو فى هذه المعرفة الجديدة غير المرغوب فيها

« وألم تخرج احدى العجلات عن الطريق وألم يفشل الجواد فى أن يعيدها الى مكانها ؟ »

« هكذا تماما   لكن سيادتك ، أين كنت ؟ »

« آه   سوف أقول لسيادتك فيما بعد » هكذا أجابه « ميليتو » منفجرا فى ضحكة وغامزا للدكتور ثم أضاف   « وعندئذ نزلت سيادتك ، ولم تنجح حتى أنت فى رفع العربة · ألم يكن كذلك ، قل لى(١) ؟ »

« هكذا تماما   وكانت تسقط الأمطار التى بعثها الله » ·

« وأى مطر ! » قالها دون « فاليريو » فى رضا كبير   ثم أضاف « وبينما كنت سيادتك تجاهد ، ألم يتقدم شخص يثير الفضول ، رجل طويل ، ذو وجه أسود تماما ؟ »

---

(١) وردت بالنص   dite unpô   وكلمة   un pô   معناها قليلا   ولأنه من المتعسر ترجمتها هكذا (قل لى قليلا   أو قل لى شيئا) فقد حذفت   هذا ويوجد تعبير بالعامية يمكن أن يصلح ترجمة لهذا الجزء من الحوار وهو   قل لى كده ·

قاطعه « سكرودير » قائلا « ماه ، ما أذكر الآن جيدا اسمح لى سيادتك يا دكتور ، ألا زلت تريد المزيد من هاتين الدودتين ؟ لقد انتفختا كضفدعين لقد أصابنى الضيق بما فيه الكفاية ثم لقد قلت لك ان لدى الكثير من الأعمال »

شجعه الطبيب قائلا « دقائق أخرى ، قليلا من الصبر ، ياعزيزى « سكرودير » ! بعدها سوف تشعر سيادتك أنك انسان آخر ، سوف ترى ويحا(١) أن الساعة لم تبلغ العاشرة لديكم كل الوقت الذى تريد ! »

الح دون « فاليريو » قائلا « الم يكن رجلا طويلا ، وجهه أسود فيما وراء الحفرة ، كنت على بعد خمسمائة متر على الأقل كنت تحت ألا تذكر سيادتك أنه كان مستمرا فى قرعه ؟ »

أجاب « سكرودير » بفظاظة « حسن نعم ، أذكر واسمح لى سيادتك ، الى ماذا ترمى ؟ » .

قال « ميليتو » « أبدا ! لمجرد أن أقول لسيادتك أنه سبق لى معرفتك وان لدى ذاكرة قوية للأسف فى ذلك اليوم كنت بعيدا ، فيما وراء الحفرة كنت على بعد خمسمائة متر على الأقل كنت تحت شجرة كى أحتمى من المطر واستطعت أن أرى »

« ومن كان ذلك الرجل اذن ؟ » هكذا سأل « سكرودير » بحدة وكأنه يريد أن يبين اذا ما كان لدى « ميليتو » أى شىء ليقوله ، فمن الأفضل أن يدلى به فورا »

« آه ، أدرى من عساه كان ، بالضبط ، لقد رأيته من بعيد ! سيادتك بالأحرى ، من تعتقد أنه كان يا ترى ؟ »

قال التاجر « لا بد أنه كان فقيرا بائسا ، كان يبدو أصم أبكم ، فعندما دعوته أن يأتى لمساعدتى ، شرع فى اصدار شىء أشبه بالعواء ، فلم أفهم كلمة واحدة ! » .

---

(١) وردت بالنص diamine وهو تعبير escl يفيد

(أ) التعجب meraviglia او نفاد الصبر impazienza او الغضب dispetto

(ب) تاكيد على امر ما بطريقة حيوية afferma con modo energico

ويجىء ذلك التعبير تجنبا لذكر كلمة الشيطان per non dire diavolo وعلى ذلك فيمكن ترجمتها بكلمة (ويحا) او كلمة (يا خبر)

« وعندئذ ذهبت سيادتك فى مواجهته ورجع هو للخلف ، وعندئذ أخذته سيادتك من ذراعه ، وأجبرته أن يدفع معك العربة · أليس كذلك ؟ قل الحقيقة »

« وما دخل هذا ؟ » أجابه « سكرودير » فى ريبة « لم أفعل له اى سوء بل انى أعطيته ، بعد ذلك ليرتين »

همس « ميليتو » بصوت خفيض الى الطبيب قائلا « هل سمعت سيادتك ؟ » ثم قال بصوت أعلى متجها للتاجر « لا يوجد أى سوء ، ومن ينكر هذا ؟ لكن سيادتك تسلم بأننى رأيت كل شئ » ·

« لا يوجد ما يدعو لتململك ، يا عزيزى « سكرودير » هكذا قال الطبيب فى تلك اللحظة عندما رأى وجه التاجر يكفهر ثم أضاف « ان دون « فاليريو » صديقنا الكريم(١) ، الموجود هنا معنا ، ذو شخصية مهزارة · كان يريد ببساطة أن يبهرك » ·

التفت « ميليتو » الى الدكتور وهو يهز رأسه تأكيدا · وفى تحركه انفرجت أطراف المعطف بعض الشئ ، وصار « سكرودير » الذى كان يحملق فيه ، شاحب الوجه ·

قال بصوت أقل انطلاقا(٢) عن المعتاد كثيرا « معذرة يادون « فاليريو » سيادتك تحمل طبنجة ، يبدو لى أنه كان بامكانك تركها بأسفل أيضا فى هذه البلاد يجرى العرف بذلك ، ان لم يكن قد خاننى الصواب » ·

---

(١) وردت بالنص ottimo وهى صفة agg. معناها

(أ) صيغة التفضيل من الصفة (طيب) sup, buo::o

(ب) الممتاز eccellente أو اكبر الجميع il moggiore di tutti

(جـ) الطيب جدا buonissimo

وهى تاتى كذلك كاسم مذكر s.m. بمعنى الأحسن il meglio

وقد ترجمت بـ (صديقنا الكريم) تمشيا مع الصياغة فى اللغة العربية

(٢) وردت بالنص disinvolto وهى صفة agg. معناها

(أ) آمن وصريح وحيوى على السحية فى القول والمواجهة
spigliato nel presentarsi e trattare, e franca naturale.

وفى بعض الأحيان يكون ذلك بشكل مطلق talvolta ecessiva

(ب) واثق فى ذاته sicuro di sè

(جـ) صريح franco

(د) منطلق ولبق sciolto دون قلق senza impaccio

قال « ميليتو » وهو يضرب بيده على جبهته ليعبر عن أسفه « يا الهى ! أنا آسف فعلا ! لا أدرى كيف أعتذر ! نسيت ذلك فعلا أنا لا أحملها أبدا ، فى العادة ، ولذلك فقد نسيت واليوم ينبغى أن أذهب خارج البلدة الى الحقول على الجواد »

كان يبدو صادقا ، ولكنه فى الحقيقة احتفظ بالطبنجة فى الحزام ، وهو مستمر في هز رأسه • ثم أضاف وهو مازال متوجها الى « سكرودير » « قل لى سيادتك ، أى انطباع تركه فيك ذلك الفقير المسكين(١) ؟ »

« أى انطباع كان بوسعه أن يتركه فى ؟ » فقير مسكين ، بائس » •

« وذلك الجرس ذلك الشيء الذى كان دائم الرنين ، ألم تسأل نفسك ماذا عساه أن يكون ؟ »

فأجاب « سكرودير » مدققا فى كلماته حيث راوده احساس بأن هناك فخاما « ماه ، ربما كان غجريا لقد رأيتهم مرارا يدقون جرسا لاستدعاء الناس »

« غجرى ! » هكذا صاح « ميليتو » وقد أخذ فى الضحك كما لو

---

(١) وردت بالنص povero diavolo وكلمة diavolo اسم مذكر s.m. لها معنى الشيطان تماما كالعربية : ••••
lo spirito del male, che si configura e si presisa come nemico di Dio e degli uomini, sul piano teologico e morale.
اى روح الشر التى تجسد وتحدد كعدو لله وللبشر على الصعيد الدينى والأخلاقى
ولكن لكلمة الشيطان diavolo استخدامات غير متكافئة فى كلتا اللغتين
فبالعربية نقول مثلا
(أ) هذا صبى شيطان per il monello ragazzo
(ب) وكذلك شيطان الشعر Dio di poesia e d'isperazione
(جـ) وتطلق كناية عن الحذق والمهارة دون أى ظل لسوء
وتعنى كلمة diavolo الايطالية مثلا
(أ) معنى بدلالى للرافة حيال تعاسة الآخرين senso accentuato di rude compatimento per le disgrazie altrui
(ب) تطلق على الشخص المتواضع والأمين فمثلا di persona umil e onesta
buon diavolo اى شيطان طيب فمعناها الإنسان البسيط الطيب buonario, buonaccione
(جـ) تحمل على الشفقة لانسان (povero diavolo) mostrando compassione di uno
وهكذا فيمكن ترجمة Povero diavolo
اما بـ (رجل يستحق الرثاء او الشفقة) أو (فقير مسكين) وهى الأنسب للموقف فى القصة •

كانت الفكرة قد أعجبته للغاية . ثم أضاف « آه ، سيادتك اعتقدت أنه غجرى ؟ »

التفت « سكروديو » الى الطبيب فى هياج

سأله بصرامة « ماذا هناك ؟ ما معنى ذلك التحقيق ؟ يا عزيزى « لوجوزى » هذه القصة لا تعجبنى قطعا بالمرة(١) ! افصحا ، ان كنتما تريدان شيئا منى ! » .

أجابه الطبيب متلعثما « لا تثر ، أرجوك .. » .

« ان تريدا أن تقولا أنه وقع حادث لهذا المتشرد ، وأننى السبب ، فتكلما بوضوح » هكذا استطرد التاجر رافعا من صوته أكثر فأكثر « تكلما بوضوح يا سيدى العزيزين ، أتريدان القول انهم قتلوه ؟ »

قال » ميليتو » مبتســـما ، وقد أصبح ســـيد الموقف بالكامل « قتلوه ! ما الذى طرأ على فكرك ! لو أننى أزعجتك ، فان ذلك يؤسفنى حقا ، لقد قال لى الدكتور دون « فاليريو » أصـــعد معى الفـــارس « سكروديو » موجود قلت له أنا ، « آه اننى أعرفه » ، قال لى هو ، « حسنا أصعد ، فسوف يكون مسرورا لرؤيتك » اننى آسف فعلا لو أننى كنت متطفلا .. » .

أدرك التاجر أنه بالغ فى الأمر

« أرجو من سيادتك أن تعذرنى ، ان كان صبرى قد نفد لكن كان يبدو تقريبا وكأنه تحقيق ، بكل معنى الكلمة . لو أن هناك شيئا ما ، قله دون مزيد من الاعتبارات »

تدخل الطبيب قائلا بكثير من الحرص « حسنا حسنا هناك فعلا شىء ما »

« أهو بلاغ ؟ » هكذا سأله « سكروديو » وهو لما يذل أكثر ثقة فى نفسه ، بينما كان يسعى لأن يعيد لصق دودتى مص الدماء على معصميه

---

(١) وردت بالنص un bel niente وكلمة niente ضمير pron واسم مذكر s.m. وتعنى (لا شىء) أما عبارة un bel niente فمعناها المباشر (لا شىء أبدا mai niente) او (لا شىء قطعيا Reciso niente وقد ترجمت ب (قطعا بالمرة) تمشيا مع الصياغة العربية وكذلك لأن هاتين الكلمتين تمعنان فى النفى البات وهو المراد هنا بالنص

وكانتا قد انفصلتا خلال ثورته القصيرة(١) التى ولت « هل هناك ثمة شك فيّ ؟ »

قال الطبيب « دون » فاليريو « ربما يكون من الأفضل لو تكلمت سيادتك »

بدأ ميليتو القول « حسنا أتدرى من كان ذلك الشخص الذى ساعدكم فى سحب العربة ؟ »

لا ، أقسم لسيادتكم كم مرة ينبغى على أن أكرر ذلك ؟

قال « ميليتو » « اننى أصدقك ، فقط أسأل سيادتك عن تخيلك عمن عساه يكون »

« لا أدرى اعتقدت أنه غجرى انه متشرد »

« لا لم يكن غجريا أو بالأحرى لو كان كذلك فيما قبل فلم يعد كذلك فيما بعد ذاك الرجل كى أقولها لسيادتك بوضوح شىء يبدأ بحرف الميم »

« شىء يبدأ بحرف الميم ؟ » « كررها » سـكرودير بآلية باحثـا فى الذاكرة ، بينما انبسط ظل من التكهن على وجهه

فاكد « ميليتو » بابتســامة ماكرة قائلا « نعم يبدأ بحرف الميم » « مختلس (٢) ؟ تريد القــول ؟ قالها التاجر وقد أشرق وجهــه من جراء تأكده أنه وجد الحل

---

(١) وردت بالنص sfuriata وهى اسم مؤنث مكرر ومعناها

(أ) انفجار جامح فى الغضب ولكن لمدة قصيرة scoppio d'ira impetueso ma di breve durata

(ب) شىء نفذ فى عجلة وغضب cosa fatta in frette e furic

(جـ) سقطة مطر قصيرة وعنيفة brève e violento revescio di pioggia

وقد ترجمت بـ (الثورة القصيرة) مع مراعاة ترجمة di prima التى أتت بعدها بدلا من (السابقة) أو نحوها بـ (التى ولت) حتى تعطى روح وتأثير السرعة الخاطفة والعنف معا ويمكن أن تترجم بـ (الثورة الجامحة) لولا عدم دلالتها على القصر

(٢) وردت بالنص ladro اى لص وهى منطقية بالايطالية لكنها مبدوءة بحرف elle) وكان لا بد أن يبحث فى الترجمة عن كلمة تقترب من معنى اللص انما تبدأ بحرف (الميم) فجاءت كلمة (مختلس) ويمكن أن نضع كذلك كلمة (محتال) لولا أن المختلس اقرب الى اللص منه الى المحتال

انفجر دون « فاليريو » في ضحكة « آه مختلس ! لطيفة فعلا هذه . كنت على حق يا دكتـور الفارس « سكروديرِ » شخصية خفيفة الظل جدا ! » في هذه الأثناء سمع صوت سقوط المطر خارج النافذة

قال التـاجر بحسـم ، وهو ينزع الدودتين ويضعهمـا في الاناء الصغير « تحياتي لكما الآن يسقط المطر ينبغي لي أن أذهب والا تأخرت » .

ألح « ميليتو » وهو ينهض هو الآخر على قدميه ، ويعبث بشيء تحت معطفه الواسع وقال « شيء يبدأ بحرف الميم »

« أنني أقول لسيادتك ، لا أدرى الفوازير لا تصلح معي احزم أمرك ، او أن هناك شيئا تقوله لي .. شيء يبدأ بحرف الميم ؟ مرتزق (١) مثلا ؟ » هكذا أضاف بنغمة ساخرة

اقترب « ميليتو » والدكتور الواقفان الآن كل من الآخر ساندين ظهريهما الى الباب لم يعد أحد منهما يبتسم الآن .

قال « ميليتو » ببطء « ليس مختلسا ولا مرتزقا لقد كان مجزوما »

نظر التاجر الى الرجلين شاحبا كميت

« حسبنا ؟ وحتى وان كان مجزوما ؟ »

قال له الطبيب محاولا في رعب أن يلوذ كتفي دون « فاليريو »

للأسف لقد كان كذلك بالتأكيد ، والآن صرت سيادتك أيضا »

---

(١) وردت بالنص lanzichenecco وهو اسم مذكر S.M. ومعناه

(أ) جندي الماني أجير (مرتزق) مسلح بالرمح في عصر النهضة (القرون ١٥ ، ١٦ ، ١٧)

antico soldato mercenario tedesco (epoca rinascimento, secoli XV XVI XVII, armato di lancia.

(ب) الذراع الأيمن المتاهب والعنيف Zelante e violento braccio destro

(ج) لعبة مقامرة معروفة اكثر باسم تزكينيتا

gioco d'azzardo più noto, col nome zecchinetta

وكان المعنى الأول هو الأقرب للمنطق واكتفى بالترجمة باسم مرتزق على اعتبار أنه مبتدىء بحرف الميم وعلى صلة كبيرة بالمعنى وقد يثير السخرية كما أراد « سكروديرِ » وهو ينطق به

صاح التاجر مرتعشا من فرط الغضب « كفى ! اخرجا من هنا هذه الدعابات لا تستقيم معى ، اخرجا من هنا أنتما الاثنين » ٠

عندئذ أخرج « ميليتو » من المعطف ماسورة الطبنجة

« انني القاضي (١) ، يا سيدى العزيز اهدأ سيادتك ، والا دفعت الثمن »

صاح « سكرودير » قائلا « سوف أريكما أنا من أكون ! ما الذى تريدانه منى ، الآن ؟ »

كان « ميليتو » يتفرس فى « سكرودير » وهو مستعد لاتقاء هجمة مفاجئة وأجابه « فى هذه العلبة يوجد جرس سيادتك أخرج حالا من هنا واستمر فى قرعه الى أن تغادر البلده ثم كذلك طالما أن سيادتك تغادر المملكة »

« سوف أريكما أنا الجرس ! » هكذا كان رد « سكرودير » ، وحاول المزيد من الصياح لكن صوته كان قد انطفأ فى حنجرته ، كان هول ما اكتشفه قد جمد قلبه أخيرا بدأ يفهم أن الدكتور عندما زاره فى اليوم السابق انتابه الشك فذهب يبلغ القاضى وكان القاضى قد رآه مصادفة يمسك ذراع مجزوم عابر ، منذ ثلاثة أشهر ، والآن أصبح هو ، « سكرودير » مقضيا عليه كانت قصة ديدان الدم مختلفة لكسب الوقت مع ذلك قال « اننى راحل دون حاجة لأوامركم ، يا أوغاد ، سوف أريكم سوف أريكم »

أمره «ميليتو» وكان وجهه مشرقا بزهو شيطانى « ارتد السترة ٠ السترة ثم اخرج فورا »

قال « سكروير » أواه بعجرفة أقل من ذى قبل : « ستنتظرنى حتى آخذ أمتعتى ، بمجرد أن أحزم أمتعتى سوف أرحل تأكد من ذلك » ٠

أخبره القاضى هازئا : « أشياؤك ينبغى أن تحرق ٠ الجرس سيادتك ستأخذه ، وفقط »

---

(١) وردت بالنص l'alcade وهى اسم مذكر s.m. وهى من الكلمة العربية القاضى al-qadi ومعناها الحاكم فى المدن الاسبانية primo magistrato nelle città spagnole, وكان الأفضل ان تترجم بالقاضى

قال « سكرودير » وكان حتى هذه اللحظة قانعا ومتماسكا وهو يتوسل للقاضى كطفل « أشيائى على الأقل ! ملابسى ، نقودى ، اتركوها لى على الأقل ! »

« السترة ، والمعطف ، وكفى الأشياء الأخرى يجب أن تحرق أما بالنسبة للعربة والجواد فقد أجرى لهما اللازم »

تمتم التاجر قائلا « ماذا ؟ ما الذى تريد قوله سيادتك ؟ »

أجابه القاضى وهو يستمتع بخذلانه « العربة والجواد تم احراقهما كما يأمر القانون سيادتك لا تتخيل أن مجزوما يمكنه أن يتجول فى عربة ، أليس كذلك ؟ »

وشرع فى ضحكة مبتذلة ثم صاح بوحشية فى « سكرودير » أخرج من هنا ! هل تتصور أنى سأبقى هنا لساعات كى نتناقش ؟ أخرج فورا يا كلب ! »

أخذ « سكرودير » يرتعش كله بجسمه الطويل الضخم عندما خرج من الحجرة تحت تهديـــد ماســـورة الطبنجة المصوبة وفكه المتهدل (١) ونظرته المتبلدة

« الجرس » صرخ فيه ثانية « ميليتو » فجعله ينتفض ، ثم قذف أمامه على الأرض باللفافة الغامضـــة ، التى أصـــدرت رنينا معدنيـــا « أخرجه واربطه حول عنقك » .

انحنى « سكرودير » بانهاك عجوز طاعن (١) والتقط اللفة ، وفك الدوبار ببطء ، وأخرج من العلبة جرســـا جديـــدا تماما من النحاس

---

(١) نحن هنا أمام كلمة واحدة تكررت فى النص خلال أسطر قليلة بمعنيين مختلفين هذه الكلمة هى cadente وهى هنا صفة agg. فى الحـــــالين وليست p. presente اسم فاعل ومعناها كصفة

(أ) الذى على وشك السقوط sta per cadere

(ب) العجـــوز vecchio

(جـ) المحطم malandato

وقد جاءت (أولا) صفة للفك فترجمت (فكه متهدل) ثم جاءت (ثانيا) صفة لكلمة (العجوز) فترجمت بالطاعن

بمقبض من الخشب المخروط • ثم صرخ فيه « ميليتو » « حول العنق • ان لم تسرع فوالله سوف أطلق عليك الرصاص »

كانت يدا « سكرودير » تهتزان من الرعشة ، ولم يكن من السهل عليه تنفيذ أمر القاضى لكن التاجر نجح فى أن يمرر حول عنقه الحزام المتصل بالجرس ، الذى تدلى هكذا فوق بطنه ، وهو يرن عند أية حركة •
أصر دون « فاليريو » بعنف قائلا « امسكه بيديك ، هزه بالله عليك ! هل سوف تعرف أولا ؟ وأنت ضخم وقوى هكذا فى هيئة « مارك انطونيو » هيا ياللك من مجزوم جميل كان هذا بينما الطبيب ينسحب الى أحد الأركان جزعا من المنظر المقزز

بخطوات المرضى بدأ « ســـكرودير » فى نزول السلم • كان يهز رأسه من جانب لآخر كأولئك البلهاء الذين نلتقى بهم بالشوارع الكبيرة • بعد سلمتين التفت باحثا عن الطبيب وأطال التحديق فى عينيه •

تمتم الدكتور « لوجوزى » « الذنب ليس ذنبى ! لقد كانت مصيبة ، مصيبة كبيرة ! »

وكان القاضى يحثه وكأنــه حيوان « هيا هيا ! هز الجرس ، اننى أقول لك ينبغى أن يعرف الناس أنك قادم » •

استأنف « سكرودير » نزول الســلم بعد قليل ظهر على باب الفندق ثم شرع فى عبــور الميــدان ببطء كان عشرات وعشرات من الأشخاص يهرولون بعيدا عن طريقه ، منسحبين للخلف شــيئا فشــيئا كلما كان يقترب كان الميدان كبيرا ، طويلا كى يعبره • بحركة صارمة كان هو الآن يهز الجرس الذى كان يصــدر صوتا نقيا وبهيجا دن ، دن كان يفعل

٣ ـ قطرة

تصعد قطرة مياه درجات السلم أتسمعها ؟ اننى أنصت الى حسيسها العجيب وأنا ممدد على السرير فى الظلام ماذا تفعل ؟ هل تقفز ؟ تيك ، تيك هكذا تسمع فى تقطع. ثم تتوقف القطرة وقد لاتقوم لها قائمة (١) طوال بقية الليل الا أنها تصعد . من درجة لدرجة تطلع ، عكس النقط الأخرى التى تسقط عمودية تطبيقا لقانون الجاذبية ، وتصدر فى النهاية فرقعة (٢) صغيرة ، معلوم هذا فى العالم كله . أما

---

(١) ورد بالنص non si fa più viva والمعنى المباشر هو « الا تحيا ثانية » أو « الا تقوم لها قائمة » أو « الا تعود للنشاط » ولكن المعنى المراد هو far sentire o vedere لا تسمع ثانية أو تحس ثانية أو ترى ثانية

(٢) وردت بالنص schiocco ومعناها « الجلبة الجامدة أو الصلبة واكثر ما يميزها صوت السوط عندما يمر بحركة سريعة فى الهواء ـ أو هى الصوت الناجم عن احتكاك فجائى لجسمين ببعضهما ، مثل صوت القبلة » واجد انه بالعامية اقرب كلمة لهذا المعنى هو « الطرقعة »

هذه فعلى العكس (١) تصعد رويدا رويدا بطوال بئر سلم جناح حرف « هـ » (٢) من ذلك المبنى السكنى الضخم

لم نكن نحن ، الراشدين ، المهذبين ، مفرطى الحس ، الذين شعروا بها (٣) انما هى خادم من الطابق الأول ، مخلوقة بائسة ، صغيرة وجاهلة لاحظتها ذات ليلة ، فى ساعة متأخرة وقت أن كان الجميع قد أخلدوا للنوم • بعد قليل لم تستطع أن تتماسك ، نزلت من على السرير وهرعت لتوقظ سيدتها وهمست « سيدتى ! سيدتى ! » فقالت السيدة مرتعدة « ماذا ؟ ماذا حدث ؟ » « توجد قطرة مياه يا سيدتى ، قطرة مياه تصعد السلم ! » ماذا ؟ هكذا سألتها الأخرى مشدوهة • « قطرة مياه تصعد السلم ! » كررتها الخادم وهى تكاد تشرع تبكى فنهرتها السيدة قائلة « امشى امشى أمجنونة أنت ؟ عودى الى فراشك ، امضى ، لقد شربت ، ها كل شىء ، يا قليلة الحياء • فأنا أجد منذ بعض الوقت أن النبيذ ينقص فى الزجاجة أيتها القبيحة القذرة ، ان كنت تعتقدين » لكن الفتاة كانت قد هربت وانكمشت تحت الغطاء •

« من يدرى أى شىء تراه قد أصاب عقل هذه الغبية » • هكذا كانت تفكر السيدة بعد ذلك فى صمت ، وقد جفاها النوم وبينما كانت تنصت دون رغبة منها لسكون الليل الذى يخيم على العالم ، اذ بها تسمع هى أيضا الجلبة (٤) الغريبة قطرة مياه تصعد السلم ، بالفعل

وحيث انها غيورة على النظام ، فقد خطر للسيدة أن تخرج لترى الأمر (٥) ولكن ماذا كان يمكنها أن تجد تحت الضوء البائس للمصابيح

---

(١) وردت بالنص questa no اى اما هذه فلا

(٢) وردت بالنص delle scale lettera E وحرف « الهاء » هو المرادف لحرف ال «e» فى الترقيم

(٣) وردت بالنص a segnalarla وهى بمعنى ميز أو ربما « اكتشف » ولعل أفضل المعانى هو شعر بها

(٤) مرة أخرى نواجه هنا صعوبة ترجمة الصوت الذى جاء بالنص فى كلمة rumore هذه المرة ومعناها الجلبة أو الضوضاء •

(٥) وردت بالنص per un istante la signora pensò di uscire a vedere وقد ترجمت عبارة per un istante pensò, بفعل عربى واحد هو (خطر) وقد أضيفت كلمة (الأمر) لم تات فى النص حيث يمكن اعتبارها مفعول به مستتر للفعل (رأى) vedere (المتعدى) tr.

المعتمة ، المتدلية من الدرج ؟ كيف يمكنها أن تتبع قطرة مياه فى عمق الليل ، وفى ذلك البرد ، وبطوال السلالم المعتمة ؟

فى الأيام اللاحقة انتشر النبأ ببطء ، من أسرة لأسرة ، والآن يعرفه جميع من بالمنزل ، حتى وان آثروا عدم الكلام عنه كما لو كان شيئا تافها قد يخجلون منه والآن تمتد آذان عديدة ، فى الظلام عندما يسـجى الليل ليحيق بالجنس البشرى ، ويفكر البعض فى شىء ما ويفكر آخرون فى غيره ·

فى ليال معينة تصمت القطرة وأحيانا أخرى على العكس لا تتوقف لساعات طوال عن الانتقال الى أعلى ، أعلى ، حتى ليبدو أنها لن تتوقف تخفق القلوب عندما يبدو أن الخطوة الواهنة تكاد تلمس العتبة الحمد لله ، لم تتوقف ها هى تبتعد ، تيك تيك ، متجهة الى الطابق الأعلى

أعلم بالفعل أن سكان الأدوار الوسطى يظنون أنهم الآن فى مأمن فهم يعتقدون أن القطرة قد عبرت أمام بابهم ، ولن تواتيها فرصة أخرى لتعكير صفوهم ، وآخرون لديهم الآن ما يبرر توترهم ، وأنا ، على سبيل المثال من بينهم ، حيث أقيم فى الدور السادس ، أما هم فلا لكن من يقول لهم ان قطرة المياه سوف تستأنف سيرها فى الليالى القادمة من النقطة التى وصلت اليها فى المرة الأخيرة أو أنها بالأحرى لن تعيد الكرة من جديد بادئة الرحلة من السلالم الأولى الرطبة دائما والمعتمة بالقمامة المهملة ؟ لا ، حتى هم لا يمكنهم أن يعتبروا أنفسهم آمنين ·

لدى خروجنا (١) من المنزل ، فى الصباح ، ننظر (١) بانتباه عسى أن يكون قد تبقى أى أثر أبدا ، لا شىء كما هو متوقع ، ولا حتى أقل الآثار · ثم من ذا الذى يأخذ فى الصباح هذه القصة مأخذ الجد ؟ فمع

---

(١) وردت بالنص Al mattino, uscendo di casa, si guard. attentamente la scale se mai sia rimasta qualche traccia.

ونجد هكذا أنه استخدم بالايطالية فعل (خرج uscire المصرف فى زمن ال gerundio ثم فعل شاهد guardare المصرف فى صيغة المبنى للمجهول والمعنى المباشر للعبارة هكذا (لدى الخروج من المنزل صباحا ينظر بانتباه الى السلالم عسى ان يكون قد تبقى اى اثر) ولعل صيغة المبنى للمعلوم العربية أنسب عند الترجمة وقد اختير ضمير المتكلم الجمع (نحن) حيث أن الراوى احد قاطنى المبنى

شمس الصباح يكون الرجل قويا ، يكون أسدا ، حتى ولو كان موعوبا خائر القوى (١) منذ سويعات مضت •

أم أن لسكان الطوابق الوسطى الحق ؟ ثم أننا نحن الذين لم نكن نسمع شيئا في البداية وكنا نعتبر أنفسنا معنيين ، ها نحن أولاء نسمع منذ عدة ليال شيئا ما حقا ان القطرة مازالت بعيدة تصل لنا جلبة واهنة جدا ، صدى باك عبر الجدران لكن هذا دليل على أنها صاعدة وأنها تقترب باستمرار

حتى النوم في حجرة داخلية بعيدة عن بئر السلم لا ينفع الأفضل أن تستمع اليها الى الجلبة ، بدلا من أن تقضى الليلة في شك من وجودها أو عدمه (٢) ان من يسكن في تلك الحجرات القصية لا ينجح أحيانا في المقاومة ، ينسل في صمت في الطرقات ويقبع بالمدخل في الثلج منصتا خلف الباب ، وقد توقفت أنفاسه فان سمعها (٣) لا يجسر على الابتعاد فقد صار عبدا لمخاوف لا تفسير لها والأسوأ اذا كان كل شيء هادئا في هذه الحالة كيف يضمن (٤) أن الجلبة لن تبدأ بالضبط بمجرد أن يعود الى الفراش ؟

---

(١) وردت بالنص sbigottire وهو فعل متعد .tr ولازم .intr

اما معناه كمتعد .tr (اثار قلقا عميقا او فقدانا مروعا مخلفا خوار القوى وعدم القدرة الوشيك على التماسك

suscitare un turbamento profondo o un attonito smarrimento. lasciando interdetto e quasi incapace di reagire : L'annuncio della guerra sbigotti tutto il paese.)

اما معناه كلازم .intr (بقى خائر القوى ، على وشك عدم التماسك
restare interdetto, quasi incredulo : a quelle parole sbigottimmo guardandoci in viso.)

ومكذا نجد أن الكاتب استخدم الفعل هنا لازما

(٢) هذه الفقرة التى لم تجىء مصرفة مع ضمير ومن الأفضل ان توضع او تصرف فى العربية مع ضمير المخاطب المفرد (أنت) ومكذا جاءت الترجمة

(٣) الضمير « ها » هنا « La » مكتوب فى النص بحرفين مختلفين فى الطباعة عن سائر الحروف الأخرى وانما كان ذلك لاعطاء الرهبة والأهمية عليها على قطرة المياه

(٤) وردت بالنص escludere وهو فعل متعد .tr معناه

(أ) نفى احتمال التخيل أو الوقوع
rendere o ritenere nulla la possibilità di figurare o di accadere.

(ب) اقصى lasciare fuori

(جـ) طرد أو نزع rimuovere, mandare fuori, cacciare

(د) الخرج eliminare

(هـ) نفى proscrivere

لكم أصبحت الحياة غريبة اذن مع عدم امكان تقديم شكاوى ، أو البحث عن أسباب العلاج أو ايجاد تفسير يخلص الأرواح ومع عدم امكان اقناع الآخرين فى المنازل الأخرى ، أولئك الذين لا يعرفون · ولكن ماذا عساها ان تكون تلك القطرة ؟ هكذا يسألون بحسن نية مثيرة أترى هو فأر ؟ أم ضفدع صغير خرج من مخزن المخلفات ؟ لا طبعا

ويلحون قائلين « أهي مثلا اشـارة ؟ (١) هل يراد بها ، مثلا ، أن ترمز للموت ؟ أو لخطر ما ؟ أو للسنين التى تمضى ؟ أبدا يا سادة مطلقا انها ببساطة قطرة مياه ، لكنها تصعد السلم الى أعلى

أم ترى يقصد بها تصوير الأحلام والأوهام ؟ الأراضى المنشـــودة والبعيدة حيث يتوقعون ؟ أهى شىء شـــاعرى على وجه العموم ؟ لا اطلاقا

أم أكثر الأماكن بعدا ، عند حدود العالم التى لن نصل اليها أبدا ؟ كلا ، أقول لكم كلا ، هذه ليست دعابة ، لا تحوى شيئا من الرمزية انما هى ـ للأسف ـ كما تفيد التكهنات قطرة مياه فقط ، وانها بالليل تصعد الســلم تيك تيك بطريقة غامضـــة ، من درجة لدرجة ، ولهذا نخاف

= (و) رفض rifiutare

(ز) نبـــذ respingere

(ح) اخـــل esimere

(ط) سامح ، اعفى esentare

(ى) لم يسلم ب لم يرض non ammettere

وهكذا فيمكن ان يترجم الفعل هنا ب (استبعد) وربما تكون ترجمته ب (ضمن) كما جاء باعلى هى التى تعبر عن المعنى

(١) وردت بالنص allegoria وهى اسم مؤنث s.f. معناها

(أ) صورة بلاغية عن طريقها يعبر المؤلف وعن طريقها يهتدى القارىء لمعنى مستتر مختلف عن المعنى الحرفى figura retorica per mezzo della quale l'autore esprime e il lettore ravvisa un significato riposto, diverso da quello letterario.

(ب) او هى عمل من اعمال التصوير او البلاستيك يمثل مضـمونا مستخلصـــا opera pittorica o plastica raffigurante un concetto astratto.

وعلى هذا الأساس فيمكن أن تترجم الكلمة ب (استعارة) أو (اشـــارة) أو (رمز)

٤ ـ دعوات بلا جدوى

أود لو أنك أتيت الى فى أمسية من أمسيات الشتاء حيث يلتصق كل منا بالآخر خلف الزجاج ناظرين عزلة الشوارع المعتمة التى جمدها الجليد (١) ، ونتذكر شتويات الأساطير ، حيث عشنا معا دون أن نعرف . فى واقعنا مررنا بنفس الدروب المسحورة أنت وأنا بخطوات وجلة ، ومعا مضينا عبر الغابات الملأى بالذئاب ، وكان نفس الجان يراقبوننا من خصلات نبات المسنك المعلقة بالأبراج بينما الغربان تحوم معا ، دون أن نعرف ، من هناك ربما كان ينظر كلانا نحو الحياة الغامضة ، التى كانت تنتظرنا هناك اختلجت بداخلنا لأول مرة رغبات مجنونة وحنونة . ، هل تذكر ؟ ، سوف يقولها أحدنا للآخر متعانقين بحنان فى الحجرة

(١) gelato هكذا وردت بالنص وترجمتها مجمدة (صفة) والكلمة حادة لا تناسب الأسلوب الشاعرى فى هذه القصة فربما كان من الأفضل أن تذكر عبارة ، التى جمدها الجليد ، على اعتبار أنه لم يحدث تغيير فى المعنى

الدافئة ، وأنت ستبتسمين (١) لى فى ثقة بينما تصدر الصحائف المعدنية فى الخارج صوتا رهيبا بفعل الريح .

لكنك ـ أتذكر الآن ـ لا تعرفين الأساطير القديمة أساطير ملوك بلا أسماء أساطير الغيلان والحدائق المسحورة لم تمرى أبدا مفتونة تحت الأشجار السحرية التى تتكلم بصوت انسى لم تقرعى أبدا باب القصر المهجور ، لم تمشى فى الليالى نحو المصباح البعيد البعيد ، لم تنامى تحت نجوم الشرق بينما يؤرجحك قارب مقدس خلف الزجاج فى الليلة الشتوية ، ربما سنظل صامتين ، فأتوه أنا فى أساطير (٢) مندثرة (٣) ، وأنت فى مشاغل أخرى مجهولة لدى أسالك هل تذكرين ؟ ، لكنك لن تتذكرى

أود لو أتنزه معك فى يوم من أيام الربيع بسمائه الرمادية وورقة شجر من السنة الماضية لم يزل يسحبها الريح عبر الشوارع ، فى أحياء أطراف المدينة وليته يكون يوم أحد فى هذه الأحياء غالبا ما تنبع الأفكار الكئيبة والعظيمة وفى لحظات بعينها يتهادى الشعر فيضم قلوب أولئك الأحبة تولد بجانب ذلك آمال لا نعرف كيف نقولها مشمولة بالآفاق المترامية خلف المنازل بالقطارات الهاربة بسحب الشمال سوف تتشابك يدانا ببساطة ونغدو وبخطوات خفيفة ، نقول أشياء بلا معنى حمقاء وغالية حتى تضاء مصابيح الشوارع ومن المساكن المتواضعة تخرج القصص المشئومة للمدائن ، تخرج المغامرات ، تخرج الروايات المحببة وعندئذ سوف نسكت نحن ، ويدانا لا تزالان متشابكتين ، لأن روحينا تتحادثان بلا كلمات ولكنك ـ أتذكر الآن ـ

---

(١) mi sorriderai هكذا وردت بالنص وهو الفعل ابتسم فى المستقبل futuro وقد استعملت فى الترجمة فى المضارع بمفهوم المستقبل وسوف يتبع ذلك أى ترجمة المستقبل الى مضارع يفيد المستقبل فى كثير من افعال النص متى عنى الفعل بالايطالية ذلك

(٢) وردت فى النص معرفة nelle favole ولكن أداة التعريف هنا ليست هى المقصود وليس هى التى عليها المعول وقد يكون من الأنسب بالنسبة للأسلوب فى العربية الا تعرف

(٣) وردت فى النص هكذا morti معناها « الميتة » أو « الهالكة » ، وربما يكون استعمال كلمة مندثرة هى أقرب للمعنى المقصود بهذه الأساطير فهى ليست ميتة من حيث انها جامدة بلا حركة والا فما كان تاه فيها وانما المقصود انها قديمة جدا كما نفهم من سياق القصة العام

أبدا لن تقولى لى أشياء بلا معنى حمقاء (١) وغالية   ولا يمكنك اذن أن تحبى أيام الآحاد تلك التى عنها أتحدث   ولا روحك تعرف أن تحدث روحى فى صمت ، ولا عدت تعرفين فى الساعة المناسبة سـحر المدائن ، ولا الآمال التى تهبط من الشـمال   أنت تفضلين الأضواء ، الزحام ، الرجال الذين ينظرون اليك ، الشـوارع التى يتقولون عن لقاء الحظ فيها   أنت مختلفة عنى ولو جئت فى ذلك اليوم للتنزه لتشاكيت بأنك متعبة ، ليس الا

أود كذلك لو اذهب معك فى الصيف الى واد منعزل   ضاحكين بلا انقطاع على أبسط الأشياء ، لنستكشف أسرار الغابات ، والطرقات البيضاء ، والدور المهجورة   نتوقف فوق القنطرة الخشبية ننظر الى الماء العابر   نسمع فى أعمدة التلغراف تلك القصة اللانهائية الطويلة التى تأتى من آخر الدنيا ومن يدرى الى أين ذاهبة هى   وننزع زهور المروج وهنا ، نتمدد على العشب فى سـكوت الشـمس نتأمل أهوية السـماء والسحابات الخفيفة البيضاء العابرة وقمم الجبال   وسوف تقولين أنت « يا له من جمال ! » لن تقولى غير ذلك لأننا سنكون سعيدين فجسدنا قد فقد ثقل السنين ، وصارت روحانا منتعشتين كما لو أنهما ولدتا حينئذ

لكنك ــ أذكر الآن ــ ستنظرين فيما حولك بلا فهم ــ وهذا ماأخشى ــ وتتوقفين منشغلة بفحص جورب ، وتطلبين منى سيجارة أخرى ، تواقة كى نعود   ولن تقولى « يا له من جمال ! » ، بل أشـياء أخرى تافهة لا تعنينى فى شىء ٠ لأنك ــ واأسفاه ــ خلقت هكذا. ولن نكون ولو للحظة واحدة سعيدين ٠

---

(١) وردت بالنص stupide وهى صفة جمع مؤنث .agg. f. p. 1 ومعنى الصفة (أ) احمق أو غبى ، أو تافه عبيط ولا سـيما التعبيرات التى تتطلب نغمـة مثيرة مثيرة
sciocco, ottuso soprattutto in espressioni che presuppongono un tono irritato.

(ب) متبلد أو متكاسـل أو متباطىء   intorpidito

(جـ) ملهول أو مندهش او متحير sbalordito   attonito

وقد ترجمت الكلمة بـ (حمقاء) وربما تكون أقرب فى محافظتها على المعنى من كلمة (غبية) أو (بلهاء) وكذلك أقرب فى المحافظة على شاعرية الجو العام للقصة فان مدلول كلمة (أحمق) أصبح فى الاستعمال اليومى مختلفا عن المعنى الأصلى   وكذلك الحال فى كلمة   stupide   الايطالية فقد يكون المعنى المقصود هو (طائشة) أو (فارغة) أو (خاوية)   كما يمكن أن تكون كلمة (نزقه) فى نفس مستوى كلمة (حمقاء)

أود أيضـــا ـ دعيني أقول ـ أود لو طوقتــك بذراعي وعبرت بك الشوارع الكبيرة بالمدينة عند غروب من نوفمبر ، حيث تكون السماء من البللور النقى ، حيث تجرى أشباح الحياة فوق القباب ، وتحف بالناس السود (١) ، فى عمق جب الشوارع التى تفيض بالقلق عندما تمر فـــوق الأرض ذكريات أزمنة سعيدة وتنبؤات جديدة تاركة وراءها لونا من الموسيقى بكبرياء الاطفال البرىء سوف ننظر فى وجوه الآخرين ، آلاف وآلاف تنساب بجوارنا كالأنهار سوف ينبعث منا دون أن ندرى ضوء البهجة وسوف يظل الجميع مشدوهين للنظر الينا ، ليس من قبيل الحسد أو ســوء النية ، بل مبتسمين قليلا بروح طيبة (٢) لأن المساء يشفى ضعف الانســـان لكنك ـ أعرف ذلك جيـدا ـ بدلا من أن تنظرى الى السماء البللورية والأعمدة المرتفعة فى الهواء المطروقة بشمس الغروب القصية ستؤدى الوقوف لتنظرى الى واجهـات المحلات الحلى (٣) النفائس (٤) الحرائر تلك الأشياء التافهة (٥) ولذا لن تلاحظى الأشباح ولا الهواجس العابرة ، ولن تشعرى مثلى أنك مدعوة الى مصير عظيم (٦) لن تسمعى ذاك اللون من الموسيقى ، ولن تدركى لماذا ينظر الينا الناس بعيون طيبة انك ستفكرين فى غدك التافه (٧) وبلا فائدة من فوقك التماثيل الذهبية على قمم المسلات شاهرة سيوفها نحو الأشعة الأخيرة • وسوف أكون أنا وحدى

---

(١) وردت بالنص la gente nera وترجمتها المباشرة هى « الناس السود » أو « الناس السوداء » وانما يقصد الكاتب مظهر الناس فى ذلك الضوء الخافت وقت الغروب فى أحد أيام شهر نوفمبر أى فى أواخر الخريف وربما تكون هناك ترجمة أخرى مرادفة فى غرابتها لاستعمال « بوتزاتى » الغريب وهى (الناس الظلال)

(٢) وردت بالنص sentimento di bontà ومعناها المباشر « شعور الطيبة » أو الشعور الطيب ولكن تعبير « روح طيبة » أطوع لانسانية الموقف من جهة وللاسلوب العربى من جهة اخرى

(٣) وردت بالنص gli ori أى فى الجمع « الذهبيات » ولكن من الأفضل الا تجمع لأنها بالعربية الذهب المفرد هنا يعنى الجمع كذلك انما « الذهبيات » قد تعطى معنى الصفة وهناك كلمة أخرى علها تؤدى المعنى وهى (الحلى)

(٤) وردت بالنص le ricchezze ومعناها المباشر الثروات وبطبيعة الحـال المقصود هنا هو النفائس كما وردت بالترجمة بأعلى على اعتبار أنها معروضة بالمحلات

(٧،٥) كلتاهما صفتان ترجمتا بكلمة واحدة فى العربية رغم أنهما فى الايطاليـة مختلفتين أما الكلمة العربية فهى التافهة وأما بالايطالية الأولى فكانت le mischine والثانية كانت povere وكلتاهما تعنى الفقر والبؤس

(٦) وردت بالنص orgolioso ومعناها المباشر « المتشامخ » وربما الجرس هنا يفضل كلمة العظيم

لا فائدة ربما يكون هـــذا كله هراء وتكونين أفضل منى
لا تنتظرين كثيرا من الحياة ربما تكونين أنت على صواب وأن تكون
محاولتى غباء ولكن على الأقل ، نعم على الأقل ، أود لو أراك ثانية • ليكن
ما يكون ، سوف نظل معا بطريقة ما ، وسوف نحظى بالسعادة لا يهم
ان كان نهارا أم ليـلا ، صـيفا أم شـــتاء ، فى بلد مجهول ، فى بيت
متواضع (١) ، فى فندق فقير ســـوف يكفينى أن تكونى بجوارى
أعاهدك أننى لن أبقى هنا لأنصـت الى طقطقة (٢) السـقف العتيق (٣)
الغامضة ، ولن أنظر الى السحب ، ولن اعير الموسيقى أو الريح انتباها
سوف أهجر هذه الأشياء عديمة الفائدة ، التى رغم ذلك أحبها • سوف
أصبر اذا لم تفهمى ما أقول لك ، اذا ما كلمتنى عن أمور غريبة عنى
اذا ما شكوت من الملابس القديمة ومن قلة النقود • لن يكون هناك المدعو
شعرا أو الآمال الشائعة ، أو الأشجان صديقة الحب دائما لكنك
سوف تكونين بجوارى ، وسوف نحظى ، ستشرين بالسعادة الكافية ، فى
بساطة بالغة ، رجل وامرأة ، فقط كما يحدث عادة بكل جزء من العالم

لكنك ــ أعتقد الآن ــ بعيدة جدا ، مئات ومئات الكيلو مترات صعبة
الاجتياز موجودة أنت داخل حياة أجهلها ، والرجال الآخرون بجوارك ،
لهم من الجائز تبتسمين ، كشأنك معى فى الماضى لم يعوزك وقت طويل
كى تنسينى ربما لا تنجحين فى تذكر اسمى فقد خرجت منك (٤)
ضائعا بين الظلال العديدة ومع ذلك لا أســـتطيع أن أفكر الا فيك ،
ويسرنى أن أقول لك هذه الأشياء •

---

(١) وردت بالنص disadorna المعنى الأساسى هو بيت بلا زينة والمقصود هو البيت المتواضع

(٢) وردت بالنص gli scricchiolii وهو نوع من الصوت عبارة عن تتابع من الأصوات المزعجة الخفيفة والحادة اشبه بالصرير كصوت جرش الثلج مثلا

(٣) كلمة العتيق اضيفت فى الترجمة اذ أن السقف الذى يصدر هذا الصوت لا بد أن يكون خشبيا فلا بد أن يكون اذن عتيقا •

(٤) وردت بالنص Io sono ormai uscito da te والترجمة المباشرة هى « اننى خرجت منك » كما وردت باعلى ولعل التعبير العربى (خرجت من حياتك) هو الدارج فى هذا المقام الا أن خروجه فى الحقيقة لم يكن من حياتها فقط بل تعداه الى الخروج من ذاتها أو من تركيبتيهما نلحظ ذلك من خلال وشائج الترابط القوية المنثورة على مدى القصة كلها وعلى موقفيهما بعد ذلك ويتأكد هذا المعنى اذا عدنا الى الكلمات الأولى فى القصة « أود لو أنك أتيت الى فى امسية من امسيات الشتاء حيث يلتصق كل منا بالآخر e stretti insieme ومن هنا ربما يكون من الأفضل أن نلتزم بالترجمة المباشرة

٥ ـ الكلب الذى رأى الله[١]

- ١ -

بسوء نية خالصة ترك العجوز « سبيريتو » ، صاحب مخبز بلدة « تيس » تركة ليرثها ابن اخيه « ديفينديتتى سابورى » بشرط واحد : انه لمدة خمس سنوات ، وكل صباح ، كان عليه أن يوزع على الفقراء ، وفى مكان عام ، خمسين كيلو جراما من الخبز الطازج ان فكرة قيام ابن أخيه الذى يعد من أوائل غير المؤمنين السبابين فى بلد المحرومين ، بما يسمى بفعل الخير على مرأى من الناس ، أن هذه الفكرة لابد قد دفعت العم حتى قبل أن يموت الى كثير من الضحكات الخفية ٠

كان « ديفينديتتى » وهو الوريث الوحيد ، قد عمل فى المخبز منذ أن كان صبيا ، لم ينتبه شك أبدا فى أن ممتلكات «سبيريتو» سوف تؤول اليه عن استحقاق تقريبا أغاظه هذا الشرط ، ولكن ما العمل ؟ أيلقى بكل خيرات الله تلك ، بما فيها المخبز ؟ تماشى مع هذا آخذا فى

(١) فى بعض مواقف هذه القصة يستخدم بوتزاتى زمن المضارع او المضارع الوصفى presente storico حتى يكسب هذه الأحداث فعالية ديناميكية وقد اخذ بذلك فى الترجمه طوال هذه القصة بما يتلاءم مع طبيعة الاسلوب العربى

تسديد اللعنات أما عن المكان العام فقد اختـــار أقل الأماكن رؤية مدخل الفناء الصغير الذى كان ينفرج خلف المخبز وهنا كان يظهر كل صباح باكر وهو يزن الخبز المقرر (كنص الوصية) ويكومه فى سلة كبيرة ثم يوزعه على شرذمة شرهة من الفقراء ، وهو يقرن العطية بالشتائم والمزح غير المحتشمة فى حق العم الراحل خمسون كيلو فى اليوم ! كان يبدو له غبيا ولا أخلاقيا

أما مراقب تنفيذ الوصية ، وهو مسجل العقود « ستيفولو » فكان نادرا ما يحضر فى تلك الساعة المبكرة ، ليستمتع بالمنظر كان وجوده على كل حال غير ذى معنى فما من أحد يستطيع أن يراقب أمانة تنفيذ شرط الوصية خير من المتسـولين أنفسـهم على كل حال فقد انتهى « ديفيندينتى » الى تدبير حل جزئى كانت السلة الكبيرة التى يكدس فيها نصف قنطار الخبز ، توضـع بجوار الحائط وفى الخفاء فتح « سابورى » بها بابا صغيرا لا يستطيع أحد أن يكتشفه متى أغلق كان قد اعتاد أن يرحل بعدما يبدأ التوزيع بنفسه تاركا زوجته وأحد الصبية لاتمام العمل ، وكان يقول ان المخبز والمحل فى حاجة اليه لكنه فى الحقيقة كان يسارع الى المخزن ويصعد فوق أحد المقاعد ويفتح فى صمت طاقة احدى النوافذ الصغيرة على حافة أرضية الفناء وقد وضعت السلة أمامها ، ثم يفتح باب القش الصغير ويسلب من قاع السلة أكثر ما أمكن من الخبز هكذا كان مستوى السلة يهبط بسرعة ولكن كيف يمكن للفقراء أن يدركوا ؟ فمع السرعة التى كان يتم بها تسليم الخبز ، كان منطقيا أن تفرغ السلة فى التو

فى الأيام الأولى كان أصدقاء « ديفيندينتى » يتعمدون تقديم المنبه كى يذهبوا لرؤيته وهوفى وظيفته الجديدة كانوا يقفون فى مجموعات صغيرة لدى باب الفناء يراقبونه هازلين « فليكافئك الله ! » « ايه هل تعد لنفسك مكانا فى النعيم ؟ شاطر يارجلنا المحسن » هكذا كانت تأتى تعليقاتهم

فكان يجيبهـم قائلا « على روح تلك الرمة » وهـو يلقى بالخبز وسط حشد المساكين المتقيحين الذين كانوا يقتنصونه وهو فى الهواء وكان يبتسـم ساخرا وهو يتذكر الحيلة الجميلة جـدا التى بها يغدر بأولئك التعساء وكذلك بروح عمه الراحل

- ٢ -

في الصيف نفسه ، جاء الناسك العجوز « سيلفيسترو » ، لما علم أن لله وجودا (١) قليلا في تلك البلدة ، ليقيم على مقربة منها كانت توجد على بعد حوالى عشرة كيلو مترات من « تيس » فوق أحد التلال المنعزلة أطلال كنيسة قديمة أحجار أكثر منها أى شيء آخر ، هنا أقام « سيلفيسترو » فقد وجد ماء في نبع قريب ، وأخذ ينام في ركن تحميه بقية من قبة ، ويأكل حشائش وخروبا ، وفي النهار غالبا ما كان يصعد ليسجد عند القمة فوق صخرة ضخمة يتأمل الرب

من عل كان يميز منازل « تيس » وأسقف بعض المنازل القريبة المهجورة من بينها أطراف (٢) «فوسا» ، « آندرون» و «ليمينا» ، لكنه عبثا انتظر أن يظهر أحد كانت صلواته الحارة تصعد الى السماء من أجل أرواح هؤلاء الخطاه دون نتيجة لكن « سيلفيسترو » مع ذلك كان مستمرا في التعبد الى البارىء ، فينهج الأصوام ، ويتناجى ، عندما يكون حزينا ، مع الطيور لم يحضر أى انسان . في ليلة لمح ـ وهذا حقيقى ـ اثنان من الصبية يرقبانه من بعد ناداهما بمحبة لكنهما هربا

- ٣ -

لكن أثناء الليل ، وفي اتجاه الكنيسة المهجورة ، بدأ فلاحو المنطقة يلحظون أنوارا غريبة كان يبدو كحريق الغابة لكن الوميض كان أبيض وكان يخفق بطلاوة وذات مساء ذهب « فريجيميلكا » ذلك الذى يعمل في القمينة ، يدفعه الفضول للاستطلاع ، لكن عطبا أصاب دراجته البخارية في منتصف الطريق من يدرى لماذا لم يخاطر باستكمال المسير على قدميه ، عندما عاد قال ان هالة من النور كانت تشع من تل

---

(١) وردت بالنص Saputo che Dio in quel paese ce'eiapoco
وقلة الوجود هنا ليست بمعنى عدم الوجود بشكل كلى وانما تعنى المعنى النسبى أى موجود لكن ليس كثيرا ، وهو نهج اتبعه Dino Buzzati اكثر من مرة فى هذه القصة في اطلاق صفة القلة والكثرة على وجود الله كما استخدم هذا النهج أيضا فى قصة اخرى ليست ضمن هذه المجموعة المترجمة وعنوانها قصة عيد الميلاد
Racconto di Natale

(٢) frazioni ولها معان عدة منها أجزاء ومنهـا مجموعات من المنازل الملتصقة أو البعيدة عن مركز البلدة

الناسك ، وأنه لم يكن نور نار أو مصباح ، بلا صعوبة استخلص الفلاحون أن ذلك هو نور الله ٠

حتى من « تيس » كان يظهر انعكاس النور فى بعض الليالى لكن مجىء الناسك ، وأعاجيبه ثم أنواره الليلية غاصت فى لامبالاة أهل البلدة المعهودة حيال كل ما يتعلق بالدين ولو من بعيد لو حدث أن جاء هذا الحديث ، فانهم كانوا يتكلمون عنه كما لو كانت واقعة معروفة منذ وقت بعيد ، وما كانوا يصرون على ايجاد تفسيرات ، وأصبحت جملة « الناسك يشعل النيران » جارية الاستعمال كقولهم « هـذه الليلة سـتمطر أو ستهب (١) الريح »

أما أن هذه اللامبالاة الشديدة كانت نابعة عن شعور مخلص فقد أكدت ذلك الوحدة التى ترك فيها « سيلفيسترو » فان فكرة الذهاب اليه للحج كانت سوف تبدو قمة الملهاة

- ٤ -

ذات صباح بينما كان « ديفينديننى سابورى » يقوم بتوزيع الخبز على الفقراء دلف كلب الى الفناء كان فى مظهره حيوانا ضالا ، فيه شىء من السمنة ذا شعر كثيف ، ووجه أليف ينسل من بين المتسـولين المنتظرين ، يصل الى السلة ، يلتقط رغيفا وينصرف بطيئا بطيئا ليس كلص ، بل كشخص جاء ياخذ مما له

يصيح « ديفينديننى » وهو يبحث عن اسم للكلب «ايه يا فيدو» ، تعالى يا حيوان يا قبيح ، « ويقفز لملاحقته ٠ كثيرون هم هؤلاء المتسولين ٠ لم يبق الآن ، الا الكلاب ! » لكن الحيوان قد صار بعيدا عن مرماه

نفس المنظر فى اليوم التالى نفس الكلب ، نفس المناورة هـذه المرة يلاحق الحيوان حتى الطريق يقذفه بالحجارة دون أن يصيبه

الجميل أن السرقة كانت تتم فى ميعادها تماما كل صباح عجيب مكر الكلب فى اختيار اللحظة المناسبة ، مناسبة بحيث لم تكن لديه أية

---

(١) ستمطر وردت بالنص هكذا piove وهو فعل مضارع presente انما استخدم بمعنى المستقبل futuro وكان لا بد ان يترجم فى العربية فى صيغة المستقبل ومعناه (امطر) هذا ينطبق كذلك على يهب tira

حاجة للعجلة · والحجارة المقذوفة وراءه ما تصل أبدا للهدف · وتنفجر فى كل مرة ضحكة جماعية حمقاء من لمة الدهماء ويجن جنون الفران

وهاج « ديفيندينتى » كحيوان ، وفى اليوم التالى تربص عند عتبة الفناء ، مختبئا وراء ضلفة الباب وفى يده هراوة لا فائدة · ربما يختلط بزحام الفقراء ، الذين يستمتعون باللعبة ولذا لم يكن لديهم من سبب لخيانته فيدخل الكلب ويخرج دون أن يمسه أذى

«ايه ، حتى اليوم عملها» يعلنها أحد الشحاذين المتوقفين بالطريق فيسأله « ديفيندينتى » وهو يقفز من مخبأه أين ؟ أين ؟ يشير البائس ضاحكا وهو يتلذذ بغضب الفران « أنظر كيف يهرب ! »

لم يهرب الكلب فى الحقيقة بأية طريقة انما هو يبتعد آخذا الرغيف بين أسنانه بخطوات مسترخية وهادئة كخطوات من له ضمير مرتاح

هل يغض طرفه ؟ لا ، فان «ديفيندينتى» لا يحتمل هذه الدعابات ولأنه لم يستطع أن يضيق عليه الخناق فى الفناء ، ففى الفرصة القادمة السانحة سوف يطارد الكلب فى الشارع فمن الجائز كذلك ألا يكون الكلب ضالا تماما ، ربما له مأوى ثابت ، أو له صاحب يستطيع أن يطلب منه تعويضا أما هكذا فانه لا يمكنه أن يستمر بالتأكيد فى الأيام الأخيرة · تأخر « سابورى » فى النزول الى المخزن كى يرقب ذلك الحيوان القمىء وهكذا استرد خبزا أقل بكثير من المعتاد انها نقود تضيع

حتى محاولة عقاب الحيوان برغيف مسموم وضع على الأرض عند باب الفناء ، لم يحالفها التوفيق شمه الكلب لحظة ، واستأنف طريقه فورا تجاه السلة هكذا على الأقل قال الشهود ·

- ٥ -

لكى يتقن الأمر فقد كمن « ديفيندينتى سابورى » تحت احدى البوابات ، فى الجانب الآخر من الطريق ومعه الدراجة وبندقية الصيد الدراجة كى يطارد الحيوان ، والبندقية ليقتله اذا وجد أنه أنه بلا صاحب يسأله التعويض كان يؤلمه فقط تذكره أن السلة ذاك الصباح ستفرغ عن بكرة أبيها لصالح الفقراء

من أى مكان وبأية طريقة أتى الكلب ؟ حقا انه لسر لم ينجح

الفران فى أن يلحظ مقدمه ، مع أنه بقى مفتوح العينين لحظة فيما بعد يخرج رابط الجأش ، والرغيف بين أسنانه وأصداء ضحكات عالية تصل من الفناء انتظر « ديفيندينتى » أن يبتعد الحيوان بعض الشيء ، حتى لا يشعر به ، ثم قفز على كرسى الدراجة واقتفى أثره

كان الفران ينتظر ، كاحتمال أول ، أن يتوقف الكلب بعد قليل ليلتهم الرغيف ، لكن الكلب لم يتوقف • كان قد تخيل أيضا أنه ، بعد خطوات قليلة ، سوف يعرج على باب أحد المنازل غير أنه لم يفعل كان الكلب يهرول ورغيفه بين أسنانه بحذاء الحوائط بخطوة منتظمة دون أن يتـوقف ليتشمم ، أو ليبـــول ، أو ليستطلع بفضــول الكلاب المعهود أين اذن سيقف ؟ كان « سابورى » ينظر الى السماء الرمادية • لو سقط المطر فليس هناك ما يدعو للاندهاش »

عبرا ميــدان « سانت أنييزى » ، ثم مرا على المدارس الابتدائية ، ومحطة السكة الحديد والمغسل العمومى كانا حينئذ عنـد أطراف البلدة تركا أخيرا الملعب الرياضى أيضـا وراء ظهريهمـا وتوغلا فى الحقول منذ أن خرج من الفناء ، لم يلتفت الكلب وراءه أبدا ربما كان لا يدرى أنه مراقب

الآن عليه أن يهجر الأمل فى أن للحيوان صاحبا يمكنه أن يتحمل نتيجة أفعاله انه اذن كلب ضال واحد من تلك الحيوانات التى تغير على حظائر الفلاحين ، فتسرق الدجاج ، وتعض العجول ، وترعب العجائز ثم ينتهى بها الأمر الى المدينة لتنشر بها الأمراض القذرة

ربما كان الحل الوحيد هو أن يرميه بالرصاص ولكن كى يرميه بالرصاص عليه أن يقف وينزل من على الدراجة ، وينزع البندقية من على كتفه وفى هذا الكفاية حتى يصبح الحيوان خارج مرمى النيران وان لم يسرع الخطى فاستأنف « سابورى » المتابعة •

- ٦ -

ظلا فى مسيرهما ، ها هى ذى الغابات تلوح عرج الكلب الى طريق جانبى ثم الى آخر أكثر ضيقا لكنه ملس وسلس

كم من طريق قاما باجتيازه ؟ ربما ثمانى أو تسع كيلو مترات ولماذا لم يتوقف الكلب ليأكل ؟ ماذا ينتظر ؟ أم أنه يحمل الرغيف الى

احد ما ؟ وما أن ازدادت الأرض انحدارا حتى اتجه الكلب أخيرا الى درب صغير لم تعد الدراجة بقادرة على التقدم لحسن الحظ فان الحيوان كذلك أبطأ الخطى قليلا نظرا لحدة ميل الأرض قفز « ديفينديتنى » من فوق الدراجة واستأنف المتابعة على قدميه لكن الكلب أخذ يبتعد عنه شيئا فشيئا

ولما ناله التعب شرع فى اطلاق قذيفة وعندئذ رأى على قمة منحدر قاحل ، صخرة كبيرة وفوق الصخرة رجل ساجد حينئذ عاد الى ذهنه الناسك والأنوار الليلية وكل تلك الخزعبلات المضحكة يهرول الكلب فى استسلام صاعدا على المرعى الهزيل

توقف « ديفينديتنى » والبندقية مازالت فى يده ، على مقربة خمسين مترا رأى الراهب يقطع صلاته ، ويهبط من فوق الصخرة برشـــاقة فريدة نحو الكلب الذى كان يهز ذيله واضعا له الرغيف عند قدميه أخذ الناســك الرغيف من الأرض ، وقطع كسرة منه ووضعهـــا فى خرج يحمله فوق عنقه والباقى أعاده للكلب مع ابتسامة

كان الناسك ذا جســـم هزيل لكنه صـحيح وشـــديد مرتديا رداء الرهبان ، تبدو على وجهه امارات خفة الظل ، لا يعوزها شىء من المكر الصبيانى حينئذ تقدم الفران عازما على أن يثبت حقوقه

«مرحبا بك يا أخى» هكذا عاجله «سيلفيسترو» عنـــــدما رآه يقتـــرب « ما الذى جـــاء بك الى هذه الناحيـــــة ؟ هل أنت فى رحلة صيد ؟ ؟ » .

فأجابه «سابورى» بخشونة «الحقيقة كان فى نيتى اصطياد اصطياد حيوان قمىء بالذات ، حيث انه كل يوم »

قاطعه العجوز «آه ، اهو انت ؟ اهو انت الذى يبعث لى كل يوم بهذا الرغيف الطيب ؟ انه خبز للســادة هذا ترف لم أكن أعرف انى أستحقه ! »

«طيب ؟ اتحدى انه طيب ! طازج خارج من الفرن حرفتى وانا أعرفها ، ياسيدى العزيز لكنه لم يجهز من أجل السرقة ! »

احنى «سيلفيسترو» رأسه وهو يحملق فى الحشائش ثم قال فى شىء من الحزن « فهمت لك حق فى شكواك ، لكننى لم أكن أعلم هذا يعنى ان « جاليوني » لن يذهب بعـد الآن الي البلدة ··· سوف

ابقيه هنا معى باستمرار ... فينبغى الا يكون لدى الكلب ايضا مايؤنب ضميره لن يذهب بعد الآن ، اننى اعدك» .

قال الفران وقد هدأ بعض الشيء « أوه جميل ما دام الأمر كذلك ، يستطيع الكلب أن يأتى هناك موضوع وصية لعينة فاننى مجبر أن أرمى كل يوم خمسين كيلو من الخبز للفقراء على أن أهبها لأولئك اللقطاء الذين لا ضيعة لهم ولا حرفة حتى لو وصل رغيف الى هنا فوق فقير زيادة أو ناقص »

« ان الله سوف يكافئك خيرا ، يا اخى .. وصية ام لا ، انت تقوم بفعل الخير»

«سوف اكون اكثر سرورا لو لم أفعله» .

« اننى أدرك لماذا تتكلم هكذا انكم تتسمون يابنى الانســـان بنوع من أنواع الخجل انكم تهتمون بأن تظهروا بأســـوأ مما أنتم عليه ، هكذا تسير الدنيا ! »

اما الشتائم التى اعدها «ديفيندينتى» بداخله فلا تخرج ، ســـواء بفعل الارتباك أو ضياع الرجاء فانه يفشل فى أن يغضب ان فكرة أنه الأول والأوحد فى البلدة كلها الذى قرب الناسك من نفسه تملأه غرورا

نعم ، اخذ يفكر ، الناسك هو الناسك ليس ثمة نفع تحصــــل عليه منه ومع ذلك فمن يستطلع الغيب ؟ لو أقام هو صـــداقة سرية مع سيلفيسترو » فمن يدرى انها لن تعود عليه بمنفعة يوما ما يتخيل مثلا أن يأتى العجوز بمعجزة ، فيولع به عامة الشعب ، ويصل من المدينة الكبيرة مطارنة واساقفة ، وتنظم الاحتفـــالات ، والمواكب ، والاعياد الدينية ، اما هو ، « ديفيندينتى سابورى » صفى « القـــديس الجديد ، الذى تحسده كل البلدة ، فيتقلد منصب العمودية على سبيل المثال لم لا فى نهاية الأمر

قال « سيلفيسترو » عندئذ « ما أجمل بندقيتك هذه » وبحركة لاتخلو من رقة نزعها منه بيده . فى هذه اللحظة ، ولا يدرى «ديفيندينتى» لماذا تنطلق قذيفة تهز الوادى ولا تفلت البنـــدقية مع ذلك من يد الناسك

قال له الآخر « الا تخاف من التجـــول بالبنـــدقية محشوة » فنظر اليه الفران بارتياب قائلا : « اظننى لم اعد صبيا » »

استأنف « سيلفيسترو » الحديث فورا وهو يعيد اليه البندقية « هل صحيح أنه ليس بمستحيل أن تجد مكانا يوم الأحد ، فى كنيسة « تيس » ؟ لقد سمعت أنها غير مزدحمة »

« انها خالية كراحة اليد » قالها الفران برضا كامل ، ثم صحح كلامه قائلا « ايه ، اننا قلة نحن المتمسكين ! »

« وفى القداس ، كم تكونون عادة فى القداس ؟ انت وكم غيرك »

« أستطيع ان اقول حوالى ثلاثين فى أيام الآحاد الطيبة ، وبلغ الخمسين فى عيد الميلاد »

« قل لى ، فى « تيس » أو يسبون الدين فى يسر ؟ »

« تبا للمسيح ان لم أك أرسلهم ! العماد والميرون ، والمناولة الأولى يرجوهم احد حتى يسبوا الدين » .

ينظر اليه الناسك ويهز راسه :

« اذن فيمكننا القول ، ان ايمانهم بالله قليل »

« قليل ؟ » يستطرد «ديفيندينتى» هازئا بينه وبين نفسه ثم يقول: « كلهم كفرة »

«وأبناؤك ؟ افترسل ابناءك الى الكنيسة بانتظام .. »

« تبا للمسيح ان لم أك أرسلهم ! العماد والميرون والمناولة الاولى والثانية (١) »

«حقيقى؟ حتى الثانية »

« حتى الثانية ، معلوم ابنى الأصغر كان » لكنه توقف لشكه فى أنه بالغ فى القول

« انك اذن أب مثالى » قالها الناسك بصرامة (لكنه لماذا يبتسم هكذا ؟) . « عد لزيارتى يا أخى . والآن اذهب فى رعاية الرب » ويأتى باشارة وكأنه يباركه

---

(١) لا توجد مناولة ثانية او لا يوجد معنى للمناولة الثانية seconda Comunione كما وردت على لسان « ديفيندينتى » ومن هنا ظهر كذبه ومن هنا جاء السؤال الاستنكارى للناسك حقيقى ؟ حتى الثانية ؟ ثم ياتى تاكيد « ديفيندينتى » فى غباء قائلا « حتى الثانية » .

تأخذ « ديفيندينتى » المفاجأة ، لا يدرى بماذا يجيب وقبل أن يدرك ما يفعل ، أومأ برأسه قليلا راسما علامة الصليب لحسن الحظ لم يكن هناك من شاهد باستثناء !الكلب

- ٧ -

كان الحلف السرى مع الناسك شيئا جميلا ولكنه فقط بالقدر الذى كان يتوه عنده الفران فى أحلامه بأن يصل الى العمودية كان عليه فى الواقع أن يفتح عينيه جيدا فان توزيع الخبز على الفقراء قلل من شأنه فى أعين أهل بلده حتى وان كان الذنب ذنبه لو انهم حضروا الآن وعرفوا أنه قام برسم علامة الصليب ! حمدا للسماء لا يبدو أن أحدا تنبه لرحلته ، ولا حتى صبيان المخبز ولكن ، هل هو فعلا متأكد ؟. وكيف يعالج مسألة الكلب ؟ لم يكن ليستطيع أن يمنع عنه الرغيف اليومى بشكل يحفظ مكانته وما كان يستطيع أن يقدمه تحت أنظار الشحاذين والا صاغوا منه أسطورة

لذلك ففى اليوم التالى ، وقبل أن تبزغ الشمس ، اتخذ « ديفيندينتى » مكانه بالقرب من أحد المنـــازل على الطريق المؤدى الى التلال • وما ان ظهر «جاليونى» حتى ناداه بصفارة تعرف عليها الكلب واقترت منه ، عندئذ سحبه الفران ، وهو ممسك الرغيف بيده ، الى كوخ خشبى صغير بجوار المخبز كان يستخدم كمخزن للخشب هنا ، وتحت احدى الأرائك وضع الرغيف،كى يرشد الكلب أن عليه فى المستقبل أن يسحب طعامه من هنا •

فعلا جاء الكلب « جاليونى » ، فى اليوم التالى ، كى يأخذ الرغيف من تحت الأريكة المتفق عليها ، ولم يره « ديفيندينتى » ولم يره المتسولون

كان الفران يذهب كل يوم ليضع الرغيف فى الكوخ الخشبى الصغير قبل أن تشرق الشمس وكذلك الحال والخريف الآن يتقدم وأصبح النهار أقصر كان كلب الناسك يتـوه فى ظلال أضـــواء الغسق الصباحية الخافتة وأصبح « ديفيندينتى سابورى » هكذا هادئا بما فيه الكفاية وكان يمكنه أن يتفرغ لاسترداد الخبز المخصص للفقراء من خلال باب السلة السرى

- ٨ -

مرت الأسابيع والشهور الى أن حل الشتاء بأزهار الصقيع عـلى النوافذ ، بالمداخن تنفث دخانها طوال اليوم بالناس متدثرين ببعض

العصافير الصغيرة صعقها بزوغ الصباح أسفل السياج (١) وبدثار الجليد الخفيف على التلال

فى ليلة ثلجية ساطعة النجوم هناك ناحية الشمال فى اتجاه الكنيسة القديمة المهجورة ، لوحظت أنوار عظيمة بيضاء ، أنوار لم يشهد أحد مثلها من قبل حاق « بتيس » نوع من أنواع الهول ، أناس يقفزون من الفراش ، مصاريع النوافذ تفتح ، نداءات من بيت لآخر وجلبة فى الطرقات • ثم عندما فهموا أنها واحدة من أنوار « سيلفيسترو » المعهودة ، وأنها ليست سوى نور الله جاء لتحية الناسك فان الرجال والنساء أوصدوا النوافذ ودخلوا بمرة أخرى تحت الأغطية الدافئة قانطين بعض الشيء وهم يلعنون الهول الزائف

فى اليوم التالى انتشر بتثاقل خبر مجهول المصدر أن « سيلفيسترو » العجوز قد مات بالليل متجمدا من البرد

— ٩ —

وحيث ان دفن الموتى اجبارى بقوة القانون فقد ذهب اللحاد وأحد البنائين ، واثنان من الفعلة كي يواروا الناسك التراب ، واصطحبهم « دون طابيه » قمص كنيسَة البلدة الذى كان قد فضل دائما أن يتجاهل وجود الناسك داخل حدود أبروشيته وضع صندوق الموتى فوق عربة يجرها حمار صغير

وجد الخمسة « سيلفيسترو » مستلقيا فوق الجليد وذراعاه على هيئة الصليب الجفنان مسبلان فى وضع القديسين تماما وبجواره جلس الكلب « جاليونى » يبكى

وضع الجثمان فى الصندوق ، ثم تليت الصلوات ، وأقبروه بالمكان ، تحت القبة الباقية من الكنيسة فوق المدفن وضع من الخشب ثم عاد « دون طابيه » مع الآخرين ، تاركين الكلب متكوما فوق المقبرة فى البلدة لم يسألهم أحد تفسيرا

لم يظهر الكلب ثانية ففى الصباح التالى،عندما ذهب «ديفيندينتى»

---

(١) وردت بالنص Siepe وهو اسم مؤنث s.f. معناه

ا ــ واقى حقلى riparo a camoı

ب ــ اراض وحدائق بالفرع اه باعواد

terreni e giardini conrami o canne.

ليضع الرغيف المعتاد تحت الأريكة وجد رغيف اليوم السابق مازال باقيا وكان الخبز ما زال هناك في الأيام التالية أكثر جمودا بعض الشيء وكان النمل قد بدأ بالفعل يحفر فيه الخنادق والأنفاق · ومع مرور الأيام بلا جدوى ، توقف « سابورى » أيضا عن التفكير فى ذلك

- ١٠ -

لكن بعد مضى أسبوعين وبينما يلعب « سابورى » الورق مع المعلم « لوتشوفى » والفارس « برنارديس » فى مقهى « تشينيو » اذ بشاب ، يمعن النظر الى الشارع فيصيح ياه الكلب ياه ! »

يفزع « ديفيندينتى » وينقل بصره فى سرعة ان كلبا قبيحا وهزيلا يتقدم فى الشارع يترنح من جانب لآخر وكأن راسه مصاب بدوار ! انه على وشك الموت جوعا ان كلب الناسك ـ كما يذكره سابورى ـ أسمن وأكثر حيوية بالتأكيد لكن من يدرى ما يؤول اليه حيوان بعد أسبوعين من الصوم ولدى الفران انطباع بأنه يعرفه ربما استسلم الكلب للجوع بعد أن ظل مدة طويلة يبكى فوق المقبرة فترك سيده ونزل يبحث عن طعام فى البلدة

« قريبا سوف تصعد روحه » (١) هكذا يقول ديفيندينتى » متضاحكا ليظهر عدم اكتراثه

عندئذ يقول « لوتشونى » بابتسامة مريبة وهو يلم مروحة أوراق اللعب « أرجو ألا يكون هو ذاته »

« هو من ؟ » ·

فيستأنف «لوتشونى» كلامه قائلا «أرجو ألا يكون كلك الناسك» · يتحمس بطريقة غريبة الفارس « برناردیس » بطىء الفهم (٢)

---

(١) وردت بالنص tira la cuoia وهو تعبير espressione يعنى أنه يموت ولذلك فقد استعمل تعبير « تصعد روحه » حتى يحمل فكرة المزاح بالعربية وهو ما أراد ان يعبر عنه الكاتب باستخدامه لذلك التعبير ومعناه المباشر يشد الجلد

(٢) وردت بالنص tordo di com prendonio ومعناها بطىء الفهم وهو تعبير لا يستخدم الا فى مقام السخرية أو الفكاهة

« لكننى رأيت ذلك الكلب من قبل أننى رأيته بالذات فى هذه الناحية ، ألم يكن ملكا لك من قبل يا « ديفينديننى » ؟

« ملك لى ؟ وكيف يتسنى أن يكون لى ؟ »

يؤكد « برنارديس » قائلا « أرجو ألا أكون مخطئا لكن يبدو لى أننى رأيته ناحية مخبزك »

فيحس « سابورى » بعد الارتياح ويقول « أيه يتجول هناك كثير من الكلاب ، ومع ذلك يجوز ، لكننى بالتأكيد لا أذكر »

فيؤكد « لوتشونى » برأسه فى جدية كما لو كان يكلم نفسه ثم يضيف « نعم ، نعم لا بد أن يكون هو كلب الناسك »

فيسأله الفران وهو يحاول الضحك : « ثم ولماذا ؟ ثم ولماذا لابد ان يكون ذلك هو كلب الناسك بالذات ؟ »

« معقول ، فاهم ؟ الهزال معقول ، أحسبها لقد بقى أياما عديدة فوق المقبرة ، هكذا تفعل الكلاب دائما ... ثم واتته الشهية ... وها هو فى البلدة ... » .

يسكت الفران بينما الحيوان يجوب بنظره من حوله ويحملق لحظة من خلال زجاج المقهى فى الرجال الثلاث الجالسين يتمخض الخباز

يقول الفارس « برنارديس » « نعم أننى رأيته من قبل ، أكثر من مرة رأيته ، بالذات ناحيتك » ثم ينظر الى « سابورى »

يقول الفران « جائز ، جائز ، أنا لا أذكر »

ويقول « لوتشونى » بابتسامة ماكرة « كلب كهذا أنا لا أحتفظ به عندى ولو فى مقابل ذهب الدنيا كله »

فيسأله «برنارديس» مفزوعا «مسعور ؟ هل تعتقد أنه مسعورا ؟»

« أى مسعور ! بالنسبة لى لا يعطينى اى آمان كلب كهذا كلب رأى الله ! »

« ماذا تعنى بأنه رأى الله ؟ » .

« الم يكن كلب الناسك ؟ ألم يكن معه عندما كانت تسطع تلك

الأنوار ؟ أعتقد أن الجميع يعرفون ماذا كانت هذه الأنوار ! والكلب ألم يكن معه ؟ أتريد أن تقول أنه لم يرها ؟ أتريد أن تقول أنه كان نائما فى حضور منظر كهذا ؟ » ويضحك فى استمتاع

ويعود الفارس قائلا « هراء ! من يدرى ماذا كانت تلك الأنوار أما من شيء غير الله (١) ! متى هذه الليلة ظهرت »

فيقول « ديفيندينتى » بأمل واه « أتقول هذه الليلة ؟ »

« بعينى رأسى رأيتها لم تكن قوية كالمرات السابقة ، لكنها ظهرت بوضوح »

« لكن أمتأكد أنت ؟ هذه الليلة ؟ »

الليلة تبا لك ٠ هى الأنوار السابقة نفسها أتريد أن تقول ان الله موجود هذه الليلة ؟

أما وجه « لوتشونى » فيبتسم بمكر فائق « ومن قال لك ، من قال لك ان أنوار هذه الليلة لم تكن من أجله ؟ »

« من أجل من ؟ »

« من أجل الكلب طبعا ربما هذه المرة بدلا من الله ذاته كان الناسك قد نزل من النعيم رآه متوقفا على قبره فقال لنفسه ويح كلبى المسكين ومن ثم نزل ليقول له أن يكف عن التفكير فيه فقد بكاه بما فيه الكفاية وأن عليه أن يذهب ليبحث عن شريحة لحم مشوى ! »

فيصر الفارس « برنارديس » قائلا « وما رأيكم فى أنه كلب من هنا أقسم أنى قد رأيته يجوب حول المخبز »

- ١١ -

يعود « ديفيندينتى » الى البيت برأس مشوش يا له من أمر سخيف كلما حاول أن يقنع ذاته أن ذلك مستحيل ، كلما ذهب به الاعتقاد أنه فعلا كلب الناسك ٠ لا يوجد ما يشغل البال ، بالتأكيد لكن أعليه الآن أن يستمر فى تقديم الرغيف اليه كل يوم ؟ يفكر لو أننى منعت

---

(١) وردت بالنص Altro che Dio وقد ترجمت فى صيغة الاستفهام الاستنكارى دون أن توضع علامة الاستفهام بل علامة التعجب وفقا لما جاء بمعنى النص وما جاء به أيضا من علامة الترقيم وقد استخدم الكاتب هذه الصيغة أكثر من مرة أى سؤال استنكارى بعلامة تعجب ٠

عنه الزاد ، فانه سوف يعود الى سرقة الرغيف فى الفناء ، ساعتها كيف أتصرف ؟ أأطرده بالركل ؟ أطرد كلبا رأى الله ، شئت أم لم أشأ ؟ وماذا أعرف أنا عن هذه الأسرار ؟

انها ليست بالأشياء البسيطة أول كل شيء هل ظهرت حقيقة روح الناسك « لجاليونى » الليلة السابقة ؟ وماذا عساه قال له ؟ هل سحره بطريقة ما ؟ ربما أن الكلب يفهم الآن لغة الانسان من يدرى فى يوم أو آخر ربما شرع هو ايضا فى الكلام يبغى أن ننتظر كل شيء عندما يتدخل الله فى الأمور ، كم من أشياء تحكى ! اما هو « ديفينديننتى » فقد سبق له أن كان محلا لكثير من التهكم فكم وكم (١) لو أنهم عرفوا الآن أن لديه هذه المخاوف

ذهب « سابورى » ، قبل أن يدخل البيت ، ليلقى نظرة على الكوخ الخشبى الصغير لم يكن رغيف خمسة العشر يوما الماضية موجودا تحت الأريكة • هل حضر الكلب اذن وحمله بما فيه من نمل وكل شيء ؟

- ١٢ -

لكن فى اليوم التالى لم يحضر الكلب ليأخذ الرغيف ، وكذلك لم يحضر فى الصباح الثالث كان هذا ما يتمناه « ديفينديننتى » لقد مات « سيلفيسترو » وبموته قد انتهى كل وهم فى امكانية استغلاله لصداقته أما فيما يتعلق بالكلب ، فالأفضل أن يبقى بعيدا (١) ومع ذلك فعندما كان الفران يرى مرة أخرى رغيف الخبز ينتظر وحيدا فى الكوخ المهجور فانه كان يحس بالاحباط

ازدادت خيبة أمله عندما رأى « جاليونى » بعد مضى ثلاثة ايام اخر كان الكلب بادى الضيق يغدو فى الميدان بهوائه البارد ولم يعد يبدر أنه ذلك الذى ظهر من خلال زجاج المقهى كان الآن جيد الاستقامة على قدميه ، لم يعد بترنح ، كان مازال نحيفا نعم لكن شعره صار أكثر كثافة وأذناه مستقيمتين وذيله جيد الانتصاب من الذى أطعمه ؟ نظر « سابورى » فيما حوله كان الناس يسيرون فى لا مبالاة ، كما لو أن

---

(١) ورد بالنص se in giro adesso sapessero che lui ha di queste paure !
ومعناها لو فرض انهم عرفوا انه به هذه المخاوف !

(١) ورد بالنص meglio se ne stoss alla larga
وهو تعبير una espressione يعنى ان يبتعد عنه او يتركه وشانه

الكلب لم يوجد وقبل منتصف النهار وضع الفران رغيفا جديدا طازجا مع شريحة من الجبن ، تحت الأريكة المعهودة ، لكن الكلب لم يظهر

من يوم ليوم أصبح « جاليونى » أكثر تألقا اضحى شعره ناعما وكثيفا كشعر كلاب السادة لا بد أن أحدا يعنى به ، وربما كثيرون فى الوقت نفسه كل دون علم الآخر لأهداف خفية ربما كانوا يخشون الكلب الذى رأى أشياء كثيرة ، ربما أرادوا أن يشتروا رضاء الله بثمن بخس دون أن يعرضوا أنفسهم لسخرية أهل البلدة · أو بلا مواربة أكان لكل « تيس » نفس التفكير ؟ وعندما يأتى المساء فهل كان كل بيت يحاول فى الظلام أن يستميل الحيوان اليه ليرضيه بأكلات فاخرة ؟

ربما من أجل ذلك لم يعد « جاليونى » يأتى لأخذ الرغيف ربما كان لديه اليوم ما هو أفضل وما كان أحد يتكلم عن ذلك قط ، حتى ان أثير موضوع الناسك ولو بالصدقة فانهم يسعون الى انهائه فورا كانت الأبصار تزوغ عندما يظهر الكلب بالطريق كما لو كان كلبا من الكلاب الضالة التى تنتشر فى كل بلاد الدنيا · وفى صمت كان «سابورى» يغتاظ كشخص واتته هو أولا فكرة عبقرية ثم أدرك أن الآخرين ـ وهم أكثر جرأة منه ـ استحوذوا عليها فى الخفاء وأعدوا أنفسهم لكسب ميزات لا يستحقونها

- ١٣ -

سواء أكان « جاليونى » قد رأى الله أم لا فهو بالتأكيد كلب الأفنية الحوانيت المطابخ يمكث دقائق كثيرة بلا حراك وهو يلاحظ الناس ثم يغدو صامتا

ماذا كان يختفى وراء هاتين العينين الطيبتين والحزينتين ؟ من المحتمل جدا أن تكون قد حلت بهما صورة البارىء فماذا تركت بهما ؟ أيد مرتعشة كانت تقدم للحيوان شطائر الحلوى وأفخاذ الدجاج كان « جاليونى » المتخم يحملق فى عينى الرجل كأنه يريد أن يستكشف تفكيره فكان الرجل يخرج من الحجرة ، لعدم قدرته على المقاومة وفى « تيس » لا تتناول الكلاب النزقة والضالة سوى ضربات العصى والركلات · اما مع هذا فلا أحد يجرؤ

شيئا فشيئا أحس سكان « تيس » (١) أنهم مأخوذون داخل نوع ما من المؤامرة لكن لم تواتهم شجاعة الافصاح عنها كان الأصدقاء القدامى يحملقون فى عيون بعضهم البعض باحثين عبثا عن اعتراف صامت كل يأمل أن يجد شريكا (٢) لكن من ذا الذى عليه أن يبدأ بالكلام ؟ « لوتشونى » فقط ، هو الذى كان يتطرق الى الموضوع بثبات وبلا تحفظ « ياه ! ها هو كلبنا الحاذق القمئ الذى رأى الله ! » كان يصرح بذلك بوقاحة لدى ظهور « جاليونى » ويضحك من طرف ثغره محملقا فى تتابع الأشخاص المحيطين به بنظرات موحية وغالبا ما كان الآخرون يتصرفون كما لو أنهم لم يفهموا ويسألون عن تفسيرات شاردة، يهزون رءوسهم فى رثاء قائلين « أية حكايات ! لكنه أمر مضحك ! خزعبلات نسوة » السكوت ، أو أسوأ منه الانضمام الى ضحكات المعلم كلاهما كان يمكن أن يورطهم فكانوا ينهون الأمر كمزحة طائشة أما لو كان الفارس « برنارديس » موجودا فلا بد أن تجئ اجابته دائما هكذا « أى كلب ناسك هذا • أقول لكم أنه كلب من هنا ، منذ سنوات وهو يجوب فى « تيس » ، كنت أراه فى كل الأيام المقدسة يتجول ناحية المخبز ! »

- ١٤ -

ذات يوم نزل « ديفيندينتى » الى المخزن ليجرى عملية استرداد الخبز المعهود ، رفع سياج النافذة استعدادا لفتح باب سلة الخبز فى الفضاء كانت تتعالى بالخارج ، صيحات المتسولين المنتظرين وصوتا زوجته والصبى اللذين كانا يحاولان أن يحافظا على انتظام الطابور خلصت يد « سابورى » الخبيرة المزلاق ، فتح الباب بدأ الخبز فى الانزلاق بسرعة فى احدى الزكائب فى تلك الأثناء وفى عتمة المخزن رأى بطرف عينه شيئا أسود يتحرك التفت منتفضا لقد كان الكلب

كان « جاليونى » الواقف على باب المخزن يرقب المنظر بهدوء وقور• وبرغم الضوء الخافت كانت عينا الكلب فسفوريتين تسمر « سابورى » كحجر

---

(١) لم يرد ذكر عبارة (سكان « تيس ») فى النص A poca a poco si sentirono ولكن ربما من الأفضل لو ذكرت بالعربية فى الترجمة لان الجملة طويلة قد لا تتحمل الفاعل المستتر il soggetto sottonteso كالايطالية

(٢) وردت بالنص complice ومعناها شريك فى جريمة او فى ذنب

« جاليونى جاليونى » هكذا بدأ يتلعثم بنغمة مهدهدة ومدللة « تعال ، يا « جاليوتى » ، يا طيب تعال هنا خذ ! » ورمى اليه رغيفا لكن الكلب لم ينظر اليه استدار ببطء متجها الى السلم كما لو أنه اكتفى بما رأى

وما أن صار الخباز وحيدا حتى انفجر بلعنات مريعة

- ١٥ -

كلب راى الله ، وشم عطره من يدرى أى أسرار تعلمها والرجال ينظرون لبعضهم البعض باحثين عن سند ، لكن احدا لا يتكلم احدهم يشرع أخيرا فى فتح فاه ويتساءل « وان كانت هى فكرة من وحى خيالى ، وان كان الآخرون لا يفكرون فيها أبدا ؟ » وعندئذ يتظاهر بأن شيئا لم يكن

ينتقل « جاليونى » بعدم تكلف عجيب من مكان لآخر ويدخل الحانات والحظائر ، عندما لا يتوقع احد حضوره ، هو هو يكون هناك فى أحد الأركان بلا حراك يسدد النظرات بعينيه ويتشمم بأنفه حتى فى الليل ، عندما تنام كل الكلاب الأخرى ، فان ظله يظهر فجأة على الحائط الأبيض ، بخطواته المميزة المتمايلة ذات الطابع الريفى بشكل ما أليس له منزل ؟ ألا يملك مأوى ؟

لم يعد الرجال يشعرون أنهم وحدهم ، حتى وهم فى المنزل بأبواب موصدة · يرهفون السمع دائما لحفيف على الحشائش بالخارج لوقع أقدام حذر خفيف فوق حصى الشارع لنباح بعيد « بوك بوك بوك » هكذا يفعل « جاليونى » بصوت مميز ليس غضبان ولا هائجا ومع هذا فانه يدوى فى البلدة كلها

« حسنا لا عليك ربما أخطأت أنا الحساب » يقولها السمسار بعد أن تشاجر بغضب مع زوجته من أجل فلسين « الغرض ، هذه المرة سوف أدعها تمر بسلام انما المرة القادمة فلتمض » يعلنها « فريجيميكا » ذلك الذى يعمل بالقمين وهو يتراجع فجأة عن طرد العامل « على العموم هى سيدة عزيزة عظيمة » هكذا بلا توقع تنهى السيدة « بيرانتسه » حديثها مع المدرسة ، على عكس ما كانت قد قالته فى البداية ، فى حق زوجة العمدة بوك بوك ينبح الكلب الضال ، وربما ينبح لكلب آخر ، أو لظل ، أو لفراشة ، أو للقمر · ولكن لايستبعد

أن يكون نباحه لسبب مرئى وكأن الشر الانسانى قد وصل اليه من خلال الجدران ، أو الشوارع ، أو الحقول لدى سماع النداء الأجش ويعدل السكارى المطرودون من الحانة وضعهم

يظهر « جاليونى » دونما انتظار فى حجيرة المحاسب « فيديريتشى » الذى يقوم بكتابة خطاب بدون توقيع ليبلغ سيده صـــاحب مصنع المكرونة ، أن كاتب الحسابات « روسى » له علاقات مع عناصر ارهابية أيها المحاسب أى شيء تكتب ؟ » العينان الوديعتان تقولان هذا يشير اليه « فيديريتشى » برقة الى الباب « هيا أيها الجميل ، اخرج ، اخرج ! » ولا يجرؤ على أن ينطق بالشتائم التي تعتمل فى قلبه ثم يرهف السمع على الباب حتى يتأكد من أن الحيوان قد انصرف ثم فى حيطة أكبر يقذف بالخطاب فى النار

يظهر بالصدفة البحتة على أعتاب السـلم الخشبى المؤدى الى شقة « فلورا » الحسناء الخليعة الوقت متأخر من الليل لكن السلالم تقوقع تحت قدمى « جويدو » البستانى وهو أب لخمسة أبناء ثم تتلألأ عينان فى الظلام « لكنه ليس هنا ، ياخبر ! » يقولها الرجل بصوت عال حتى يسمع الحيوان ، وكأنه بالفعل غاضب من اللبس « فى الظلام دائما ما يحدث الخطأ ليس هذا منزل مسجل العقود ! » وينزل مرة أخرى بسرعة

أو يسمع نباحه الرخيم همهمة شجية على سبيل اللوم بينما ينفذ « بينين » و « جونفا » ليلا الى مخزن موقع العمل ، وقد وضعا أيديهما على دراجتين « تونى » هناك أحد قادم يهمس « بينين » فى شك مطلق . فيقول « جونفا » « يبدو لى كذلك الأفضـــل أن نهرب » وينزلقان خارجا دون أن يفعلا شيئا

أو يبعث بنبحة طويلة لها طابع الشكوى تماما تحت أسوار المخبز فى الساعة المضبوطة بعد أن يتم « ديفينديننتى » تلك المرة اغلاق الأبواب والبوابات خلفه ، ويهبط الى المخزن لينهب خبز الفقراء من السلة أثناء التوزيع فى الصباح ويضغط الفران عندئذ على أسنانه كيف تأتى لكلب السوء ذلك أن يعرف ؟ ويهم برفع كتفيه ولكن الشكوك تواتيه للتو لو بلغ « جاليونى » عنـه بطريقة ما فان الميراث كله سيذهب هباء يصعد « ديفينديننتى » ثانية الى الدكان والجوال الفارغ مطوى تحت أبطه .

الى متى تستمر الملاحقة ؟ ألن يذهب الكلب أبدا ؟ ولو ظل فى البلدة فكم سنة يمكنه أن يعيش ؟ أفلا توجد طريقة للتخلص منه ؟

- ١٦ -

ما حدث أنه ، بعد قرون من الاهمال ، بدأت كنيسة الأوبرشية فى الازدحام من جديد وفى يوم الأحد تلتقى الصديقات القديمات بالقداس. كل لديها حجتها الجاهزة « أتعرفين ماذا أقول لك ؟ أنه مع هذا البرد فان المكان الأوحد الذى يمكن أن نحتمى به جيدا هو الكنيسة فان لها حوائط سميكة ، هذه هى المسألة ان الحرارة التى اختزنتها فى الصيف تبعثها الآن ... خارجا ! » وتقول آخرى « رجل مبارك هو القمص هنا دون طابيه لقد وعدنى ببذور « التريديسكانسيا » اليابانية اتعرفينها تلك الصفراء الجميلة ؟ لكن لا حيلة معه لو أننى لم أحضر قليلا الى الكنيسة ، ومع صلابته ، فسوف يتظاهر بالنسيان » وتقول أخرى أيضا » أتفهمين ، يا سيدة « ارمينيا » ؟ أريد ان أعمل مفرشا من « الدانتيل » (١) كذلك الذى هنـاك فوق مذبـح القلب المقدس لا أستطيع أن آخذه للمنزل لأقلده لا بد لى أن آتى هنا لأتدارسه أيه انه ليس بالأمر السهل ! « كل واحدة كانت تنصت وتبتسم لتبريرات الصديقات ، وكل ما يشغلها أن تبدو حجتها معقولة بما فيه الكفاية ثم تتهامسن كالتلميذات الصغيرات قائلات « ان « دون طابيه » ينظر الينا ! » وتركزن فى كتاب القداس

لم تحضر واحدة بلا عذر . السيدة « ارملينيدا » ، على سبيل المثال ، لم تجد آخر غير عازف أرغن الكنيسة ، كى يقوم بتعليم الغناء لطفلتها ، المولعة بالموسيقا ، وقد حضرت الآن لتسمعها فى أنشودة المانيفيكات (٢). وقد واعدت الكواءة والدتها فى الكنيسة لأن زوجها لا يريد أن يراها بالبيت . حتى زوجة الدكتور فقد حدث منذ دقائق قليلة ، وبالضبط

---

(١) لقد وردت بالنص بالفرنسية entredeux وهى تعد نسبيا اجنبية على الايطالية فان كانت الترجمة بكلمة اعجمية فلا نكون قد خرجنا عن النص اصلا

(٢) وردت بالنص باللاتينية Magnificat وهى تلك الأنشودة المنسوبة الى ملاك العذراء فى مناسبة زيارة القديسة اليصابات وتغنى للعذراء وتبدأ بهذه الكلمة Magnificat مانيفيكات ويمكن ان تترجم كذلك بكلمة التعظيم

فقالت مريم تعظم نفيس الرب « هكذا تبدأ الأنشودة »

"L'anima mia magnifica il Signore» (لوقا ١/٤٦ - ٥٥) .

٥

فى الميدان ، أن تعثرت قدمها فى الأرض فالتوت وقد دخلت كى تمكث بعض الوقت جالسة وفى آخر رواقى الكنيسة الجانبيين بالقرب من أماكن الاعتراف التى كساها التراب بلون رمادى ، حيث كانت الظلال أكثر كثافة ، كان يقف هناك بعض الرجال كالأعمدة · وكان « دون طابيه » من المنبر ينظر فيما حوله مندهشا ، لا يستطيع أن يجد الكلمات

فى تلك الأثناء كان « جاليونى ، ممددا فى الشمس على العتبة العليا أمام باب الكنيسة كان يبدو وقد أعطى نفسه راحة يستحقها عند الخروج من القداس ودون أن يحرك شعرة واحدة كان يتفرس فى كل هؤلاء الناس تنزلق النساء من الباب ، تبتعد كل واحدة فى جهة لم تتكرم احداهن بالقاء نظرة عليه ، لكنهن طالما لم يبلغن الناصية فكن يشعرن بنظراته على ظهورهن كسنين من الحديد

- ١٧ -

كان ظل أى كلب يكفى لأن يجعل من يراه يقفز قفزة فجائية لمجرد أنه يشبه « جاليونى » شبها طفيفا قلق هى الحياة حيثما يوجد أناس قليلون ، فى السوق ، فى النزهة المسائية ، لا يتخلف ذو الأربع أبدا ويبدو أنه كان يستمتع باللامبالاة المطلقة لهؤلاء الذين ما أن ينفردوا به سرا حتى ينادوه بأكثر الأسماء دلالا ، ويقدمون اليه الحلوى والفطائر « أيه أين نحن من الأوقات الجميلة التى ولت ! » يعتاد الآن ان يقولها الرجال ، هكذا ، بشكل عام ، دون تحديد السبب ، وما من أحد الا يفهمها فورا الأوقات الجميلة ــ يقصدون أن يقولوا بها دون افصاح ــ عندما كانوا يستطيعون عمل ما يتراءى لهم من موبقات فيتبادلون اللكمات عند اللزوم ويذهبون الى الفلاحات فى الحقول ويا حبذا لو امتدت أيديهم لسرقة الأشياء التافهة (١) ويوم الأحد يلازمون الفراش حتى منتصف النهار · الآن يستخدم أصحاب الحوانيت ورقا رقيقا ويزنون ميزانا عادلا ، لم تعد السيدة تضرب الخادمة ، حزم « كارمينى سبوزيتو » الذى يعمل فى وكالة الرهائن كل أمتعته لينتقل الى المدينة يمكث الرقيب

---

(١) وردت بالنص rubacchiare وهو فعل متعد .tr معناه يسرق من آن لآخر التوافه من الأشياء Rubare ogni tante cose di poco conte

ولذلك جاءت ترجمة الفعل فى اكثر من كلمة

أول (١) « فيناريللو » ممددا فى الشمس على الأريكة أمام نقطة الشرطة وهو يموت من الملل ويتساءل عما اذا كان كل اللصوص قد ماتوا يعطيهم المذاق الجميل ، ولم يعد أحد يسب الدين بطريقة عاتية كذى قبل، ذلك السب الذى كان يعطيهم المذاق الجميل لم يعد أحد يسب الدين الا فى الحقول الواسعة وبكثير من التحفظ ، وبعد القيام بتفتيش دقيق كى لا يكون هناك كلب مختبىء خلف الأسوار النباتية

---

(١) ردت بالنص brigadiere وهو اسم S.M. لرتبة صف ضابط للشرطة او لحرس الخزانة وهى فى مستوى رتبة الرقيب الأول فى الأسلحة الأخرى (وقد ذكرت « الأسلحة » لأن كل من الشرطة وحرس الخزانة تتبع الجيش فى ايطاليا)
Sottufficiale dei Carabinieri o della Finanza, il cui grado corrisponde al sergente maggiore delle altri armi.

ولذلك فقد ترجمت بمصطلحها المصرى (رقيب أول)

اما عن تسلسل الرتب العسكرية فهى كالآتى بدءا من أسفل لأعلى

اولا الجندى وهو اول درجة من الدرجات العسكرية وهو كذلك كنية لكل من يحمل رتبة عسكرية وكذلك الحال بالنسبة للايطالية ويقابله بالايطالية soldato

ثانيا ضباط الصف ويقابلها بالايطالية

١ ـ عريف ولا يوجد ما يقابلها الآن بالجيش الايطالى sottufficiale
٢ ـ رقيب ويقابلها فى الجيش الايطالى sergente
٣ ـ رقيب اول ويقابلها فى الجيش الايطالى sergente maggio:e
٤ ـ مساعد ويقابلها فى الجيش الايطالى maresciallo

ثالثا الضباط ويقابلها بالايطالية ufficiali

١ ـ ملازم ويقابلها فى الجيش الايطالى sottotenente
٢ ـ ملازم أول ويقابلها فى الجيش الايطالى tenente
٣ ـ نقيب ويقابلها فى الجيش الايطالى capitano
٤ ـ رائد ويقابلها فى الجيش الايطالى maggiore
٥ ـ مقدم ويقابلها فى الجيش الايطالى tenente collonnello
٦ ـ عقيد ويقابلها فى الجيش الايطالى colonnello
٧ ـ عميد ويقابلها بالايطالية اما brigadiere generale
او colonnello brigadiere ولكنها رتبة غير موجودة حاليا فى الجيش الايطالى
grado di comandante di brigata in vari eserciti (non più in quello italiano).

٨ ـ لواء ويقابلها فى الجيش الايطالى generale
٩ ـ فريق ويقابلها فى الجيش الايطالى maggiore generale
١٠ ـ مشير ويقابلها فى الجيش الايطالى maresciallo

وهى تكتب وتنطق بالايطالية كدرجة المساعد وهناك رتبة لواء البحرية التى يقابلها بالايطالية ammiraglio

★ الرجاء النظر فى هامش الرتبة العسكرية بقصة الطفل الطاغية .

لكن من يجرؤ على التمرد ؟ من لديه الشجاعة أن يناول « جاليونى » عدة ركلات أو يقدم له شريحة لحم مزودة بالزرنيخ كما يتمنى الجميع سرا ؟ ولا يمكنهم حتى أن يكون رجاءهم فى العناية الآلهية ، لأن العناية الآلهية ، كما يدل المنطق ، وهى بالتأكيد تؤيد جانب « جاليونى » فليعتمدوا على الصدفة

صدفة ليلة عاصفة ذات برق وصواعق ، حيث تبدو وكأنها نهاية العالم • لكن الفران « ديفينديننتى سابورى » كان يتمتع بقوة سمع الأرنب البرى فلم يمنعه دوى الرعد أن يتبين جلبة غير عادية أسفل فى الفناء لابد أنهم اللصوص

يقفز من السرير يلتقط البندقية فى الظلام وينظر الى أسفل خلال أسيجة مصراع النافذة ، بدا له أنه رأى شخصين ، يحومان كى يفتحا باب المخزن وعلى بريق صاعقة يرى كذلك ، فى منتصف الفناء ، كلبا ضخما مائلا للسواد لا يهتز تحت وابل الأمطار لابد أنه هو ، الملعون ، ربما جاء ليردع الوغدين

يهمس فى سريرته بسباب غليظ ، يحشو البندقية ، يفتح مصراع النافذة ببطء ، بالقدر الذى يسمح بابراز ماسورة البندقية ، ينتظر ضوء برق جديد ويصوب ناحية الكلب •

تختلط الطلقة الأولى تماما مع احدى الرعدات « امسك حرامى ! امسك حرامى (١) » بدأ الفران فى الصياح ، يعاود حشـــو البندقية ، يطلق مرة أخرى طلقا طائشا فى الظلام ، يســـمع وقع خطوات مكدودة تبتعد ، ثم أصـــواتا فى كل المنزل ، طرقات أبواب جرت الزوجة ، والأطفال ، والصبية مفزوعين « يا سيد » « ديفنينديننتى » هكذا نادى عليه صوت من الفناء « أنظر لقد قتلت كلبا ! » •

الخطأ فى هذا العالم أمر محتمل ، ولا سيما فى ليلة كهذه ، لكن يبدو أنه هو تماما « جاليونى » يستلقى بلا حراك فى بركة ماء لقـد اخترقت رصاصة جبهته أردته جثة هامدة لا يفرد حتى أرجله لكن « ديفينديننتى » لا يذهب حتى ليراه • يهبط ليتأكد أنهم لم يحطموا باب المخزن ، وما أن وجد أنهم لم يحطموه ، فقد حيا الجميع بتحية المساء

(١) انما ذكر الاسم بالعامية حتى يعطى الجو « الديناميكى » للموقف ، ولا سيما أن لفظ حرامى معروف بانه مرادف للص ليس فقط فى العامية المصرية انما فى سائر اللهجات العربية الأخرى •

ولاذ تحت أغطية الفراش « أخيرا » يقولها لنفسه وهو يستعد لنوم هانيء ولكنه لم يعد يستطيع النوم

- ١٨ -

فى الصباح ومازال الظلام سائدا حمل صبيان الكلب الميت وذهبا لدفنه فى أحد الحقول لم يجرؤ « ديفيندينتى » أن يامرهم بالسكوت فلربما ساورهما الشك لكنه يحث عن طريقة تجعل الأمر يمر بسلام دون مزيد من الثرثرة ٠

من الذى كشف الأمر ؟ فى المساء ، أدرك الفران لتوه ، فى المقهى أن الجميع يتفرسونه لكنهم سرعان ما يعاودون سحب نظراتهم وكأنهم لا يريدون جذب انتباهه

ساله الفارس « برنارديس » فجاة ، بعد التحيات المعتادة «أطلقنا النار ايه ، هذه الليلة ؟ معركة ضخمة هيه هذا المساء ، فى المخبز ؟ »

أجاب « ديفيندينتى » دون ان يعطى للأمر أهمية « من يدرى من كانوا ؟ كانوا يريدون كسر باب المخزن ، هؤلاء الملاعين ، لصوص تافهون. أطلقت رصاصتين طائشتين فلاذوا بالفرار »

ساله عندئذ « لوتشونى » بنغمته التلميحية « طائشتين ؟ ولماذا لم تطلق عليهم الرصاص مادام كان بامكانك ؟ »

« فى ذلك الظلام ! » ماذا كنت تريدنى أن أرى ! لقد سمعت خربشة بأسفل عند الباب فأطلقت النار بالخارج كيفما اتفق »

« وهكذا ٠٠٠ وهكذا أرسلت الى العالم الآخر حيوانا مسكينا لم يفعل أى شر »

قال الفران وكأنه مهموم « آه ، فعلا ، لقد أصبت كلبا من يدرى كيف دخل ؟ عندى لا توجد كلاب »

ران صمت كان الجميع ينظرون اليه تحرك « تريفاليا » بائع الادوات المكتبية نحو الباب قاصدا الخروج « حسنا ، مساء الخير ، ياسادة » ثم قال ضاغطا على مقاطع الكلم عن قصد « مساء الخير انت أيضا يا سيد «سابورى ! » ٠

فأجاب الفران قائلا « احتراماتى » وأدار له كتفيه ماذا كان يقصد أن يقول ذلك الأحمق ؟ هل يدينونه مثلا ، لأنه قتل كلب الناسك؟ بدلا من أن يكونوا شاكرين له الجميل • لقد خلصهم من كابوس والآن يلوون أنوفهم ما الذى ألم بهم ؟ لماذا لا يكونون صـــرحاء ولو مرة واحدة.

حاول «برنارديس » أن يشرح بطريقة غير مناسبة تماما

« أرأيت يا ديفيندينتى » ؟ أن البعض يقول انه كان من الأفضل لو لم تقتل ذلك الحيوان » •

« ولماذا ؟ هل فعلتها مثلا عن عمد ؟ »

« عن عمد أو عن غير عمد ، فاهم ؟ » « يقـولون انه كان كلب الناسك ويقولون الآن أنه كان من الأفضل لو ترك وشأنه يقولون انه سيجلب لنا الشؤم وأنت تعرف كيف يكون كلام الناس ! »

« وماذا أعرف أنا عن كلاب النساك ؟ ومسيح المسيح (١) ، أيريدون محاكمتى وما هم الا بلهاء ! » وحاول أن يضحك

تكلم « لوتشونى » قائلا « اهدءوا ، اهدءوا ، يا اخواننا (٢) من قال انه كان كلب الناسك ؟ من ذا الذى أشاع تلك الخرافة ! »

قال « ديفيندينتى » « ايه ، اذا كانوا هم لا يعرفون ! » ورفع كتفيه

تدخل الفارس قائلا : « يقول ذلك أولئك الذين شاهدوه هذا الصباح بينما كانوا يدفنونه ويقولون انه هو تمـاما ببقعـة من الشعر الأبيض فى أعلى الأذن اليسرى » •

« والباقى أسود ؟ »

---

(١) وردت بالنص Cristo d'un Cristo وهو تعبير espressione ترجمته المباشرة ومسيح المسيح او يا للرب كناية على الضجر noia والتعجب miraviglia ويطابقه فى العربية « ولاسيما » فى لغة الحوار تعبير « يا دين النبى »

(٢) وردت بالنص ragazzi وتترجم مباشرة اما « بالصبية » أو « بالاولاد ولان كافة الموجودين ــ والمتكلم احدهم ــ فى سن واحدة ومن جيل واحد la stessa generazione فربما يكون من الافضل لو ترجمت الكلمة بـ « يا اخواننا » أو « يا اخوانا»

« نعم أسود » هكذا أجاب أحد الحاضرين
« وهل هو ضخم بدرجة ملحوظة ؟ وبذيل كالفرشاة ؟ »
« بالضبط »
« أتريدون أن تقولوا انه كلب الناسك ؟ »
« نعم كلب الناسك »

« اذن ، فانظروا اليه هناك . ها هو كلبكم ! » قال ذلك «لوتشوني» وهو يشير الى الشارع «انه أكثر حيوية ، وصحة عن ذى قبل ! »

شحب لون « ديفيندينتى » وصار كتمثال من الجص كان «جاليونى» يتقدم بخطواته المتمايلة فى الشارع ، توقف لحظة كى ينظر الى الرجال خلال زجاج المقهى ، ثم استأنف طريقه هادئا

- ١٩ -

لماذا أصبح لدى المتسولين الآن انطباع بانهم يحصلون على خبز أكثر من المعتاد فى الصباح ؟ لماذا ترن الآن صناديق الصدقات ، التى ظلت لسنوات وسنوات خاوية بلا عملة ؟ لماذا يذهب الأطفال الآن الى المدرسة مسرورين ، بعد أن كانوا معاندين (١) ؟ لماذا يبقى العنب فوق أشجاره حتى وقت جمعه دون أن يسلب ؟ لماذا لم يعودوا يقذفون الحصى والقثاء الفاسدة على ظهر «ماتينو » الأحدب ؟ لماذا هذه الأشياء وأشياء أخرى كثيرة ؟ لن يعترف أحد ، فان سكان «تيس» قرويون متحررون لن تسمعوا قولة الحق من أفواههم انهم يخشون كلبا لا أن يعضهم ، يخشون ببساطة أن يسىء الكلب الحكم عليهم

كظم « ديفيندينتى » غيظه (٢) • وكان ذلك عبودية • حتى فى الليل كان لا يستطيع التنفس وجـود الله ، ياله من عبء لمن لا يريده ولم يكن الله هنـا أسطورة غير مؤكدة ، لم يكن وجوده مقصورا على الكنيسة

---

(١) وردت بالنص recalcitranti وهو استخدام أقل شيوعا من الفعل ricalcitrare بعد حرف ال (i) بحرف ال (r) وهو يعنى « عائد » ولاسيما بالنسبة للحيوانات اما الاستعمال المجازى فمعناه قاوم فى عناد وبالحركة على الأغلب fig. opporre una resi stenza piuttosto vivace.

(٢) وردت بالنص Defendente divorva veleno ومعناها المباشر أن « ديفيندينتى » ازدرد أو ابتلع سما وهو تعبير espressione يقابله بالعامية « سد فمه » ويطابله بالفصحى كذلك كظم غيظه

بين الشموع والبخور لكنه كان يدور هنا وهنا فى البيوت ، ينقله ، لو أمكن القول ، كلب جزء صغيرا جـدا من البارىء ، نفحـة واهية ، تحللت « جاليونى » ومن خلال عينى « جاليونى » كان يرى ويحكم ويدون الحساب ٠

متى يشيخ هذا الكلب ؟ لو أنه فقد قواه على الأقل ، وبقى هادئا فى أحد الأركان لو أقعدته السنون ، فلن يستطيع بعد أن يسبب هذا الضيق

ومرت السنون فعلا كانت الكنيسة مليئة حتى فى أيام العمل لم تعد الفتيات يسرن بطوال الأروقة ، بعد منتصف الليل يضحكن فى مجون مع الجنود استبدل « ديفيندينتى » بالسلة القـديمة التى تفككت من الاستخدام ، أخرى جديدة عازفا عن فتح الباب السرى الصغير فيها (فلم تعد لديه الشجاعة أن ينتزع خبز الفقراء طالما أن « جاليونى » مازال يتجول ٠) وينعس الآن الرقيب الأول « فيناريللو » على عتبة نقطة الشرطة ، غاطسا فى مقعد من الخيرزان

مرت السنون وشاخ الكلب « جاليونى » كان يمشى ببطء متزايد يوما بعد يوم وبخطوة متثاقلة بشكل كبير الى أن أصيب ذات يوم بنوع من أنواع الشلل فى مفصليه الخلفيين ولم يعد قادرا على المشى

لسوء الحظ ألم به الحادث فى الميدان بينما كان فى غفوة فوق السور بجانب الكنيسة الذى تنحدر الأرض من تحته انحدارا شديدا وتقطعه الطرق والأزقة حتى النهر كان الوضع مميزا من الناحية الصحية فكان يمكن للحيوان أن يقضى حاجته الضرورية أسفل السور نحو طريق الحشائش الوعر دون أن يتسبب فى قذارة السور أو الميدان لكنه كان مكانا مكشوفا معرضا للرياح ودون واق من المطر

حتى هذه المرة كان طبيعيا ألا يظهر احد ما لاحظه على الكلب الذى كان يبعث بتأوهاته وهو يرتعش كله فلم تكن اصابة كلب ضـال بمرض بالمنظر الطيب أحس الحاضرون الذين فهموا من معاناته الأليمة ما ألم به ، أحسوا بخفقة فى القلب ، وانتعشت نفوسهم بآمال جديدة ثانية ولو لمتر واحد ذلك أفضل فمن يمكنه أن يقدم له طعاما تحت أعين الجميع ؟ من هو أول من سيجسر على الاعتراف بعلاقته السـرية

بالحيوان ؟ من هو أول من سيعرض نفسه للاستهزاء ؟ من هنا بزغ الأمل في أن « جاليوني » قد يموت جوعا ·

قبل العشاء تنزه الرجال كالمعتاد بطوال رصيف الميدان وهم يتكلمون في موضوعات غير ذات بال مثل مساعدة طبيب الأسنان الجديد، الصيد ، أسعار خراطيش البنادق ؟ آخر فيلم وصل البلدة وكانوا يحفون بستراتهم خطم الكلب ، الذى كان يتدلى أسفل السور قليلا كانت النظرات تمضى فوق الكلب القعيد وهي تتأمل بطريقة آلية المنظر العظيم للنهر وهو على هذا القدر من الجمال عند الغروب حوالى الثامنة أتت بعض السحب الكبيرة من الشمال عبدأ المطر وأمسى الميدان خاليا

لكن فى عمق الليل ، تحت المطر اللحوح ها هى أشباح تنسل بطوال المنازل كما لو كانت ذاهبة لمؤامرة آثمة انها تتجه منحنية ومتلصصة فى قفزات سريعة نحو الميدان وهنا تتلاشى فى ظلمات الأروقة والردهات ، وهى تتطلع الى الفرصة المناسبة · المصابيح فى هذه الساعة تبعث بضوء خافت ، وهى تترك مناطق فسيحة من الظلام كم عدد الأشباح ؟ ربما عشرات تحمل للكلب طعاما ولكن كل واحد قد يفعل اى شىء حتى لا يتعرف عليه أحد الكلب لا ينام بحذاء السور فى مقابل خلفية الوادى السوداء هناك نقطتان فسفوريتان خضراوان ، ومن آن لآخر تتردد فى الميدان ولولة شاكية قصيرة

انها مناورة طويلة وأخيرا يجازف أحدهم فى الوصول للكلب بوجه ملثم بمنديل ، وبغطاء رأس راكبى الدراجات (١) وقد أنزل جيدا على الجبهة لا يخرج أحد من الظلمات ليتعرف عليه فكلهم يخشون على أنفسهم كثيرا

كانت شخوص مجهولة تضع شيئا ما على سور الكنيسة واحد تلو الآخر على فترات متباعدة ، تفاديا للقاء · وتتوقف التأوهات

فى الصباح وجد « جاليونى » راقدا تحت غطاء لا ينفذ منه الماء وعلى السور بجواره ، كانت تتكدس كل خيرات الله خبز جبن شرائح اللحم بل ووعاء كبير ملىء باللبن

---

(١) ورد بالنص il berretto da ciclista و ciclista هو الذى يزاول ركوب الدراجة وهكذا فان معنى العبارة هو غطاء رأس راكب الدراجة

عندما شل الكلب ، اعتقدت البلدة أنه يمكنها أن تتنفس لكنه كان وهما لم يستمر طويلا فمن طرف (١) السور كانت عينا الحيوان تهيمان على جزء كبير من المساكن ، على الأقل كان نصف « تيس » بأكمله يقع تحت طائلته • ومن يمكنه أن يعرف مدى حدة نظراته ؟ وحتى الى منازل أطراف البلدة المتوارية عن مراقبة « جاليونى » ، كان صوته يصل والآن كيف يستعيدون عادات أزمنة ولت ؟ كان ذلك يعنى أن يعترفوا بأن الحياة قد تغيرت بسبب الكلب ، وأن يعترفوا بطريقة شائنة بالسر الغيبى الذى كتموه بحذر فائق طيلة سنوات ان « ديفينديتى » نفسه ، الذى كان مخبزه بعيدا عن مجال نظر الحيوان ، لم يعد لسبابه الشهير للدين ، ولم يعد يحاول أن يقوم بعمليات اســـترداد الخبز من نافذة المخــزن الصغيرة

بل كا ن« جاليونى » يأكل الآن أكثر من ذى قبل ، ويسمن كخنزير ، لأنه لم يعد يقوم بأى حركة من يدرى كم سيعيش ؟ مع بدايات البرد تجدد الأمل فى أن ينفق • وبرغم أن الكلب كان مدثرا بالقماش المشمع لكنه كان عرضة للرياح ، وكان معرضا باستمرار لأن يصاب بنزلة برد حادة

ولكن حتى هذه المرة حطم الماكر « لوتشونى » كل وهم وذات مساء ، فى المطعم ، قال وهو يسرد قصة من قصص الصيد ، أنه منذ سنوات كثيرة مضت ، أصيب كلب الصيد الخاص به بالسعار ، لأنه أمضى ليلة تحت الجليد ، واضطر أن يقتله بطلقة بندقية ، وأن قلبه يبكى عليه حتى الآن كلما تذكره

---

(١) ردت بالنص ciglio ومعناها الســـطح أو الطرف أو النهاية بالاضافة بالطبع الى معنى الرمش وقد جاء استعمال Buzzati لهذه الكلمة هنا أصيلا وجديدا Per la prima volta حيث ان كلمة cieglio تستعمل مع الطريق c. della strada ومع الخنـــدق c. del fasso ، ومع التل c' della colljna اما مع السور فيستعمل دائما تعبير قمة la cima del muro السور لاعطاء الاحساس بارتفاعه دون تدخل أو قصد لعرض السور اما Buzzati فقد أعطانا احساس السور العريض أو احساسا بعرض السور عندما استعمل تلك العبارة طرف السور ciglio del muro والتى يمكن أن نترجمها امعانا فى الدقة بطرف مسطح السور أو طرف سطح السور

وقال الفارس « برنادريس » على عادته فى تناول الموضوعات غير المقبولة : « وذلك الكلب القبيح ، ذلك الكلب القبيح المصاب بالشلل فوق سور الكنيسة الذى يستمر بعض الأغبياء فى تقديم الطعام له

قال « ديفيندينتى » « فليصبح مسعورا ! فهو على كل حال لم يعد قادرا على الحركة ! »

أجاب « لوتشونى » قائلا « ومن قال لك ذلك ؟ السعار يضاعف قوى الجسم لن أتعجب لو بدأ يقفز كتيس برى ! »

ظل « برنارديس » حائرا « حسنا ، واذن » .

قال « لوتشونى » « آه بالنسبة لى ، فأنا لا يهمنى ، أننى أحمل دائما معى صديقا أمينا واخرج من جيبه مسدسا ثقيلا

فقال « برنارديس » « أنت ! أنت ! أنت الذى لا أولاد لك ! لو أن لديك ثلاثة أطفال مثلى ، فتأكد أنك كنت ستهتم »

قال المعلم : « لقد قلت لك ما فى جعبتى . فكروا أنتم الآن فى الأمر » . وأخذ يلمع على كمه ماسورة المسدس

- ٢١ -

كم سنة مرت اذن منذ موت الناسك ؟ ثلاث ، أربع ، خمس من ذا الذى يتذكر ؟ فى أوائل نوفمبر كان القفص الخشبى لايواء الكلب جاهزا تقريبا . كانوا قد تحدثوا عنه حتى فى المجلس البلدى ، بكلمات مقتضبة لأن الموضوع ليس على قدر كبير من الأهمية ودون أن يتقدم أحد بالاقتراح الأبسط جدا وهو أن يعدم الكلب أو أن ينقله الى مكان آخر . كلف النجار « ستيفانو » بصنع مضجع الكلب بحيث يمكن تثبيته فوق السور ، وأن يدهن باللون الأحمر حتى لا يتنافر مع لون واجهة الكنيسة ، المبنية كلها من الطوب الأحمر الفاقع « يا له من عار ، يا له من غباء ! » كان الجميع يقولون ذلك لاظهار أنها فكرة الآخرين اذن فان الخوف من الكلب الذى رأى الله لم يعد سرا ؟

لكن القفص لن تقوم له قائمة أبدا . ففى أوائل نوفمبر بينما يمر صبى الفران بالميدان ليذهب الى العمل فى الرابعة صباحا كعادته ، يلحظ

أسفل السور شيئا أسود لا يتحرك يقترب منه يلمسه ينطلق جريا الى المخبز

سأله « ديفيندينتى » عندما رآه يدخل لاهثا « وما الذى يحدث الآن ؟ »

فتمتم الصبى لاهثا « لقد مات ! لقد مات ! »

« من الذى مات ؟ » .

« كلب النحس ذاك لقد وجدته مطروحا على الأرض ، لقد كان جامدا كالصخر » .

- ٢٢ -

هل تنفسوا الصعداء ؟ هل استسلموا للمرح المجنون ؟ لقد مضى أخيرا ذلك الجزء المتعب من الله ، هـذا حق ، لكن ذلك كان بعد فوات الأوان كيف يعودون للوراء ؟ كيف يبدأون ثانية من جديد ؟ فى تلك السنين كان الشباب قد اكتسبوا عادات مختلفة بعد كل شىء أصبح قداس الأحد ترويحا وحتى سب الدين ، من يعرف كيف أنه يعطى الآن صوتا مبالغا فيه ومزيفا كانوا قد توقعوا اذن خلاصا عظيما وعلى العكس فان شيئا لم يتم .

ثم لو أنهم رجعوا لممارسة عاداتهم الحرة الأولى أليس معنى ذلك أنهم يعترفون بكل شىء ؟ بعد كل هـذه المعاناة من أجل اخفاء عارهم هل يكشفونه الآن تحت الشمس ؟ انه بلد غير أسلوب حياته احتراما لكلب يا له من أمر يبعث على الضحك حتى فيما وراء الحدود

ومع ذلك أين يدفن الحيوان ؟ فى الحديقة العامة لا ، لا ، أبدا فى قلب البلدة لن يدفن ، لقد امتلأ كأس الناس منه بما فيه الكفاية افى البالوعة ؟ نظر الرجال لبعضهم كل واحد للآخر ولم يجرؤ أحد على أن يبدى رأيه فقال أمين مجلس البلدة مخلصهم من الارتباك : لم يرد عن ذلك شىء فى اللوائح » أيحرقونه فى القمين ؟ ولو تسبب ذلك فى العدوى ؟ يدفنونه اذن فى الحقول هذا هو الحل الصائب ، ولكن فى اى حقل ؟ من ذا الذى يوافق ؟ ها هم قد بدأوا النزاع ، لا أحد يريد الكلب الميت فى حدود أملاكه .

وماذا لو دفن بالقرب من الناسك ؟

يغلق صـــندوق صغير على الكلب الذى رأى الله ثم يشحن على عربة ترحل به صـــوب التلال الصغيرة كان يوم أحـــد فيتذرع الكثيرون بحجة الذهاب فى نزهة تتبع الصندوق ست أو سبع عربات محملة بالرجال والنساء ، ويجتهد الناس أن يبدوا مسرورين ولكن (١) برغم أن الشمس ساطعة ، فان الحقـــول الرازحة تحت البرد والأشـــجار الجرداء لاتسر الناظرين (٢)

يصلون الى التل الصغير ، ينزلون من العربات ، ويتجهون مترجلين تجاه أطلال الكنيسة القديمة • ويجرى الأطفال أمامهم

سمع صوت ينادى من هناك من عل « ماما ! ماما ! بسرعة ! تعالوا وانظروا ! »

يسرعون الخطىء ، ويصلون الى قبر « سيلفيســـــترو » منذ يوم الجنازة البعيد ذاك لم يعد أحد الى هناك عند أقدام الصـــليب الخشبى وفوق مدفن الناسك بالضبط ، يرقد هيكل عظمى صغير • الجليد ، والرياح والأمطار أتت عليه تماما ، جعلته هزيلا وأبيض مثقبا (٣) كالمنخل انه الهيكل العظمى لكلب •

---

(١) وردت بالنص certo ومعناها « بالتاكيد » أو « طبعا » انما معناها هنا هو « لكى » ma

(٢) كان « بوتزاتى » يريد أن يقول ان الناس تجاهد فى أن تبدوا مسرورة ولكن ما العمل والمنظر من حولهم يبعث على العبوس اى انها اشارة لحزنهم الحقيقى على وفاة الكلب ، ذلك الحزن يخجلون منه فيجاهدون أن يبدوا مسرورين فان لم يستطيعوا واتتهم التبريرات والصقوها بعبوس الجو وهنا نذكر قولة الناسك « ســـيلفسترو » للخباز « سابورى » « يوجد لديكم يابنى الانسان نوع من أنواع الخجل من فعل الخير انكم تهتمون بان تظهروا باسوأ مما أنتم عليه هكذا تسير الدنيا »

(٣) ردت بالنص le ban fatto grcile e bianeo com euna filigrana.
وكلمة filigrana هى اسم مؤنث s.f. واهم معانيها (عمل من اعمال الصياغة مشغولا خلال تشبيك ولحام خيوط رهيفة للمعادن عند نقاط الالتقاء)
Lavoro di oreficeria ottenuto mediante l'intreccio e la saldatura " nei punti di contatti » di sottili filamenti di metallo.
ومن هنا نستطيع أن نتخيل الصورة التى رسمها لنا « بوتزانى » لحالة الهيكل العظمى للكلب وقد تعذر ترجمة هذا المصطلح filigrana وقد استعيض عنه بوضع تعبير عربى يعبر عن هذه الحالة هو (كالمنخل)

ـ شيء قد حدث

كان القطار قد قطع عدة كيلو مترات قليلة فقط (والطريق طويل وكنا سنتوقف فقط فى محطة الوصول شاسعة البعد ، وعلينا أن نظل فى عدونا هكذا لمدة عشر ساعات متصلة) عندما وقع ناظراى من خلال النافذة على امرأة شابة عند أحد المزلقانات كانت مصادفة ، فقد كان يمكنني أن أنظر لأشياء أخرى عديدة غير أن نظرتى وقعت عليها لم تكن جميلة ولم تكن تتميز بأى شيء غير عادى من يدرى لماذا حدث أن نظرت اليها ؟ كانت بوضوح تستند على الحاجز لتستمتع بالنظر الى قطارنا السريع فوق العادة ، قطار الشمال ، رمز عند تلك الجماهير الجاهلة ، رمز المليارات ، الحياة السهلة المخاطرين الحقائب الجلدية الفاخرة الشهيرة نجوم السينما ، مرة واحدة فى اليوم يجرى هذا العرض الخلاب وفوق ذلك فهو بالمجان تماما

ولكن لما مر القطار أمامها لم تنظر الى ناحيتنا (رغم أنها كانت تنتظر هناك منذ ساعة) بل بقى رأسها ملتفتا الى الخلف ترقب رجلا يصل مسرعا من نهاية الشارع ويصيح بشيء ما لم نستطع ان نسمعه بطبيعة الحال كان يبدو أنه يغدو فى عجلة ليحذر المرأة من خطر ما

لكنها كانت لحظة طار بعدها المنظر بعيدا وهأنذا أتساءل أى خطب نراه قد حل عن طريق ذاك الرجل بالفتاة التى جاءت لتتاملنا وكنت أشــرع فى النعاس على ايقاع اهتزاز العربــة عندما لاحظت بالصدفة ـ وهى بالتأكيد كانت محض صدفة ليس الا ـ لاحظت أن فلاحا يقف فوق أحد الأسوار ينادى وينادى نحو الحقول متخذا من يديه مكبرا للصوت وكان هذا للحظة واحدة هذه المرة أيضا لأن القطار السريع كان منطلقا (١) ، ولكننى استطعت ان ألمح ستة أو سبعة أشخاص يهرعون خلال المراعى ، والمزروعات ، والأعشاب الطبية ، ولم يهتموا بوطئها (٢) فلا بد أن هناك شيئا غاية فى الأهمية كانوا يفدون من عدة اتجاهات فمن يأتى من بيت ، أو من بين فتحة سياج أو من بين صفوف أشجار العنب أو من أين لا أدرى ويتجهون كلهم صوب السور الذى يعتليه الشاب المنادى كانوا يجرون ، وأى جرى يجرون (٣) ، وكأنهم مذعورون بفعل انذار مباغت أثار فضولهم ايما اثارة فانتزع منهم أمن حياتهم أكرر لكنها كانت لحظة كلمح البصر ولم يسعفنى الوقت لمزيد من الملاحظات

يا له من أمر عجيب ، هكذا حدا بى التفكير ، فها هما حالتين فى

---

(١) وردت بالنص filava وهو هنا فعل filare لازم ليس متعديا intr. مصرف فى زمن الماضى الناقص imperfetto ومعناه هنا (تقدم بسرعة عالية Avanzare a velocità sostenuta

«filamo all' autostrada a 180 Km. all «ora». ,

ومعنى المثل انطلقنا بسرعة ١٨٠ كيلو مترا فى الساعة)

وهكذا ربما يكون الفعل العربى (انطلق) هو المعبر عن ذلك المعنى واذا ترجمنا زمن الفعل هنا (الماضى الناقص) فتصــير ترجمة الجملة هكذا (كان ينطلق) وقد يكون اســتخدام الحــال هــو الأنســب لطبيعة الأســلوب العربى فتاتى الترجمة اخيرا هــكذا (منطلقا)

(٢) أضيف حرف الفاء هنا للدلالة السببية وقد وضع بدلا من « الفاصلة » الواردة فى النص والسابقة للجملة المبتدئة بـ (لا بد) doveva أما اذا اعتبرنا هذه الجملة جملة مصاحبة coordinata كشأن معظم الجمل الموصولة بالفاصلة collegate da virgola فى كتابات دينوبوتزاتى فيستخدم فى الترجمة حرف العطف (الواو) بدلا من الفاء .

(٣) وردت بالنص correvano, accidenti se correvano

* وكلمة accidenti هى هنا تعبير (accidenti) عن شعور interiezione مثل الغضب collera أو الاندهاش stupore او عدم الرضا malcontento ومن هنا جاءت الترجمة هكذا (يجرون ، وأى جرى يجرون)

مسافة كيلو مترات قليلة لأناس يستقبلون خبرا مفاجئا هكذا على الأقل افترضت • الآن وقد لازمني وسواس غامض ، أخذت أتفرس الحقول ، والطرق ، والبلدان ، والعزب ، بتوجس وقلق •

ربما كان ذلك ناتجا عن حالتي النفسية الخاصة هذه ، ولكنني كنت كلما لاحظت الناس ، والفلاحين ، والحوذيين ، الى آخره ، كلما بدا لى أن هرجا غير مألوف قد حل فى كل مكان نعم ، والا فلماذا اذن ذاك الذهاب والاياب فى الأجران أولئك اللاهثات تلك العربات تلك الماشية ؟ الشيء نفسه كان فى كل مكان وبسبب سرعة القطـــار كان مستحيلا ان أتحقق جيدا انما أستطيع أن أقسم أن السبب كان واحدا فى كل مكان أتراهم فى المنطقة يحتفلون بأعياد دينية ؟ أم أنَ الرجال يستعدون للذهاب للسوق ؟ لكن القطار يمضى وكان الريف كله فى غليان ، بالنظر لتلك الفوضى وعندئذ ربطت بين امرأة المزلقان والشاب الذى اعتلى السور وذهاب واياب الفلاحين شيء ما قد حدث ونحن فى القطار لا ندرى عنه البته

نظرت الى زملاء السفر ، الذين فى الديوان والذين فى الطرقة يقفون انهم لم يتنبهوا كانوا يبدون هادئين وكانت أمامى ســـيدة فى الستينيات تشرع فى النعاس • أم تراهم يشكون فى الأمر ؟ نعم نعم ، فهم أيضا قلقون ، واحدا واحدا ، ولا يجسرون على الكلام ، فاجأتهم أكثر من مرة ، مسددا نظراتى بغته عليهم فوجدتهم يحملقون بالخارج ولا سيما الســـيدة الناعسة ، وهى بالذات كانت ترمق من بين جفونها ثم تراقبنى فورا لترى ان كنت قد كشفت سترها • من أى شيء كان خوفهم ؟•

نابولى هنا عادة يتوقف القطار ولكن ليس اليوم فانه القطار السريع مرت البيوت القديمة أمامنا ورأينا فى الأفنية المعتمة نوافذ مضيئة ، وفى تلك الحجرات ـ كانت لحظة ـ رجال ونساء ينحنون ليقوموا بحزم الأمتعة وليغلقوا الحقائب على ما يبدو أم ترانى كنت أخادع نفسى وانها كلها كانت خيالات ؟

كانوا يستعدون للرحيل الى أين ؟ انه ليس بنبا سعيد اذن ذلك الذى كان يكهرب المدن والقرى لقد كان تهديدا ، أو خطرا ، أو نذيرا خراب • ثم قلت لنفسى ولكن لو كانت هناك نائبة هائلة ، لعملوا على ايقاف القطـار أيضا لكن القطـار كان يجد كل شيء أمامه منتظما

فباستمرار كانت اشارات الطريق مفتوحة وتحويل القضبان دقيقا وكأنها رحلة افتتاح طريق

نهض شاب الى جوارى على قدميه ، وكأنه يريد أن يتمطى كان فى الحقيقة يريد أن يرى أفضل ، وأخذ ينحنى من فوقى ليصير قريبا من الزجاج بالخارج الحقول ، الشمس ، الطريق البيضاء ، وعلى الطريق عربات ، شاحنات مجموعات من أناس مترجلين ، قوافل طويلة كتلك التى تتجه صوب الأضرحة فى يوم عيد الشفيع لكم (١) كانوا كثيرين يزدادون كثافة كلما كان يقترب القطار من الشمال وكان الجميع يتخذون نفس الاتجاه • يهبطون نحو الجنوب ، يهربون من الخطر بينما نحن نمضى مباشرة فى مواجهته ، فى سرعة جنونية نهوى صوب الحرب صـــوب الثورة وباء الطاعون ، صوب النار ، ماذا عساه أن يكون ياترى ؟ ليس بوسعنا أن نعرف الا بعد خمس ساعات ، لدى لحظة الوصول ، وربما عندئذ سيكون قد فات الأوان

لم يقل أحد شيئا • لم يشأ أحد أن يكون أول من يتنازل ربما كان كل واحد يشك فى نفسه كما كان حالى يشك فيما اذا كانت كل هاتيك الأخطار حقيقية أم أنها مجرد فكرة مجنونة تهيؤات ، واحدة من تلك الأفكار السخيفة التى تولد فى الحقيقة بالقطار عندما ينتابنا شيء من التعب • تنهدت السيدة التى أمامى متظاهرة بأنها قد استيقظت ، وكمن يستيقظ من نعاسه فيرفع بصره آليا ، رفعت عينيها ، كما لو كان بمحض الصدفة ، وحملقت فى مقبض اشارة الخطر ونظرنا نحن جميعا كذلك الى الجهاز ، وخامرتنا نفس الفكرة • ولكن أحدا لم يتكلم أو يجرؤ على أن يحطم الصمت أو يجسر ببساطة على أن يسأل الآخرين ان كانوا قد لا حظوا ، بالخارج ، شيئا ما ينذر بالخطر

الآن تزجم الطرقات بالمركبات وبالناس الجميع يسير فى اتجاه

---

(١) وردت بالنص ma لهذه الكلمة استخدامات عديدة فيمكننا هنا ان نترجمها ب « لكم » أو ب « كم » quanti حيث أنها هنا تفيد التكثير أرجو النظر فى حاشية Ma fermo فى قصة (ليلة شتاء فى فلاديلفيا)

الجنوب مكتظة (١) فى هرج كانت القطارات التى تأتى فى مقابلنا مليئة بالاندهاش كانت نظرات أولئك الذين على الأرض يروننا نمضى طائرين بسرعة فائقة الى الشمال كانت المحطات مكتظة بعضهم كان يلوح لنا بالاشارة ، وآخرون كانوا يصيحون لنا بجمل لم تصلنا منها الا حروف متحركة كأصداء الجبال (٢)

شرعت السيدة التى أمامى تنظر الى مليا بيديها المملوءتين بالحلى كانت تعتصر منديلا بعصبية بينما كانت عيناها تتوسلان (٣) حتى أخلصهم من ذاك الصمت ، حتى أنطق أخيرا بالسؤال الذى ينتظره الجميع كعمل خير ، ولا يجرؤ أحد على أن يكون أول من يسأله

ها هى مدينة أخرى عندما دخل القطار المحطة ، أبطأ قليلا نهض اثنان أو ثلاثة وقد تخلوا عن تماسكهم على أمل أن يتوقف سائق القطار لكنه مضى بعاصفة مدوية ، بطوال الأرصفة حيث كانت تزدحم جماهير قلقة تلهث وراء قطار يرحل بهم ، بين أكوام الحقائب المبعثرة

---

(١) وردت بالنص **rigurgitanti** ومفردها **rigurgitante** وهى صفة معناها مملوء او مكتظ ولكن فى فوضى صاخبة **agg. sig. pieano zeppo, con l'idea diuna confusione tumultuosa**

وقد يكون من الأفضل أن نذكر هذه الصفة فى أكثر من كلمة فنقول مكتظة فى هرج فان الكلمة بالايطالية لها مدلول للزحام ربما أكثر من كلمة مكتظة التى اصبح مدلولها لا يثيره المدلول الايطالى ، ولا سيما فى مصر منذ عقد ونيف فقد أصبحت المدن ولا سيما القاهرة أكثر من مكتظة واعتيد على استخدام هذه الكلمة والمدلول بشكل دائم ولكن الكلمة فى الايطالية لا تستخدم كثيرا

(٢) وردت بالنص **eco di montagna** اى (اصداء الجبل) وقد جمعت الجبل فى الترجمة حتى تتمشى مع أسلوب العربية

(٣) نلمس هنا واحدة من التلميحات اللغوية **elissi o ellissi** الشهيرة للكاتب **Dino Buzzati** ابان اسلوبه السريع فهو هنا يستخدم الأسلوب غير المباشر **discorso indiritto** رغم انه وضع نقطتين قبله وكان المفروض ان يستخدم الأداة **che** (ان) قبل هذا الحديث المباشر وهو **parlassi, finalmente, li sollevassi da quel silenzio, pronunciassi la domanda che tutti si aspectavano,**

وترجمتها حتى اتكلم اخيرا حتى اخلصهم من ذاك الصمت حتى اطلق بالسؤال الذى ينتظره الجميع) وقد نستطيع أن نحولها الى الأسلوب المباشر فى الترجمة **discorso diritto** فنقول تكلم اخيرا خلصنا من ذاك الصمت ، انطق بالسؤال الذى ننتظره جميعا) واذا استخدمنا فى العربية الأسلوب المباشر فى الترجمة فقد يكون من الأفضل استبدال كلمة (اخيرا **finalmente**) بكلمة (ارجوك) حيث ان كلمة **finalmente** تعنى بالعامية المصرية كلمة (بقى) اى (تكلم بقى) .

حاول صبى أن يلاحقنا بحزمة من الجرائد ويلوح لنا بواحدة منها عليها عنوان كبير أسود فى الصفحة الأولى ٠ عندئذ وبحركة مباغتة أطلت السيدة التى أمامى للخارج ، ونجحت فى أن تمسك بالورقة لكن رياح السرعة انتزعتها منها وبقت بين أصابعها قصاصة لاحظت يديها ترتعشان وهى تفردها كانت قطعة صغيرة مثلثة تبرز اسم الجريدة ، وأربعة أحرف فقط من العنوان الرئيسى هى التى كان يمكن قراءتها « يونى » (١) ليس الا وعلى ظهر القصاصة أخبار حوادث ليست بذات بال

بلا كلمات ، رفعت السيدة القصاصة بعض الشىء حتى يستطيع الجميع رؤيتها لكننا كنا قد شاهدناها بالفعل وتظاهرنا بأننا لا نهتم بالأمر ومع ازدياد الخوف كان الحرص يزداد داخل كل واحد منا نحو شىء ينتهى بـ « يونى » كنا نجرى كالمجانين ، لا بد أنه كان أمرا مريعا ، ذلك الذى جعل جماهير عديدة ، لدى تلقيها للخبر ، تهرع صوب الهرب الفورى ان فعلا جديدا وعاتيا للغاية قد حطم حياة البلاد فالرجال والنساء لا يفكرون الا فى النجاة تاركين بيوتهم وأشغالهم وأعمالهم وكل شىء ، لكن قطارنا لا ، كان القطار اللعين يسير فى انضباط الساعة ، مثل الجندى الشريف الذى يتخطى فلول جيشه المتقهقر ليصل الى خندقه الذى يعسكر فيه العدو بالفعل وحفاظا على اللياقة وحفاظا على هيبة انسانية (٢) بائسة ، لم يملك احد منا الشجاعة ليثور آه لكم تشبه القطارات الحياة !

بقيت ساعتان ٠ بعد ساعتين ، عند الوصول ، سوف نعرف مصيرنا المشترك ٠ ساعتان ، ساعة ونصف ، ساعة ، لقد أخذ الظلام فى الهبوط رأينا من بعيد أضواء مدينتنا المرتجاه ، وأمدنا سناؤها الساكن العاكس لهاله صفراء فى السماء بنفحة من الشجاعة أصدرت القاطرة صفيرا صرخت العجلات فى تيه تحويلات القضبان المحطة قوس المظلات الأسود الثرياء ، اللافتات كان كل شىء فى مكانه كالمعتاد

لكن يا له من هول ! كان القطار السريع مازال ماضيا ورأيت

---

(١) وردت بالنص ione وهو نهاية من نهايات الأسماء بالايطالية يصعب أن نترجمة بطبيعة الحال ولذلك فقد تركت كما هى حتى لا تترجم بمقطع عربى يكون بعيدا عن المدلول المقصود من جهة ومن جهة أخرى حتى نحتفظ على نفس الاحساس المبهم لدى راكبى القطار ٠

(٢) وردت بالنص per un rispetto umano والترجمة المباشرة (احترام انسانى) ولكن المعنى الحقيقى هو (الخجل الخاطىء) وقد ترجمت العبادة بـ (عيبة انسانية)

أن المحطة خاوية ، والأرصفة خالية وعارية ، لم أعثر على أى شكل انسانى
أينما بحثت توقف القطار أخيرا جرينا على الأرصفة ، نحو باب الخروج
نتصيد أى شبيه لنا • بدا لى أننى ألمح فى الركن الأيمن القصى ، فى الظل
القليل أحد عمال السكك الحديدية بغطاء رأسه المميز كان يطل من أحد
الأبواب كالمذعور ماذا حدث ؟ ألن نجد فى المدينة نفسا حيه ؟ الى أن
واتانا صوت امرأة عال جدا وعنيف كطلقة رصاص فأصابنا برعشة
النجدة ! النجدة » هكذا كانت تصيح وتردد الصراخ تحت القباب
الزجاجية مدويا بطنين أجوف ، طنين الأماكن المهجورة الى الأبد

٧ ـ الأصدقاء

كان العواد (١) « أميديوتورتى » وزوجته جالسين يتناولان القهوة·
كان الأطفال قد آووا الى الفراش وكان كلاهما صامتا كما يحدث عادة
وفجأة قالت هى

« أتحب ان اقول لك شيئا ؟ طوال اليوم لدى احساس غريب··
كما لو أن الليلة سوف يأتى » أباكير « لزيارتنا »

فقالت لها زوجها باشارة ضيق « لاتقولى هذه الأشياء حتى ولو
لمجرد المزاح » فى الواقع كان « تونى اباكير » عازف الكمان وصديقه
القديم الحميم قد مات منذ عشرين يوما

(١) وردت بالنص Liutaio وهو اسم مذكر s.m. معناه (صانع الآلات الموسيقية الوترية التى يمكن حملها أثناء العزف) وقد ترجمت هنا (بالعواد) قاصدين به (عازف العود) وليس صانعه كما هو واضح من سياق القصة وصحة الاسم هى Liutista (أى عازف العود) وليست Liutaio (اى صانعه) وكلاهما مشتق من كلمة Leuto او Liuto واصلها فرنسى قديم Leut وربما تكون قد وردت من الكلمة العربية المشهورة (العود)

« انى أعرف ، انى أعرف أن ذلك شىء مفزع » قالت هى ، « لكنها فكرة لا أستطيع أن أتخلص منها » .

« أيه ، ياليت .. » هكذا تمتم « تورتى » فى حسرة مبهمة ولكن دون أن يريد تعميق الموضوع وهز رأسه

صمتنا من جديد كانت العاشرة الا الربع ثم رن جرس الباب كانت رنة طويلة حاسمة الى حد ما(١) انتفض كلاهما

قالت هى « ترى من يكون فى هذه الساعة ؟ » سمعت خطوات « اينس » المتثاقلة عند المدخل والبــاب الذى أخذ ينفتح ثم حديث هامس أطلت الفتاة الى حجرة المعيشة شاحبة للغاية

سألتها السيدة « اينس » من الذى جاء ؟ »

اتجهت الخادم الى السيد وقالت وهى تتلعثم « سيدى « تورتى » تعالى سيادتك ، لحظة ، هناك لو تدرى ! »

« لكن من ؟ من ؟ » هكذا سألتها السيدة بغضب ، رغم أنها كانت تعرف جيدا من عساه أن يكون .

---

(١) وردت بالنص **piuttosto lungo, perentorio** وقد ترجمت (طويلة حاسمة الى حد ما) وقد اضيفت كلمتى (كانت رنة) التى لم تات بالنص وانما الصعوبة هنا تكمن فى كلمة **piuttosto** المتعددة المعانى وهى ظرف زمان **avverbio t.** وهى صيغة **forma** اكثر استمرارية **durativa** واقل تحديدا **approssimata** من كلمة **piu** التى هى على العكس لحظية **momentanea** ومحددة **puntuale** ولهــا معان عدة مثل (بالاحرى) ، أو (بالاجدر) أو (بالأولى) وكذلك المعانى الآتية

(أ) فبالمعنى المقصود به التعبير عن الشكل او الطريقة **modale** فانها لا تفيد الاختيار **opzione** ولكنها تفيد فقط التحديد **propensione**

(ب) نوعا ما لحد ما **alquanto**

(جـ) اكثر خصوصية اكثر سرورا اكثر سهولة **Più spcialmente, più volentieri, più facilmente**

(د) تقريبا **quasi**

(هـ) بل أو بالعكس **anzi**

(و) من الأفضل **prefebilmente**

(ز) بما فيه الكفاية **abbastanza**

(ح) كثير **parecchio**

وقد اختير المعنى الأول على أساس ان الكاتب يصف هنا طريقة دق الجرس ، وكان من المفروض فى هذه الحالة ان تكون الجملة هكذا **Piuttosto lungo, che perentorio** ويمكن اعتبار الضمير **che** مستترا **Sottinetso** ...

انحنت « اينس » كمن يدلى بأشياء غاية فى السرية خرجت منها الكلمات هامسة « انه ٠٠ انه ٠٠ ياسيدى « تورتى » ، تعال سيادتك٠٠ لقد عاد المايسترو » « أباكير ! » ٠

« يالها من خزعبلات ! » قالهـــا « تورتى » ، مهتاجا من كل هذه الأسرار ، ثم قال لزوجته « سأذهب أنا أمكثى أنت هنا »

خرج الى الطرقة المعتمة تعثر فى حافة قطعة أثاث وبحدة فتح الباب المؤدى الى البهو

هنا على قدميه ،بروحه الخجولة بعض الشىء كان « أباكير » ليس تماما مثل « أباكير » المعهود ، بل أقل مادية الى حد ما ، فقد كانت حدود شكله يشوبها نوع من عدم التحديد هل كان شبحا ؟ ربما ليس بعد ربما لم يكن قد تحـــرر كلية مما قد اصطلح عليه البشر بالمادة شبح لكن مازالت فيه بقية من صـــلابة كان يرتدى كعـادته الملابس الرمادية ، والقميص ذا الخطوط الزرقاء ورباط عنق أحمر وأزرق والقبعة من لباد لين جدا كان يطويها بعصبية بين يديه (كان ذلك يعنى أنه شبح ملبس ، شبح رباط العنق وهكذا) ٠

لم يكن « تورتى » رجلا سريع التأثر بل هو على النقيض تماما ومع ذلك فانه ظل هنـــاك بلا نفس ليست بدعاية أن يرى أعز وأقدم أصدقائه يعود ليظهر فى البيت بعد أن شيعه منذ عشرين يوما الى المقابر

« أميديو » قالها « أباكير » المسكين مبتسما كما لو كان يريد أن يجس النبض(١)

« أنت هنا ؟ أنت هنا ؟ » قال « تورتى » هذا فيما يشبه التعنيف فمن بين المشاعر المتضاربة والمضطربة تولدت بداخله فقط طـــاقة من الغضب ، ومن يدرى ؟ كيف ؟ أما كان عليه أن يشعر بعزاء كبير لرؤية صـــديقه الفقيد ؟ أما كان « تورتى » ليتنازل طواعية عن كل ملايينه ؟ بلى ، بالتأكيد كان ليفعل ذلك دون تردد أى تضحية ٠ اذن لماذا لم يكن يشعر الآن بهذه السعادة ؟ بل لماذا هذا الهياج الأبكم ؟ أبعد كثرة الآلام وكثرة البكاء ، وكثرة المعاناة التى فرضتها ما تسمى بالتقاليد ، آكان عليه

---

(١) ورد بالنص testare il terreno وهو تركيب لغوى una locuzione مشهور يعنى ما ترجم به من تعبير (جس النبض) الشهير كذلك بالعربية وان كان معناه المباشر هو يجس الأرض ٠

أن يبدأ من جديد ؟ منذ يوم رحيل صديقه كان فى أيام الفراق قد تغلب على شحنة حبه له ، تماما ، حتى أنه لم يتبق منها الآن شيء

« هيه نعم ، أنا هنا » هكذا أجابه « أباكير » وهو يطوى أكثر فأكثر حواف قبعته « لكنى تعرف ذلك جيدا ، فبيننا لامجال للمجاملات٠٠ ربما تسببت فى الازعاج ٠٠ »

« ازعاج ؟ أو تسميه ازعاج ؟ » هكذا لاحقه « تورتى » وهو يتميز من الغيظ ثم أضاف « تعود ولا أريد أن أعرف من أين ، وفى هذه الحالة ثم تتكلم عن الازعاج ! ان لك شجاعة كبيرة يا أخى ! » (١) ثم قال لنفسه وقد أصابه الحنق تماما : « ماذا أفعل الآن أنا ؟ »

قال له « أباكير » « اسمع ، يا « أميديو » لا تغضب فى النهاية فان الذنب ليس ذنبى حتى هناك (وقام باشارة مبهمة) يوجد نوع من الفوضى وعلى ذلك فينبغى على أن أبقى هنا حوالى شهر آخر شهرا ان لم يكن أكثر وأنت تعلم أنه لم يعد لى بيت ، فبداخله الآن المستأجرون الجدد ٠٠ » ٠

« اذن ، فأنت تريد القول ، أنك ستمكث هنا لدى للنوم ؟ »

« نوم ؟ لم أعد بعد أنام ٠٠ ليست المسألة مسألة نوم يكفينى ركن صغير لن أتسبب فى ازعاج ، أنا لا آكل ، لا أشرب ولا يعنى لدورة المياه لا أحتاج ٠٠ تعرف ؟ فقط حتى لا أظل هائما طوال الليل ولاسيما تحت المطر » ٠

« أو تبتل من المطر ؟ » ٠

« لا أبتل ، طبعا » ثم قام بضحكة باهتة وقال « لكن المطر يسبب دائما كدرا لعينا » ٠ وهكذا تود أن تمضى الليالى هنا ؟ » « لو سمحت لى بذلك » « لو سمحت بذلك ! ٠٠ أنا لا أفهم شخص ذكى صديق قديم ٠٠ امرؤ له الحياة بأسرها وراءه ٠٠ كيف يتأتى له ألا يزن الأمور ؟ نعم فأنت لم تكن لديك أبدا أسرة ! »

---

(١) لم ترد بالنص كلمة يا اخى ولكن وردت هكذا « un bel coraggio hai ! » فنجد ان الفعل ملك bai قد تاخر الى نهاية الجملة حتى تختم بطابع الاستنكار الذى عبر عنه بالعربية بكلمة (اخى) وقد اضيفت نفس الكلمة فى قصة (الموسيقار المفقود) فى نهاية عبارة من حوار قالتها زوجة الموسيقار له

كان الآخر يرتد فى اتجاه الباب وقد أصابه الارتباك « إعذرنى ، تعرف ، كنت أعتقد ٠٠ كل ما فى الأمر شهر واحد فقط ٠٠ »

« لكنك لا تريد أن تفهمنى اذن ! » قالهـا « تورتى » وقد شـعر بالمهانة ، ثم أضاف « ان ما يشغلنى ليس هو نفسى الأطفال ! الأطفال ! يبدو لك أن لاشىء فى أن تظهر لبريثين لم يبلغا بعد عشر سنوات ٠ وفى النهاية ، لابد أن تضع فى اعتبارك الحالة التى أنت عليها٠ اغفر لى فظاظتى ، لكنك ، انك طيف ٠٠ وأنا ياعزيزى ، لا أدع طيفا حيث يوجد أطفالى » ٠

« يعنى ، لافائدة ؟ »

« يعنى ياعزيزى لا أدرى ماذا أقول » ظل هنـاك بالكلمة الناقصة (١) ٠ فجأة كان « أباكير » قد اختفى فقد كانت تسمع بأسفل على السلم خطوات تبتعد فى سرعة خاطفة(٢) ٠

كانت دقات الساعة تعلن عن ثلاثين دقيقة بعد منتصف الليـل عندما عاد من احدى الحفلات الموسيقية المايسترو « ماريو تامبورلانى » مدير الكونسر فاتوار الى منزله ، وهو نفس مكان عمله (٣) ٠ لدى وصوله

---

(١) وردت بالنص la parola menca وكلمة monoc صفة agg. تعنى (الشلول) أو (الناقص للعبارات والأخبار) و (الباس) اذا ألحقت بكلمة فقير مثلا وقد استخدمت هنا من الكاتب وربما كان يعنى بها نقص الكلمة ونقص التصرف ومن حسن الحظ أنه يمكن التعبير عن ذلك تماما باللغة العربية

(٢) وردت بالنص a precipizio وكلمة precipizio اسم مذكر s.m. تعنى الهاوية ولكن التركيب اللغوى la locuzione a precipizio ومعناها (عجلة غير عادية أو فائقة) يمكن ترجمته (بالسرعة الفائقة) أو (بالسرعة الخاطفة)

(٣) وردت بالنص
Suonavo mezzanotte e mezzo quando il maestro Mario Tamburlani direttore del conservatorio, dove aveva anche l'alloggio, torno a casa da un concerto.

وهذه الجملة فى تركيب يصعب ترجمته دون تصرف والمعنى المباشر لهذه الجملة هكذا (كانت الساعة تدق منتصف الليل ونصف الساعة عندما عاد قائد الأوركسترا (المايسترو) ماريو تامبورلانى ، مدير الكونسرفتوار حيث يسكن (أو حيث يتخذ منه مسكنا) الى المنزل من حفل للموسيقا)

وانما تكمن الصعوبة من ورود جملتين اعتراضيتين متواليتين ويمكن أن تترجم فى الصيغ العربية الآتية

(أ) عاد المايسترو « ماريو تامبورلانى » الى منزله من احدى الحفلات الموسـيقية عندما كانت دقات الساعة تعلن عن ثلاثين دقيقة بعد منتصف الليل لقد كان المايسترو « تامبورلانى » مديرا للكونسرفتوار ويقيم فى مكان عمله نفسه =

الى باب شقته وبمجرد أن انتهى من ادارة المفتاح فى الثقب اذ به يسمع همسا من خلفه « مايسترو ، مايسترو ! » وما ان التفت منتفضا حتى ابصر « أباكير » .

كان « تامبورلانى » شهيرا بالدبلوماسية وحسن التصرف(١) والفطنة ، والقدرة على الحذر فى الحياة وهى ميزات ، أو عيوب دفعته لأعلى مما كانت امكانياته المحدودة تستطيع فى لمح البصر قدر الموقف

« يا عزيزى ، ياعزيزى » هكذا تمتم بنغمة ملؤها الود والأسى وكان يمد يديه لعازف الكمان انما وهو واقف على بعد متر كامل منه يا عزيزى ، ياعزيزى .. لو تعلم مقدار الفراغ الذى »

« ماذا ؟ ماذا ؟ » هكذا قال له الآخر الذى كان أصم بعض الشيء لأن حدة الحواس ضعيفة عند الأشباح « أرجو أن تتذرع بالصبر فأنا الآن لم أعد أسمع مثل ذى قبل .. » .

« آه ، فاهم ، ياعزيزى .. لكنى مع ذلك لا أستطيع أن أصيح فان « أدا » هناك نائمة ثم .. » .

= (ب) من احدى الحفلات الموسيقية عاد المايسترو « ماريو تامبورلانى » مدير الكونسر فاتوار ، الى منزله وهو مكان عمله نفسه . عندما كانت دقات الساعة تعلن عن ثلاثين دقيقة بعد منتصف الليل

(جـ) كان المايسترو «ماريو تامبورلانى » مديرا للكونسرفاتوار ويقيم فى مكان عمله نفسه الذى عاد اليه من احدى الحفلات الموسيقية عندما كانت دقات الساعة تعلن عن ثلاثين دقيقة بعد منتصف الليل

(د) من احدى الحفلات الموسيقية عاد المايسترو «ماريو تامبولارنى» الى الكونسر فاتوار حيث كان مديرا وحيث كان يتخذ منه مسكنا (او حيث كان فيه منزله) عندما كانت دقات الساعة تعلن عن ثلاثين دقيقة بعد منتصف الليل

(هـ) الى منزله الذى كان جزءا من مكان عمله عاد المايسترو « ماريو تامبورلانى » مدير الكونسر فاتوار من احدى الحفلات الموسيقية عندما كانت دقات الساعة تعلن عن ثلاثين دقيقة بعد منتصف الليل

(و) عاد من احدى الحفلات الموسيقية المايسترو « ماريو تامبورلانى » مدير الكونسر فاتوار الى منزله ، وهو مكان عمله نفسه عندما كانت دقات الساعة تعلن ثلاثين دقيقة بعد منتصف الليل

(١) وردت بالنص بالفرنسية savoir faire وهى تطلق على الشخص (الذى يتميز فى علاقاته بجاذبية : طلاوة اللسان وحسن البيان وفطنة اللب ودماثة المعاملة وقد اكتفى بعبارة حسن التصرف على أساس أنها تشمل تقريبا المعانى السابقة

« عفوا ، ألا تستطيع أن تدعنى أدخل لحظة ؟ فقد مضت على ساعات طوال وأنا أسير ٠٠ » ٠

« لا ، لا ، أعمل معروفا ، فهى مصيبة لو تنبه « بليتس » ٠ « ماذا ؟ ماذا قلت ؟ » « بليتس » ، كلبى الولف ، انك تعرفه أليس كذلك ؟ سوف يقوم بضوضاء شديدة وسوف يستيقظ الحارس فورا ثم من يدرى ٠٠ » « اذن ، ألا أستطيع لعدة أيام أن ٠٠ » « أن تأتى للاقامة هنا عندى ؟ ياعزيزى « أباكير » طبعا طبعا ! كيف لا من أجل صديق مثلك انما ، أرجو أن تعذرنى ، فماذا نفعل بالكلب ؟ »

أربك الرفض « أباكير » ٠ جرب عندئذ تحريك المشاعر : « لقد كنت تبكى ، يا مايسترو ، لقد كنت تبكى من شهر فات ، فى المقابر ، عندما ألقيت بحديثك ، قبل أن أوارى التراب هل تذكر ؟ كنت أسمع انتحاباتك ، أم ماذا كنت تظن ؟ » ٠

« ياعزيزى ، ياعزيزى ، لاتقل لى ذلك ان ضيقا يصيبنى هنا (ووضع احدى يديه على صدره) ٠٠ يا الهى يبدو لى أن « بليتس » كانت تأتى بالفعل من داخل الشقة زمجرة تحذير مكتومة

« انتظر يا عزيزى ، سأدخل لحظة لأسكت ذلك الحيوان الذى لا يحتمل عزيزى ، لحظة واحدة »

فى خفة ثعبان الماء انسل للداخل وأوصد من خلفه ضلفة الباب واحكم اغلاقه جيدا بالمزلاق ٠ ثم خيم الصمت (١)

انتظر «أباكير» عدة دقائق ، ثم همهم : «تامبورلانى» ، «تامبورلانى»٠ ولم تصدر عن الجانب الآخر أية اجابة ٠ عندئذ قرع الباب قرعا خفيفا بعقلات أصابعه لكن الصمت كان مطبقا

كان الليل يتقدم ٠ فكر « أباكير » فى أن يحاول من « جنا » وهى

---

(١) وردت بالنص هذه الجملة من كلمتين فقط هما poi silenzio وترجمتها (ثم صمت) أو بالأحرى يعرف الصمت فتصير (ثم الصمت) وان كان من الأفضل بالنسبة للعربية ان يضاف فعل مثل (ساد) أو (خيم) او (طبق) أ: (شـــاع) م تذكر كلمة الصمت ٠

فتاة غانية (١) وذات قلب طيب ، ومعها قد كان مرات عديدة كانت « جنا » تسكن حجرتين صغيرتين في مجمع سكني شعبي قديم وبعيد عندما وصل كانت الساعة قد جاوزت الثالثة كانت بوابة الدخول الصغيرة منفرجة لحسن الحظ ، كما يحدث عادة في مثل خلايا النحل هذه. وصل « أباكير » الى الدور الخامس بعناء . لقد كان متعبا من جراء التجوال

بالممر لم يجد صعوبة في العثور على باب الشقة برغم الظلام الكثيف طرق الباب بهدوء كان عليه أن يعاود الطرقات قبل أن يسمع أى دلالة للحياة . ثم وصله صوتها مليئا بالنعاس : « من ؟ من في مثل هذه الساعة ؟ » .

« هل أنت وحدك ؟ افتحي أنا « توني »

« في هذه الساعة ؟ » هكذا كررت القول دون حماس لكن بخضوعها واستسلامها المعهود ثم أضافت : « انتظر .. اني آتية » ضربات خف في ضيق ، انفتاح زرح مصباح النور ، مزلاج يدور (٢) « كيف تاتي في هذه الساعة ؟ » وما أن فتحت الباب ، حتى كادت « جنا » أن تجرى الى فراشها تاركة للرجل عبء اعادة اغلاق الباب عندما هزها شكل

---

(١) وردت بالنص di facile costumi وهو اصطلاح espressiene له هذه الدلالة (غانية) بمعنى (بنت الليل والفتاة سهلة النوال الخ ولكن باستخدامنا هذا كسر الايقاع الجمالي في الجملة الايطالية فانه بدأ في وصف الفتاة قائلا انها di facile costumi مقدما حرف الجر الذى يمكن أن يترجم ب (ذات) أو ب قدمه على الاصطلاح الذى ترجمناه (بغانية) ثم عاد وقال e di buon cuore) مقدما كذلك حرف di وهو الذى يمكن أن يترجم هذه المرة أيضا ب (ذات) أو (ب) قدمه على الصفة الثانية للفتاة وهي التي معناها قلب طيب كان نقول مثلا (فتاة ذات سمعة سيئة وقلب طيب) ولكننا في الترجمة لم نذكر ذلك وانما قلنا مباشرة (فتاة غانية وذات قلب طيب) عازفين عن الايقاع الجمالي للجملة مؤثرين تحديد المعنى في الصفة الأولى .

(٢) وردت كل الجملة بالنص كالآتي :

uno svogliato ciabattare, lo scatto dell'interrutore della luce, la serratura che girava.

واهم ما يميز الجملة هنا هو تتابع الحركات دون فاعل (سوى في جزء (La serraturo che girava) وهي أسلوب حديث من أساليب الكتابة وقد ترجمت الجملة هنا بنفس المعنى وبنفس التتابع ولكن ليس بنفس الجرس أو الايقاع والمقصود في النهاية هو تكدس كافة هذه الحركات وكأنها أعباء كبيرة ولا سيما أن « جنا » قطعت نومها مستيقظة وفي ساعة متاخرة من الليل

« أباكير » الغريب • ظلت تلاحظه مبهوته وهنا فقط بزغت من بين ضباب النعاس ذكرى مرعبة « لكنك لكنك لكنك لكنك » كانت تريد أن تقول لكنك مت ، أتذكر الآن ، على كل حال كانت تنقصها الشجاعة تراجعت ومدت ذراعيها حتى تدفعه اذا ما اقترب منها : « لكنك •• لكنك» • ثم أطلقت صرخة « أخرج أخرج أرجوك ! » هكذا كانت تتوسل اليه ، وقد جحظت عيناها رعبا فقال هو « أرجوك يا » جنا كنت أريد أن استريح قليلا » • « كلا كلا ، اخرج ! كيف يمكنك أن تفكر فى ذلك انك تريدنى أن أجن • أخرج ! خرج ! أتريد أن توقظ المجمع كله ؟ »

وعندما لم تصدر عن « أباكير » أية دلالة على التحرك فقد عانت الفتاة بيديها خلفها ، دون أن ترفع ناظريها عنه ، وهى تبحث كيفما اتفق فوق صوان لحفظ المأكولات • وقع تحت يديها مقص

قال لها مرتبكا « انى ذاهب ، انى ذاهب » لكن المرأة بشجاعة اليأس كانت قد سددت الى صدره طعنة بالسلاح المضحك ، توغل السلاح المزدوج كله بسلاسله فى الشبح ، حيث انه لم يجـــد مقاومة أوه « تونى » ، اغفر لى ، لم أكن أريد ذلك « هكذا قالت الفتاة خائفة ، بينما كان هو يقول « لا ، لا •• آه ، يالها من دغدغة ، أرجوك يالها من دغدغة ! » وانفجر ضاحكا بهستيرية كمجنون بالخارج فى الفناء ضرب أحدهم مصراع احدى النوافذ بجلبة • ثم انبرى صوت هائج : « أيمكن أن نعرف ما الذى يجرى ؟ الساعة الآن الرابعة تقريبا ! •• انها لفضيحة والله ! » هرب « أباكير » كالريح •

لدى من يحـــاول الذهاب ثانيـــة ؟ الذى نائب راعى كنيســـة سان كاليستو ، خارج بوابة المدينة ؟ الذى دون « رايموندو » الشهم زميله القديم فى المدرسة الثانوية والذى أعطاه آخر التعزيات الدينية وهو على فراش الموت ؟ « انصرف ، انصرف أيها الشبح الشيطانى » هكذا كانت كلمات الكاهن المحترم عندما ظهر له عازف الكمان •

« لكنى « أباكير » ألا تذكرنى ؟ دون « رايموندو » دعنى اختبىء هنا عندك بعد قليل يحل الفجر ما من كلب يريدنى لقد تنكر لى الأصدقاء • على الأقل أنت •• » •

« أنا لا أعرف من تكون » هكذا أجابه القيس بصوت حزين مهيب ثم قال « قد تكون ابليس ، أو وهما من أوهام حواسى أنا لا أدرى

أما ان كنت أنت « أباكير » حقيقة ، فسأدخل اذن ، ذاك سريرى تمدد عليه واسترح •• » •

« شكرا ، شكرا يادون » رايموندو ، « كنت أعرف »

استأنف القس حديثه بعذوبة « لاتشغل بالك لاتشغل بالك ان كنت محل شك الأسقف •• لاتشغل بالك أتوسل اليك حتى وان كان حضورك هنا ، قد يتسبب فى مشاكل خطيرة الغرض لاتعبأ بى لو أنك بعثت هنا لتحطمنى ، حسن فلتكن ارادة الله ! لكن ماذا تفعل الآن ؟ هل أنت راحل ؟ » •

ولهذا فان الأرواح ــ هذا اذا ما سمعت بعض النفوس التعسة بدأب الى البقاء فوق الأرض ــ لا تريد أن تعيش معنا لكنهـا تأوى الى الديار المهجورة بين أطلال الأبراج الأسـطورية الى الكنائس المتناثرة بين الغابات فوق الصـخور المنعزلة التى يلطمهـا البحـر ويلطمهـا فتنهار فى بطء •

٨ ـ الرجل الذى أراد الشفاء

حول مصحة الجزام الكبيرة التى تقع فوق التل على بعد كيلو مترين من المدينة ، كان يمتد سور عظيم عال وفوقه كان جنود الحراسة يسيرون جيئة وذهابا كان من بين هؤلاء الحراس من هو متعال شديد المراس(١) ، ومن هو على العكس تعرف الرحمة الى قلبه طريقا ولذلك فقد كان يتجمع المجزومون وقت الأصيل أسفل الحصن ويسألون أطوع الجنود · كانوا يقولون مثلا : « جاسبارى » ماذا ترى هذا المساء ؟ هل من أحد على الطريق ؟ أتقول عربة ؟ وما شكل تلك العربة ؟ وهل أضيء القصر ؟ هل أناروا المشاعل فوق البرج ؟ أو هل عاد الأمير ؟ » كانوا يستمرون هكذا ساعات ، دون أن يكلوا أبدا ، وبالرغم من أن اللائحة تمنع ذلك ، الا أن الحراس كانوا يجيبونهم عن

(١) وردت بالنص altezzose e intrattabile وهما صفتان من الأفضل فى الصياغة العربية لو لم يرتبطا بحرف العطف (الواو) وقد استغنى عنه فى الترجمة واكتفى بالفاصلة ، ولا سيما أن الواو أتت على رأس الجملة اللاحقة التى تصف من هم عكس ذلك

طيب خاطر ، وهم فى الغالب يبتدعون أشياء لا وجود لها ، مرور عابرى سبيل ، أضواء ، حرائق ، حتى انفجارات البركان « ايرماك » (١) ، لأنهم كانوا يدركون أن أى جديد انما هو بمثابة شرود لذيذ لأولئك الرجال المقضى عليهم بعدم الخروج من هنا أبدا حتى المرضى ذوى الحالات الخطيرة المحتضرين كانوا يشتركون فى اللقاء ، فعلى محفات يحملهم المجزومون غير الموقين بعد •

واحد فقط لم يكن يأتى ، انه شاب دخل المصحة (٢) منذ شهرين كان نبيلا ، فارسا ، وكان رجلا جميلا للغاية فيما مضى ، على قدر ما تبقى للتخمين ، فقد داهمه الجزام بعنف نادر وشوه وجهه فى وقت قصير كان يدعى « مسير يدون » •

كانوا يسالونه لدى مرورهم أمام كوخه قائلين « لماذا لا تاتى ؟ لماذا لا تاتى أنت أيضا لسماع الأخبار ؟ سوف تطلق الألعاب النارية هذا المساء ، وقد وعد « جاسبارى » بأن يصفها لنا سوف يكون جميلا جدا ، سترى ! » •

كان يجيبهم برقة وهو يطل من عتبة بابه ويغطى وجهه ، الذى صار يشبه وجه الأسد (٣) بمنشفة بيضاء ويقول « أصدقائى أفهم أن الاخبار التى يبلغها لكم الحارس هى بمثابة سلوى بالنسبة لكم • هذا هو الرباط الوحيد الذى تبقى لكم مع العالم الخارجى ، مع مدينة الأحياء أليس هذا صحيحا ؟ » •

« نعم هذا صحيح ، بالتاكيد » •

« هذا يعنى أنكم قد رضختم لعدم خروجكم أبدا من هنا بينما أنا •• » •

---

(١) هذا البركان ، بركان وهمى بطبيعة الحال Mario Bormioli, G. Alfonso Pellegrinetti Letture Italiane per Stranieri, Volume secondo, la letteratura italiana dell'ottocento e del novecento IV edizione, Mondadori, Milano, 1962 pp. 398.

(٢) وردت بالنص Iazzaretto والمقصود بها هنا مستشفى المجزومين Ibid ولا تخفى صلة هذه الكلمة باسم اليعازر الذى ورد ذكره باحد الأمثال (اليعازر والفتى) الجيل لوقا الاصحاح السادس عشر عدد ١٩ ـ ٣١ •

(٣) وردت بالنص già leonia ومعناها كما جاءت بالترجمة لأن وجه المجزومين يشبه وجه الأسد Mario Bormioli, G. Alfonso Pellegrinetti.

« بينما أنا على العكس سوف أشفى ، اننى لم أرضخ ، اننى أريد ، أتفهمون ، أريد أن أعود الى عهدى الأول » ٠

« أنت ماذا ؟ » ٠

« من بين الآخرين كان يمر أمام كوخ « مسيريدون » « جاكومو » الحكيم العجوز كبير الجماعة(١) ٠ كان يبلغ من العمر عشرة ومائة سنة على الأقل ، ومنذ قرن من الزمان تقريبا والجزام ينخره لم يعد لديه عضو مميز ، لم يعد ما يميز الرأس والأذرع والأرجل ، تحول جسمه الى هيئة عصا سمكها ثلاثة أو أربعة سنتيمترات ٠ أما كيف تحتفظ بتوازنها فمن يدرى ؟ وعلى رسه جديلة من الشعر الأبيض ، تشبه فى مقاس أكبر ، تلك المنشات التى يستخدمها نبلاء الاحباش أما كيف يرى أو يتكلم ، أو يتناول طعامه ، فان ذلك كان لغزا ، فقد كان وجهه متهتكا لاتظهر به فتحات فوق الطبقة البيضاء المتجمدة التى كانت تغطيه ، والتى تشبه لحاء شجرة البتولا ٠ انما هذه هى أسرار المجزومين أما عن المشى، فبعد أن اختفت مفاصله لجأ الى القفز على قدمه الوحيدة ، المستديرة هى الأخرى مثل طرف العصا المستديرة ٠ أما مظهره العام فكان لطيفا وليس مخيفا عمليا كان يبدو أنه انسان قد تحول الى نبات (٢) وحيث انه كان طيبا للغاية وذكيا ، فقد كان الجميع يبجلونه

توقف العجوز « جاكومو » لدى سماعه كلمات « مسيريدون » ، وقال له : « مسيريدون » ، أيها الصبى المسكين ، انى هنا منذ حوالى مائة عام ، وممن بين من وجدتهم هنا ومن دخلوا بعدى لم يخرج أحد أبدا هذا هو حال مرضنا لكن هنا أيضا نستطيع أن نعيش ولسوف ترى ٠ يوجد من يعمل ، يوجد من يحب ، يوجد من يكتب أشعارا، يوجد الخياط والحلاق اننا يمكننا أيضا أن نشعر بالسعادة على الأقل ليست تعاستنا أكثر كثيرا ممن هم بالخارج من البشر ٠ علينا فقط أن نرضخ ٠ لكن الويل يا «مسيريدون» ، اذا ما تمردت الروح ولم تتكيف وطمحت الى شفاء مستحيل ، عندئذ سيمتلىء القلب سما » ٠ هكذا كان يتكلم العجوز وهو يهز خصلته البيضاء الجميلة

---

(١) وردت بالنص patriarca ومعناها الأكبر أو الأسن Il più anziano
Ibid وقد ترجمت بصيغة الاضافة فى العربية (كبير الجماعة)
(٢) وردت بالنص un uomo trasformato in vegetale
كان يبدو كرجل تحول الى شجرة جرداء (بلا افرع أو اوراق) Ibid

لاحقه « مسيريدون » : « لكنى ، لكنى فى حاجة للشفاء ، اننى غنى، لو أنك صعدت فوق الأسوار فتستطيع أن ترى قصرى له قبتان من الفضة تومضان • هناك توجد جيادى تنتظرنى ، وكلابى ، وصيادى وكذلك جوارى الحسان ، الصبايا ينتظرن أن أعود أتفهمنى أيها العصا الحكيم ، اننى فى حاجة للشفاء » •

قال « جاكومو » ضاحكا فى طيبة قلب « لو كان الشفاء يتطلب مجرد الحاجة اليه ، لهان الأمر جدا لنال الجميع شفاء ان كاملا أو ناقصا » •

فأصر الشاب قائلا « لكنى لكنى أملك وسيلة الشفاء التى لايعرفها الآخرون » •

قال « جاكومو » « أوه ، تتخيل ذلك ، هناك دائما محتالون يقدمون للمرضى الجدد بأثمان مرتفعة مراهم سرية وخرافية للشفاء لقد سقطت أنا أيضا فى هذا الشرك عندما كنت صغيرا » •

« لا ، انى لا أستعمل مراهم ، اننى أستخدم ببساطة الصلاة »

« انك تصلى لله أن يشفيك ؟ ولذلك فأنت مقتنع أنك ستشفى ؟ لكننا جميعا نصلى ، أم ماذا تظن ؟ لا تمر ليلة دون أن يتجه الفكر لله ومع ذلك •• » •

« كلكم تصلون ، هذا حقيقى ، ولكن ليس مثلى انكم فى المساء تذهبون للاستماع الى نشرة أخبار الحارس ، أما أنا فاصلى انتم تعملون ، تدرسون ، تلعبون الورق ، أنتم تعيشون تقريبا كما يعيش البشر الآخرون ، أما أنا فأصلى ، الا فى أضيق حدود الوقت الضرورية ، للأكل ، والشراب ، والنوم ، اننى أصلى باستمرار دون توان ، ثم أننى أصلى كذلك أثناء تناولى للطعام وحتى أثناء نومي ، كبيرة فى الحقيقة هى ارادتى حتى اننى منذ بعض الوقت أحلم بأننى أركع وأننى أصلى ان الصلاة التي تقومون بها تعد مزاحا • ان الصلاة الحقة(١) مشقة ضخمة ،

(١) وردت بالنص L'autentica preghiera وكلمة autentica وهى صفة مؤنثة agg. f. ومعناها :
(أ) سارى أو نافذ أو ذو سلطة valido e autorevole
(ب) حقيقى vero
(جـ) ترجع للمؤلف الذى يستخدمها appartenente all' autore cui è attribuito

اننى فى المساء أصل منهكا من الجهد كم هو قاس على أن اشرع لتوى فى الصلاة بمجرد استيقاظى فى الفجر ، ان الموت يبدو لى أحيانا أفضل لكننى بعد ذلك استجمع قواى وأركع أنت يا « جاكومو » لأنك عجوز وحكيم ، لابد أنك تعرف هذه الأشياء •

عند هذه النقطة بدأ « جاكومو » فى الترنح كما لو كان لا يستطيع الاحتفاظ بتوازنه ، وسطرت عبرات ساخنة لحاه الرمادى

انتحب العجوز قائلا « حقيقى ، حقيقى أنا أيضا عندما كنت فى مثل سنك •• أنا أيضا قذفت بنفسى فى الصلاة وصمدت سبعة أشهر وفعلا كانت الجراح تلتئم والجلد يعود جميلا ناعما كنت فى سبيلى للشفاء •• لكنى فجأة لم أستطع الصمود وضاع كل تعبى وأنت ترى ما آل اليه حالى •• » •

فقال له « مسيريدون » : « اذن فأنت لاتصدق أنى »

« أعانك الله ، لا أستطيع أن أقول لك شيئا آخر ، فليمدك القادر على كل شيء بالقوة » هكذا تمتم العجوز واتجه بقفزات صغيرة صوب الأسوار حيث كان الجمع قد احتشد •

استأنف « مسيريدون » صلواته وهو منعزل فى كوخــــه ، غير آبه بنداءات المجزومين كان يناضل المرض عاضا على نواجزه بفكر مثبت بالله ، وقد كساه العرق من فرط الاجهــاد ، وشيئا فشيئا كانت القروح الدنسة(١) تتقلص عند طرفها ثم تسقط ، تاركة اللحم السليم يتكون من جديد • ذاع الخبر فى تلك الأثناء • وحول الكوخ كانت تتوقف باستمرار مجموعات من الفضوليين • ها قد ذاعت شهرة « مسيريدون » كقديس

هل انتصر أم أن كل هذه المثابرة لن تصل الى شيء ؟ انقسموا الى فريقين ، أحدهما مع الشاب المثابر والآخر عليه • الى أن جاء يوم خرج فيه « مسيريدون » من كوخه بعد حوالى سنتين من الاعتكاف وأخيرا أضاءت الشمس وجهه ، الذى لم تعد عليه أية علامة من علامات الجزام ، لم يعد مشابها لخطم الأسد ، انما كان متألقا بالجمال •

---

(١) وردت بالنص le imnonde croste وهى قروح مرض الجزام ذات المنظر الفظيع le piaghe della lebbra orribili a vedersi (Ibid)
وان كان من الممكن ترجمتها كذلك ب (القروح الملوثة) ولكن كان من الأفضل الحفاظ على شكل الكلمة وكذلك المدلول المراد

« شفى ، لقد شفى ! » هكذا صاح القوم مترددين بين الاستسلام للبكاء فرحا أو للحسد ينهشهم نهشا كان قد تم الشفاء « لمسيريدون » فى الحقيقة لكنه كى يستطيع مغادرة المصحة كان عليه أن يحصل على شهادة •

ذهب الى الطبيب المختص ، الذى كان يقوم بالتفتيش كل أسبوع ، خلع ملابسه وجعله يقوم بفحصه •

« أيها الشاب ، تستطيع أن تقول انك محظوظ » هكذا جاء رده ثم أضاف « علىّ أن أسلم بأنك معافى تقريبا »

فسأله الشاب باحبط مرير « تقريبا لماذا ؟ »

« أنظر ، أنظر هنا الى هذه القرحة الصغيرة القبيحة » هكذا قال له الطبيب وهو يشير بمؤشر صغير ، كى لايلمسها ، على خنصر أحد القدمين ، الى نقطة صغيرة فى لون الرماد ، ليست أكبر من قملة « ينبغى عليك أن تزيل هذه أيضا لو كنت تريد أن أمنحك حريتك »

عاد « مسيريدون » الى كوخه ، ولم يعرف أحد ولا هو أيضا كيف استطاع أن يجتاز هذا الاحباط كان يعتقد أنه قد أصبح معافى ، كان قد خفف من كل طاقاته ، لقد كان يستعد للجائزة وعلى العكس كان عليه أن يبدأ من جديد طريق الآلام •

حثه « جاكومو » العجوز قائلا تشجع مجرد جهد بسيط » لقد اجتزت الأصعب سوف يكون من الجنون أن تتراجع الآن بالذات »

كانت تجعيدة ميكروسكوبية على الخنصر لكن يبدو أنها كانت لاتريد الاذعان شهر ثم شهران من الصلاة القوية المستمرة لاشىء شهر ثالث ، ورابع ، وخامس • لاشىء • كان «مسيريدون» على وشك الاستسلام وذات ليلة ،وهو يمرر يده بطريقة عشوائية على القدم المصاب ، كما اعتاد أن يفعل اذا به لايجد القرحة

حملة المجزومون على الأعناق • فلقد أصبح حـــرا أجريت مراسم الوداع أمام هيئة الحرس ثم اصطحبه « جاكومو » العجوز فقط ، قافزا ، الى الباب الخارجى روجعت وثائقه ، أصدر المفتاح صريره وهو يدور فى ثقب الباب وفتح الحارس الباب على مصراعيه

لاح العالم تحت شمس الصباح الباكر رطبا مليئا بالآمال لاحت الغابات المروج الخضر الطيور وهى تغرد ، وعلى امتداد البصر كانت المدينة تضوى بأبراجها البيضاء بشرفاتها تزركش الحدائق أطرافها براياتها المرفرفة ، بطائراتها الورقية العالية على أشكال التنين أو الأفاعى، وبأسفل حيث لا تصل الأبصار ، كانتعشرات الآلاف من أشكال الحياة، ومن الفرص ، من النساء ، من المرح الغـامر من ألوان الفخـامة ؛ من المغامرات البلاط ، الدسـائس السـلطان ، الأسـلحة ، انها مملكة الانسان !

كان « جاكومو » العجوز يرقب وجه الشاب ، شغوفا أن يراه وقد أضاءه المرح ابتسم « مسيريدون » بالفعل لمشهد الحرية ولكنها كانت لحظة بعدها شحب وجه الفارس الشاب فى الحال

« ماذا أصابك ؟ » هكذا سأله العجوز معتقدا أن التأثر قـد انتزع أنفاسه • والحارس يقول « هيا ، هيا أسرع ، أيها الشاب ، اعبر خارجا فانه ينبغى على «أن أعيد اغلاق الباب فورا ، أتعشم ألا تحتاج الى رجاء !»
لكن « مسيريدون » عاد خطوة الى الوراء وغطى عينيه بيديه وقـال « أوه أنه لشىء مرعب ! »

فقال له « جاكومو » ثانية « ماذا بك ؟ أتشعر بتعب ؟ » •

قال له « مسيريدون » « لا أستطيع ! » تغيرت الرؤيا أمـامه فجأة وبدلا من الأبراج والقباب ، كانت ترقد مجموعة متشابكة قذرة من الديار المهجورة المتربة تنهمر منها النفايات والفـاقة وبدلا من الرايات فوق الأسطح كان غمار معتم للنعر (١) مطبقا كغبار فاسد

سأله العجوز « ماذا ترى يا « مسيريدون » ؟ قال لى هل ترى عفنا وقذارة مكان ما كان فخما ؟ فى موقع القصور ترى أكواخا وضيعة ؟ اليس كذلك يا « مسيريدون » ؟ •

« نعم ، نعم ، كل شىء أصبح مريعا لماذا ؟ ماذا حدث ؟ »

قال له الكبير « كنت أعرف ذلك ، كنت أعرف ذلك ، لكنى لـم

---

(١) وردت بالنص tafani ومفردها tafano وهى اسم مذكر s.m. وهى فصيلة من الذباب اللاسع الضخم معروفة بالعربية باسم (النعر) •

أجسر على أن أقوله لك هذا هو مصيرنا نحن بنى الانسان ، كل شيء ندفع ثمنه غاليا أما كنت تطلب دائما أن تظفر بقوة الصلاة ؟ لقـــد كانت صلاتك من النوع الذى لا يقاومه حتى غضب الســـماء لقـد انتصرت ، انك شفيت والآن تدفع الثمن »

« أدفع الثمن ؟ ولمـاذا ؟ »

« لأن الرحمة هى التى كانت تؤيدك ورحمة القادر على كل شيء لا تتوانى ٠ لقد شفيت ولكنك لم تعد كما كنت من قبل ٠ من يوم ليوم وبينما كانت الرحمة تعمل بداخلك كنت تفقـــد دون أن تدرى لـــذة الحياة كنت تشفى لكن الأشياء التى من أجلهـــا كنت تتعذب كى تشفى كانت تنفصل عنك شيئا فشيئا كانت تتحول الى أشباح الى سفن هائمة فى يم السنين ! كنت أعرف ذلك ، كنت تعتقد أنك أنت المنتصر وانما كان الله هو الذى انتصر عليك وهكذا فقدت الرغبات للأبد ٠ أنت غنى لكنك الآن لا تأبه بالنقود انك شاب لكنك لا تهتم بالنساء تبدو لك المدينة الآن كمكان للقذارة لقـــد كنت نبيـلا فاصـــبحت قديســـا أتفهم كيف تتم المحاســـبة ؟ انك أخـيرا لنا « يا مسيريدون » ! السعادة الوحيدة المتبقية لك هى أن تبقى هنا بيننا ، نحن المجزومين لتسرى عنا هيا أيها الحارس فلتغلق الباب فنحن عائدان »

وجذب الحارس ضلفة الباب ٠

٩ ـ الطفل الطاغية

مع أن الطفل « جورجو » كان يعد لدى الأسرة أعجوبة فى الحسن والطيبة والذكاء لكنه كان مخوفا كان الأب والأم والجد والجدة لوالده (١) ، والخادمتان ، « أنا » و « ايدا » جميعهم يعيشون تحت ظل كابوس نزواته ولكن أحدا لم يجرؤ على الاعتراف بذلك بل على العكس كانت هناك منافسة مستمرة لاعلان أن الزمان لم يجد بطفل عزيز رقيق وديع مثله كل كان يريد أن تكون له الغلبة فى هذا الولد الجامح ٠ وكل كان يرتعد اذا ما راوده التفكير فى احتمال تسببه دون عمد فى بكاء الطفل ليس بالأحرى لدموعه فهذه يمكن التغاضى عنها فى الواقع ، بقدر ما هو بسبب تبكيت الكبار كانوا بحجة حبهم للصغير يطلقون العنان فى الواقع لأرواحهم الخبيثة فيراقب بعضهم البعض ويتجسس بعضهم على بعض

لكن غضبات « جورجو » كانت مخيفة فى حد ذاتها فباللؤم

---

(١) وردت بالنص il nonno e la nonna paterni وكلمة paterno هى صفة agg. والصفة المقابلة لها فى العربية هى أبوى ، ولكن جرت العادة على القول جده أو جدته لوالده بدلا من استخدام هذه الصفة أى (الجد والجدة الأبويين)

المميز لهذا النوع من الأطفال ، كان يقيس تمـــاما تأثير مختلف هجماته المضادة لذلك فقد درس استخدام أسلحته الخاصة وفقا للقواعـــد الآتية في الخلافات الصغيرة كان يكفيه(١) مجرد البكاء بتشنجات تبدو في الحقيقة وكأنها ستهشم صدره لا محالة وفي الحالات الأكثر أهمية ، عندما يكون من المحتم أن يستمر النضال حتى الاذعان للرغبــة موضع الخلاف ، فانه كان يرسم العبوس على وجهه وهو عنـــدئذ كان لا يتكلم ولا يلعب ، ويرفض الطعام وهكذا كان في أقـــل من يوم يؤدي بالأسرة الى الهلع وفي الظروف الأكثر خطورة يتبع نوعين من التكتيك اما أن يتظاهر بأن آلاما غامضة داهمت عظـامه فقـــد كان يستبعد آلام الرأس والأمعاء درءا لخطر الشربة (وحتى(٢) في اختياره للمرض كان يكشف عن شره الدفين ـ ان أمكن القول(٣) ـ لأنه بالباطل أو الحق كان شلل الأطفـــال هو ما يطـرأ على تفكيرهم فورا) أما التكتيك الثاني وربما (٣) كان الأسوأ ، فهو أن يأخذ في الصراخ ، فكانت

---

(١) وردت بالنص semplicemente وهي بالايطالية ظرف avverbio ولها معان كثيرة اكثر من الكلمة المشهورة بها بالعربية وهي (ببساطة)

أ ـ (بطبيعة) con naturalezza او (باعتدال) sobrietà او (بصراحة) sincerità او (بسلامة النية) ingenuità وكذلك (بثقــة مطلقة) dabbenaggine

ب ـ فقط solamente

جـ ـ حقيقي veramente

د ـ في صيغة التفضيل in modo superlativo اذا سبقت الصفة l'aggettivo.

(٢) وردت بالنص già وهي ظرف زمان avv. للدلالة على

أ ـ ما مضى per l'addietro

ب ـ فيما سبق او ذات مرة una volta

جـ ـ سابقا precedemente

د ـ عند هذه النقطة الآن الساعة oramai

هـ ـ منذ الآن fin de ora

و ـ بالتأكيد certamente

وقد جاءت الترجمة بالمعنى الأخير على اعتبار ان (حتى) تفيد التأكيد هنا

(٣) نحن هنا أمام كلمة واحدة forse استعملها بوتزاتي خلال ثلاثة أسطر استعمالين مختلفين

وكلمة forse في الحالين هي avv. ومعناها الشامل (ربما) وكذلك

أ ـ تعبير عن الشك esprimere dubbio او الريبة incertezza

ب ـ للمخاطرة per avventura

تخرج من حنجرته ، في نبرة لا تتغير ولا تتوقف ، صرخة حادة الى أبعد حد ، لا نستطيع أن نقلدها نحن الكبار ، صرخة كانت تخترق الجمجمة وبالفعل كان من غير الممكن مقاومته فسرعان ما كان يكسب « جورجو » الجولة بكلا الحسنيين فينال ما أراد ويرى الكبار يعتركون ، فكل يواجه الآخر بأنه السبب فى تكدر الطفل البرىء

أما اللعب فلم يكن لدى « جورجو » أى ميل صادق لها أبدا انما كان لمجرد الزهو يريد منها الكثير والجميـــل كان شغوفا بأن يأتى للبيت باثنين أو ثلاثة أصدقاء ثم يبهرهم من صوان صغير يحـــرص على أن يوصده بالمفتاح باستمرار كان يستخرج كنوزه واحدا تلـــو الواحد حسب تزايد عظمتها فكان زملاؤه يشتاطون حسدا أما هو فكان يستمتع باذلالهم « لا لاتلمسها أنت فيداك متسختان أتعجبك هه ؟ هات هنا هات هنا والا فستخربها وأنت قل لى هل أهدوا اليك واحدة مثلها أنت أيضا ؟ » (وهو يعلم جيدا أن ذلـك لم يكن) من خلال فتحة الباب كان والداه وجـــداه يضمونه(١) بنظراتهم فى حنان وكانوا يتهامسون « يا له من غال انه بالفعـل رجل صغير قد صار اسمعوا كيف يعتز بنفسه ! هيه انه

جـ ـ تقريبا او حوالى **circa**

وقد استخدمها بوتزاتى (أولا) هكذا **la sua forse inconsapevole perfidia**

اى (شره الدفين ان أمكن القول) وعبارة (ان أمكن القول) التى جاءت ترجمة **forse** هذه المرة انما جاءت مقصودا بها كلمة الدفين وكأنه يريد ان يقول (شره الذى لو وصفناه فربما استطعنا ان نطلق عليه أنه شر دفين)

ثم استخدمها بوتزاتى (ثانيا) هكذا **oppure, e forse era il peggio**

أى (ثم أيضا وربما كان الأسوأ) وقد استعيض فى الترجمة بعبارة (انما التكتيك الثانى) بدلا من (ثم أيضا) أما **forse** فقد ترجمت هنا ب (ربما)

(١) وردت بالنص **covavano** وهو فعل **covare** فى الماضى الناقص **imperfetto** وله أكثر من معنى أ) رقد على البيض (للطائر) حتى يفقس • ب) تلكأ استرخى كسولا فى السرير دون حاجة للنوم **poltrire** جـ) تواجد تحت ظروف سرية أو صعبة د) صان فى غيرة أو بعناية فائقة أو بتقدير زائد عن الحد ، تفرس او حملق فى أحد بتأثر او بحنان كبير او باعجاب **covare qualcuno con gli occhi** هـ) أوعز فى نفس أحد ما مشاعر سرية أو تكتمها و) أهمل علاج مرض أو ترك المرض يتفاقم ز) تفاقم المرض دون أن يشعر به الانسان

كل المعانى الواردة من (ب) إلى (و) معان مجازية للفعل ، وتطبيقه فى موقفنا هذا انما بالمعنى الوارد فى (د) •

يعتز بلعبه ، هيه انه يعتز بالدبة التى أهدتها له جدته ! » • كما لو أن غيرة الطفل على لعبه تعد فضيلة خارقة

كفى • جاء أحد المعارف فى يوم ما باحدى اللعب الرائعة من أمريكا هدية له « جورجو » كانت « لورى لنقل اللبن » نموذج دقيق جدا فى تقليده لعربات النقل المصنوعة من أجل تلك المهمة ؛ مدهون باللونين الأبيض والأزرق ، به سائقان بزيهما ويمكن وضعهما أو رفعهما وكان البابان الأماميان ينفتحان ، وكانت اطارات المطاط فى عجلاته ، وبالداخل اصطفت بالمجرى الخاص أقفاص معدنية كثيرة كل واحد فوق الآخر وكل قفص يحوى ثمانى زجاجات مكرسكوبية مختومة بسدادة من ورق القصدير وعلى الجانبين توجد ستارتان معدنيتان متحركتان على محور، اذا ما فتحتا فانهما تنطويان حول المحور كما فى الحقيقة تماما لقد كانت بلا شك أجمل واغرب لعبة بين كل اللعب التى يمتلكها «جورجو»، وربما كانت أبهظها ثمنا

حسنا ، فقد حدث بعد ظهر أحد الأيام ، بينما كان الجد ، الكولونيل(١) بالمعاش ، والذى لم يكن يدرى عادة كيف يشغل نفسه بينما هو يعبر أمام صوان اللعب ، سحب كما يحدث بالصدفة أحيانا مقبض ضلفته فاحس أنه يستجيب كان « جورجو » قد أغلقه بالمفتاح كالمعتاد ، ولكن احدى الضلفتين التى يدخل فيها لسان المزلاج لم تكن قد ثبتت سهوا بالمزلاقين العلوى والسفلى وهكذا انفرجت الضلفتان

كانت اللعب فوق أربعة أرفف معدة هنا فى نظام تام ، كلها لازالت

---

(١) وردت بالنص colonnello وهو اسم s.m. لاعلى درجات الضباط العظام (قائد فرقة) مشتق من كلمة colonna اى (عمود) نظرا لانه قائد ل « عمود » من الجنود

Il più elevato nella garachia degli ufficiali superiori (comandante di reggimento) : «da colonna in quanto comandante di una colonna di soldati».

وعلى هذا الأساس فقد ترك الاسم فى الترجمة كما هو (كولونيل) فهو الدرجة السابقة مباشرة لدرجة اللواء وهو ليس بالعميد حيث ان هذه الرتبة غير موجودة الآن بالجيش الايطالى (الرجا النظر فى هامش الرتب العسكرية الموجود بقصة « الكلب الذى راى الله ») ولو ترجم بالعقيد فربما اعطى مدلولا اقل مما هو عليه بالايطالية وهذا المدلول أساسى هنا جدا فى تشكيل شخصية ونفسية الجد ذى الماضى العسكرى التليد الذى يواجه مازقا وظلما من حفيده •

لامعة جميلة لأن « جورجو » يكاد الا يستعملها اطلاقا كان « جورجو » بالخارج مع « ايدا » ، كذلك الوالدان كانا قد خرجا ، وكانت الجدة « الينا » تقوم بأشغال الابرة فى حجرة الاستقبال وكانت « أنا » تنعس فى المطبخ • كان البيت هادئا ساكنا تلفت(١) الكولونيل حوله كلص(٢) ثم برغبة داعبته منذ زمن طويل امتدت يداه الى لورى اللبن الذى كان يتلألأ فى الظلمة داخل الصوان(٣)

وضعه الجد على المنضدة ، وجلس وهم بفحصه لكن هناك قانونا غامضا بمقتضاه لو أن طفلا لمس خفية شيئا يخص الكبار ، فان هذا الشيء يصيبه التلف لتوه ، وبالتالى فان اللعبة يصيبها التلف اذا لمسها أحد الكبار رغم أن الطفل استخدمها استخداما عنيفا دون أن يصيبها بخسائر لشهور عديدة فلم يكد الجد يرفع احدى الستارتين المعدنيتين الجانبيتين الصغيرتين ، بحرص الساعاتى ، الا وقد سمع طقطقة كانت احدى الدعامات الصفيحية المدهونة قد قفزت للخارج أما المحور الذى كان من المفروض أن تلف حوله الستارة ، فقد تدلى دون دعامة •

بقلب خافق أنهك الكولونيل العجوز نفسه ليعيد الأشياء الى نصابها لكن يديه كانتا ترتعشان وتأكد تماما أنه بانعدام مقدرته فان اصلاح العطب أمر مستحيل لم يكن التلف متواريا ، من السهولة ستره فبانفصال المحور أصبحت الستارة لا يمكن غلقها فقد تدلت معوجة تماما •

ضياع يائس حاق بذلك الذى قاد يوما جنوده الفرسان على سفح جبل « المونتيللو » فى حملة يائسة ضد مدافع النمساويين الرشاشة • سرت فى فرائصه رعشة لدى سماعه صوتا بدأ وكأنه صوت يوم الحساب : « يا يسوع بن مريم ، « أنطونيو » ماذا فعلت ؟ » •

---

(١) وردت بالنص si guardò alle spalle وهو تعبير modo da dire تعنى أن (تيقظ حيال خطر طارىء او خيانة ، ويمكن ان تترجم بـ (احتاط) أو (تلفت ناظرا حوله) أو (كان حذرا)

(٢) وردت بالنص Il colonnello si guardò alle spalle come un ladro وهنا يضع « دينوبوتزاتى » تفجيرا لكلمتين متناقضتين متقاربتين (فى جملة واحدة) وهو موقف (الكولونيل – اللص) كما لو كان يحوى عنصري (الشرطى واللص) معا

(٣) لم يرد بالنص جملة (داخل الصوان) وقد اضيفت بالعربية

استدار الكولونيل على عتبة الباب كانت زوجته « الينـــا » بلا حراك ، تحملق فيه بعينين منفرجتين : « هل كسرته ، قل ، هـــل كسرته ؟ » •

« ماذا ، لم أقول لك انه شيء بسيط » هـــكذا تلعثم الجندى العجوز ، ويداه تدوران فى محاولة فاشلة لاصلاح العطب « والآن ؟ والآن ماذا تفعل ؟ » ثم استأنفت المرأة حديثها لاهثة « وعندما يلحظ « جورجو » ذلك ؟ الآن ماذا تفعل ؟ » فحاول الكولونيل فى بؤس أن يجد العذر : « اننى لم أكد المســه ، أقســم لك ••• لابد أنه كان مكسورا من قبل اننى لم أفعل شيئا » واذا كان فى يوم من الأيام قد توهم أن يجد فى زوجته شيئا من المشاركة المعنوية فان هذا الأمل قد ضاع فقد كان سخط المرأة العجوز كبيرا « لم أفعل ، لم أفعل انك تبدو لى كالببغاء ! ••• لابد أنه انكسر من تلقاء نفسه ، مفهوم !••• افعل أى شيء على الأقل تحرك بدلا من أن تظــل هكذا كالأبله ! » « جورجو » قد يحضر هنا بين لحظة وأخرى ومن (وأخـــذ صوتها يتحشرج من الغضب) ومن قـــال لك أن تفتح صـــوان اللعب ؟ »

لم تكن هنــاك حاجة لشيء آخـر حتى يفقد الكولونيل صـــوابه كان اليـــوم للأسف يوم أحد ، ومن المحال أن يجد عاملا يمكنه اصلاح اللورى • فى تلك الأثناء كانت السيدة « الينا » قد انصرفت من المكان ربما حتى لا تتورط فى الجريمة • أحس الكولونيل أنه وحيد ، مهجور فى غابة الحياة الجاحدة كان الضـــوء يخبو الليـــل بعد قليـــل و « جورجو » قادم(١) •

بارتباك عظيم جرى الجد عندئذ الى المطبخ باحثـــا عن دوبارة وبعد أن أدخل الدوبارة بسقف اللورى ، نجح فى تثبيت طرفى الستارة،

---

(١) وردت بالنص Tra poco notte, e Giorgio di ritorno

وهما جملتان استخدمهما بوتزاتى بلا أفعال فهما مختزلتان حتى يوحى بمرور الوقت السريع وباضطرب نفسية الكولونيل وقد تم ترجمتهما كجملتين اسميتين من أجـــل المحافظة على هذا الايحاء المقصود ، والا فان الترجمة كان بوسعها أن تأتى هكذا

(بعد قليل سيحل الليل ، وسيعود « جورجو »)

او (بعد قليل يحل الليل ، ويعود « جورجو »)

حيث أنهما لا تعكسان الا روحا تأملية وفكرا متهاديا

بطريقة تبقيها مغلقة تقريبا   من الواضح أنه لم يعد فى الامكان فتحها ثانية لكن على الأقل فانه لا يمكن ملاحظة شيء غير عادى من الخارج أعاد وضع اللعبة فى مكانها ، وأغلق الصوان   انسحب الى حجرة مكتبه   بالكاد فى الوقت المناسب   فثلاثة دقات جرس طويلة كانت تعلن عودة الطاغية

لو أن الجدة على الأقل احتفظت بفمها مغلقا   هيهات(١)   ففى ساعة العشاء ، فيما عدا الصغير ، كان الجميع ، بما فيهم الخادمتان ، على علم بالمصيبة • وهكذا كان ميسورا على طفل أقل مكرا من « جورجو » أن يفهم أن فى الجو شيئا ما غير عادى ومريبا   مرتين أو ثلاث مرات حاول الكولونيل أن يخلق موضوعا للحديث   لكن أحدا لم يساعده   « ماذا حدث ؟ » هكذا سأل « جورجو » بوقاحته المعهودة   ثم أضاف   « مالكم تبدون هكذا وكأن على رؤوسكم الطير(٢) ؟ » فقال الجد محاولا ببطولة أن يحول الأمر كله الى مزاح   « آه جميلة منك هذه ، على رؤوسنا الطير ، على رؤوسنا ، هاه هاه ! » ضحكته خمدت فى الصمت •

لم يطرح الطفل أسئلة أخرى   بمكر شيطانى تماما بدا أنه قد فهم أن القلق العام يتعلق بأمر يخصه ، ان العائلة كلها ، لسبب مجهول ، تشعر بالذنب ، وأنه يمتلك ناصيتها فى يديه •

كيف تسنى له أن يخمن ؟ هل قادته نظرات أفراد الأسرة القلقة المرتعشة التى لم تدعه ولو للحظة ؟ أم أنه تلقى اخبارية سرية ؟ الواقع انه بمجرد انتهاء العشاء ذهب « جورجو » بابتسامة خبيثة الى صوان

---

(١) وردت بالنص   figurarsi   وهو فعل   figurare   فى صيغة ذى الضميرين rifl·   وله معان عدة أشهرها (تخيل)   وقد جاء هنا بالنص على الأغلب بمعنى افترض   supporre   أو اعتقد   credere   وفقا لهذا المثل   تخيل أن ذلك كان   ولكن ذلك لن يكون   figura di esserci stato, ma non si sta وهكذا فقد ترجم الفعل هنا بالفعل أو التعبير العربى هيهات ! مراعاة لترمير الفرض الجدلى   dialettico   الوارد فى التمنى الزاخر فى الجملة السابقة

(٢) وردت بالنص   Avete tutti la luna piena
وهو تعبير معناه المباشر (تملكون جميعا البدر أو القمر كاملا)   دليلا على الانشغال والتامل فيه   والمراد هنا هو الهدوء الظاهرى مما جعله يشك فى الأمر ويحس أن هناك شيئا مريبا   وقد وجدنا أن التعبير العربى (كان على رؤوسكم الطير) هو المناسب من حيث الهدوء المظهرى وهو المراد هنا   وكذلك حتى يكون تعبيرا غريبا على طفل فى سنه فيدلع الجد لان يحاول أن يجعل منه شيئا مضحكا

اللعب فتح مصراعيه ، ومكث دقيقة كاملة فى التأمل كما لو كان يعرف أنه بذلك يطيل قلق المذنب ثم بعد أن تم له الاختيار أخرج اللورى من الصوان وبعد أن احتضنه تحت ابطه ذهب ليجلس على احـــدى الأرائك ومن هناك أخذ يحملق فى الكبار واحدا وراء واحد وهو يبتسم

قال الجد أخيرا بصوت منطفىء « ماذا تفعـــل يا صـــغيرى « جورجو » ؟ ألم يحن موعد نومك « نيننا(١) » ؟ « نيننا ؟ » هـكذا جاءت اجابة الحفيد المتملصة معربا فيهـــا عن دعابة هازئة « ولماذا لا تلعب اذن ؟ » هكذا جسر أن يقول العجوز ، وهو يرى أنه من الأفضل أن تسرع الكارثة بالوقوع بدلا من هذا الاحتضار قال له الطفل بعناد « لا لا رغبة فى اللعب » بـلا حـراك ، انتظر حوالى نصـف السـاعة الى أن أعلن « اننى ذاهب للسرير » وخرج باللورى تحت ابطه

أصبح الأمر هوسا فطوال اليوم اللاحق واليوم الذى تلاه لـم يفـارق « جورجو » المركبـة ولو للحظة حتى المـائدة أراد الاحتفاظ بها بجواره ، كما لم يفعل قبل ذلك بأى لعبة قط لكنه لم يكن يلعب لم يقم بتشغيلها ولم يظهر اى رغبة فى أن ينظر بداخلها

أصبح الجد كمن يعيش على الشوك (٢) قال له أكثر من مرة « جورجو » ، اذا كنت لا تلعب باللورى فلماذا تحمله معك دائما ؟ لماذا هذا التمسك به ؟ تعال ، تعال هنا أرنى الزجاجات الصغيرة الجميلة ! » فقد كان على شوق للحظة التى يكتشف فيها الحفيد العطب ، وليحـدث بعد ذلك ما كان ينبغى أن يحدث (فقد كان لا يجـــرؤ على كل حال أن يعترف بما جرى من تلقاء نفسه) كان يعانى من عذاب الانتظار كثيرا ولكن « جورجو » كان لا يتحرك عن موقفه : « لا ، لا أرغب • انه ملكى أليس اللورى ملكا لى ؟ اذن فدعنى وشأنى »

فى المساء بعد أن آوى « جورجو » للفراش أخذ الكبار يتناقشون فقال الأب للجد « قل له إنت بدلا من الاستمرار على هذا المنوال ! قل له أنت ! اننا لم نعد نحيا بسبب هذا اللورى اللعين » فاحتجت

---

(١) وردت بالنص nanna وهو اسم مؤنث SF فى لغة الأطفال يعنى النوم وكذلك مرادفها فى العامية المصرية « نيننا »

(٢) وردت بالنص viveva sulle spine وهو تعبير معناه يعيش على الشوك وهو ما يعطى مدلول القلق النفسى ويمكن أن يترجم كذلك ب (يتقلب على الشوك)

الجدة قائلة « لعين ؟ لا تقل ذلك حتى ولو للمزاح انها أغلى لعبة لديه ياعينى ياحبيبى (١) ! » استأنف الأب حديثه دون أن يعيرها اهتماما « قل له أنت ! » كررها حانقا ثم أضاف : « لن تنقصك الشجاعة أنت الذى شاركت فى حربين ، لديك الشجاعة أليس كذلك ؟ »

لم تكن هناك حاجة لذلك ، ففى اليوم الثالث عندما ظهر « جورجو » باللورى ، لم يستطع الجد أن يصمت « تعال يا « جورجو » ، لماذا لا تجعله يسير قليلا ؟ لماذا لا تلعب ؟ انك تثير مشاعرى بهذا الشىء دائما تحت ابطك ! » عندئذ كشر الطفل عن أنيابه كما يفعل عنه قيامه بنزوة من نزواته (أكان صادقا أم أنه كان يقوم بتمثيلية ؟) ٠ ثم شرع فى الصراخ منتحبا « اننى أفعل ما أريد بلعبتى ، أفعل بها ما أريد كفوا عن مضايقتى أفهمتم أم لا ان كفى ؟ اننى أكسر اللورى لو أردت اننى أسحقه تحت رجلى ٠٠٠ هكذا ٠٠٠ هكذا ، أنظر ! » بكلتا يديه رفع اللعبة وبكل قوته قذفها على الأرض ثم بكعبى قدميه قفز عليها مهشما اياها بانتزاع السقف انغلق اللورى الصغير وتبعثرت الزجاجات على الأرض

هنا توقف « جورجو » فجاة ، أقلع عن الصراخ انحنى ليفحص أحد الحائطين الداخليين للمركبة أمسك بطرف الدوبارة الدخيلة التى وضعها الجد على الستارة مليئا بالحقد السام نظر حوله بوجه داكن وهمهم « من ؟ من الذى فعلها ؟ من الذى عاث فيه بيديه ؟ من الذى أتلفه ؟ »

تقدم الجد للأمام ذلك المحارب القديم منحنيا بعض الشىء توسلت اليه أمه قائلة « يا « جورجو » أنا كن طيبا لم يفعلها الجد متعمدا ٠ صدقنى اغفر له ٠ يا صغيرى « جورجو » ! » ٠

تدخلت الجدة هى الأخرى قائلة « آه ، لا يا بنى لك حق أنت ٠٠٠ اضرب جدك القبيح « آآ » (٢) الذى يتلف لك كل لعبك ٠٠٠

---

(١) وردت بالنص povero tesoro أى (ياكنزى المسكين) وقد يكون التعبير العربى « يا عينى يا حبيبى » وهو تعبير الجدات على الأغلب هو المرادف للتعبير الايطالى

(٢) وردت بالنص tôtô وهى فى لغة الصغار تعنى الضرب أو صوته وفى العامية العربية أو المصرية المرادف لها هذا الصوت « آآ »

يا برىء يا مسكين ، يتلفون لعبه ثم يريدون بعد ذلك أن يكون طيبا يا مسكين • اضرب « آآ » جدك القبيح ! » •

فجأة عاد الهدوء الى « جورجو » نظر ببطء فى الأوجه القلقة المحيطة به عادت الابتسامة الى شفتيه

قالت الأم « لقد قلتها أنا ، لقد قلت دائما انه ملاك ! ها هو « جورجو » قد غفر لجده ! انظروا اليه ، يا له من قمر(١) ! »

لكن الطفل ظل يرقبهم الواحد تلو الآخر الأب فالأم فالجد فالجدة فالخادمتين « انظروا اليه يا له من قمر انظروا اليه يا له من قمر ! » هكذا شدا مقلدا فى استهزاء سدد ركلة لحطام اللورى الذى اصطدم بالحائط ثم شرع فى الضحك بجنون ضحك بجنون ضحك حتى كاد أن ينفلق وكرر القول فى هزل وهو يخرج من الحجرة « انظروا اليه ، ياله من قمر ! » بينما سكت الكبار مرعوبين •

---

(١) وردت بالنص che stella وهو تعبير espressione يطلق كناية عن الجمال ومعناه المباشر (يا له من نجم) والتعبير العربى المرادف هو (ياله من قمر)

١٠ ـ الموسيقار الحقود

بينما كان « أوجـو سـتو جورجـا » المـؤلف الموسـيقى رجـلا مفعما بالحقـد ، بلغ من الشـهرة والعمر أقصاهما (١) ، وبينما يتجول بمفرده ذات مساء فى الحى ، اذا به يسمع عزف بيانو صـادرا من أحد المجمعات السكنية الكبيرة

(١) وردت بالنص già al colmo della fama e dell' età
وكلمة colmo يمكن ان تكون صفة agg. أو اسم مذكر s.m. ففى الصفة يمكن ان تعنى
أ ـ مملوء حتى اقصى اتساعه
ب ـ صفة للطول او العرض أو الاستدارة كأن نقول مثلا strada colma اى طريق طويل وهى فى الاسم المذكر وهى الحالة التى نحن هنا بصددها فيمكن أن تعنى (أ) أقصى ارتفاع فى المنحنى. (ب) الدرجة القصوى (essere al colmo della felicità اى فى اقصى درجة من السعادة) وبالمثل يمكن أن نترجم ما جاء بالنص فنقول البالغ اقصى الشهرة والعمر أو ذروتهما وبالنسبة للشهرة واضح المقصود أما بالنسبة للعمر فليس أقصاه هو نهايته كما أنه ليس شرخ الشباب لأن قمة الشىء لا تكون فقط فى منتصفه بل هى القمة التى بعدها مباشرة يحدث الانحدار وربما يكون أكثر سن مناسب لذلك هو خريف العمر ومن هنا فيمكننا أن نقول كذلك (البالغ أوج الشهرة وخريف العمر)

توقف « أوجو ستو جورجا » كانت موسيقى حديثة لكنها مختلفة عن النوع الذى يؤلفه هو أو عن ذلك الذى يؤلفه زملاؤه • انه لم يسمع مثلها من قبل أبدا كذلك لا يستطيع القول ، لتوه ، ان كانت موسيقا جادة أم خفيفة ، وبالرغم من أن فيها ما يذكر ببعض الأغانى الشعبيـة لسوقيتها ، الا أنها كانت تحتوى على شيء من الاحتقار المرير ، لقد كانت تبدو كما لو أنها تمزح رغم أنها توحى فى أعماقها بطـــابع فيـاض من المشاعر لكن أكثر ما شد « جورجا » هو الأسلوب ، المتحرر من القوانين الهارمونية (١) ، الحاد والمكابر ، وفى الوقت نفسه يصل الى أقصى درجات الوضوح كان فوق ذلك يميز الموسيقى التى استمع (٢) اليها انطلاق جميل وخفة شبابية ، دون أى أثر لجهـــد لكن سرعان ما سكت

---

(١) وردت بالنص armoniche وهى صفة .agg من الاسم المؤنث s.f. Armonia وقد تترجم بالتوافق النغمى أو اللحنى وان كانت مشهورة كذلك فى العربية كاصطلاح علمى ولا سيما عند المتخصصين فى الموسيقى (بالهارمونى) أو (الهارمونية) وهى العنصر الثالث من عناصر التاليف الموسيقى وهى كالآتى متدرجة حسب تطور الموسيقى بناء وتاريخا

أ ـ الايقاع

ب ـ الميلودى أو اللحن

جـ ـ الهارمونى أو التوافق النغمى أو اللحنى

د ـ الطابع أو التلوين الصوتى واساس الهارمونى هو العلاقة بين الميلوديات المختلفة تقابلا وتعارضا وتشابكا وتطورا ابان البناء الموسيقى للعمل وهو محور التطور فى التاليف الموسيقى وكان الهارمونى هو ما يعنى بالتوافق بين تلك الميلوديات ، توافقا جماليا لدى القوانين الكلاسيكية القديمة وكانت العناية بالنسبة للهارمونى تنصب على تطوير التوافق بين الميلوديات الى أن جاء « دى بوسى » الذى عالج هذا التوافق بطريقة جديدة سمحت بعد ذلك بالانطلاق مع بدايات هذا القرن وحتى الآن فقد برزت حركات فى تطوير الهارمونى على أساس التوافـق واللاتوافق بين الألحان فنهم من لم يتطرف ومنهم من تطرف ومنهم من كان أكثر تطرفا وتتابعت حركات التطـــور حتى اصبحت الموسيقى لديها عصية السمع من فرط تعقدهـــا وغموضها لاعتمادهـــا على اللاتوافق فى الهارمونى ومن هنا جاءت العبارة فى النص (متحرر من القوانين الهارمونية القديمة وفى الوقت نفسه يصل الى أقصى درجات الوضوح) ومن هنا نفهم أن « جورجا » بالفعل مؤلف موسيقى جيد فقد استطاع من بين ثنايا بعض الأنغام أن يحدد على الفور نوعية العمل الذى التقطته أذناه

أنظر رون كوبلاند (ترجمة محمد رشاد بدران) كيف تتذوق الموسيقى الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ، طبعة ثانية ، ١٩٦١ ص ٨٥ ١٠٤

(٢) لم ترد بالنص عبارة (التى استمع اليها) ولكن هى المقصودة ولذلك فقد أضيفت فى الترجمة •

البيانو وبلا فائدة استمر « جورجا » يقطع الشارع فى تجواله منتظرا أن يبدأ من جـديد ٠

واخذ يفكر « من يدرى ، ربما كانت مقطوعة أمريكية ، هناك بالفعل يؤلفون بين أكثر التركيبات نارية » ثم شرع فى العودة الى منزله على كل الأحوال فقد لازمه تلك الليلة ، وطوال اليوم التالى كدر نفسى كانت حالته كمن يصطاد فى الغابة فيصطدم بصخرة أو بجذع شجرة فلا يأبه فى عجلته لكن ما أن يحل الليل حتى ينشط الألم ، دون أن يستطيع أن يتذكر أين وكيف تم ذلك ؟ احتاج لأكثر من أسبوع حتى يندمل الجرح

بعد مرور بعض الوقت وبينما هـــو عائد للمنزل فى حـوالى السادسة مساء ، وما أن فتح الباب حتى سمع « جورجا » صوت المذياع المفتوح فى حجرة الاستقبال ، وبخبرته اللماحة تعرف لتوه على الصوت ، هذه المرة لم تكن الموسيقى للبيانو منفردا انما كانت للأوركسترا ، كان هو الجزء نفسه الذى استمع اليه فى ذلك المساء ، النغمة العارمة والمتعالية، نفسها ، الجمل نفسها بتركيباتها الفريدة ومع تسلط للفكرة يدانى الشراسة وكأنها ركض جواد فى أقصى لهفة للوصول

لم يكد « جورجا » يغلق الباب حتى سكتت الموسيقى ٠ ومن حجرة الاستقبال أخذت تقترب خطوات زوجته فى سرعة غير معهودة ٠ قالت له « أهلا ياعزيزى لم أكن أعرف أنك سوف تعود سريعا هكذا » لكن لماذا كان لها ذاك الوجه المرتبك ؟ هل لديها ما تخفيه ؟

سألها متحيرا « ماذا حدث ؟ »

فاستعادت « ماريا » جأشها فورا « أى شىء تقصد وما الذى كان يجب أن يحدث ؟ »

« لا أدرى لقد قمت باستقبالى بطريقة ما لكن قولى لى أى شىء كان يبثه المذياع ! » ٠

« آه ، أو تظن أننى كنت منتبهة اليه ! »

« اذن لماذا قمت بابطاله بمجرد أن دخلت ؟ » ٠

فقالت ضاحكة : « هل تجرى معى تحقيقا ؟ ومع ذلك اذا كنت تريد

أن تعرف ، فقد قمت بأبطاله ، وأنا متجهة لاستقبالك ، لقد كنت هناك في حجرتي ، وكنت قد نسيته مفتوحا » •

فقال « جورجا » مهموما « كانوا يذيعون موسيقى موسيقى عجيبة » ثم اتجه صوب حجرة الاستقبال

« يا لك من رجل ، لا ترتوى أبدا من الموسيقى من الصباح الى المساء موسيقى انك لا تشبع أبدا أترك المذياع قليلا يا أخي ! » (١) هكذا قالت عندما رأته يشرع في اعادة تشغيله

عندئذ اتجه لمراقبتها لقد كانت تبدو قلقة ، وكأنها تخشى شيئا ما • بعناد أدار مفتاح التشغيل فأضيىء مسطح بيان المحطات ، وصدر من الجهاز الزن المعهود ، ثم صوت يقول « استمعتم الى برنامج من موسيقى الحجرة والى اللقاء مع الحفل الموسيقى القادم الذى تقدمه شركة تريميا » فقالت « ماريا » وقد بدا عليها الارتياح « أراض انت الآن ؟ » .

عند خروجه مع صديقه « جاكوميللى » ، فى المساء نفسه بعد العشاء ، اشترى « جورجا » جريدة الاذاعة ، وبحث فيها عن برنامج ذلك اليوم كان مكتوب « الساعة ١٦ر٤٥ برنامج من موسيقى الحجرة بقيادة المايسترو « سيرجو انفوسى » (٢) من مؤلفات « هيندميت » « كانز » ، « مبيسين » ، « ريبنز » ، «روسى» و « سترافنسكى » « لا ، ان الموسيقى التى استمع اليها لا يمكن أن تكون ل « سترافنسكى » بالتأكيد لقد كانت الأسماء في الجريدة مرتبة حسب الحروف الأبجدية وواضح أن ترتيب المقطوعات الموسيقية اختلف عند اذاعتها . ولا يمكن كذلك أن تكون موسيقى « هيندميت » ، ولا « مبيسين » ، فان «جورجا» يعرف موسيقاهما جيدا فهى موسيقا « ريتنز » اذن ؟ لا « ماكس

---

(١) لم ترد بالنص كلمة يا اخى انما اضيفت في الترجمة لاعطاء الجملة نفس الروح الواردة بالنص ثم انها اعطت نوعا ما من التوقف المناسب للمتحدثة

(٢) الاسم ورد بالنص sergio Anfossi وهو وهمى من اختلاق الكاتب لكنه يوحى لنا بانه اسم موسيقى وكما لو أننا تعودنا على سماعه ربما يكون ذلك لموسيقية الاسم أو ربما لأنه يذكرنا بالاسم الأول للموسيقار الشهير « سيرجى راحمانينوف » أو ربما لتطويع Buzzati للاسم وسط احداث القصة حيث نفاجأ به على قمة القائمة وكانه امر مفروغ منه وكذلك الحال بالنسبة للأسماء الثلاثة الوهمية التى وردت بعد ذلك وقد طعمها وسط بقية الأسماء الحقيقية بالاضافة الى اسم بطل القصة فصار الجو كله موسيقى فى اتقان

ريبنز » ، زميل قديم له فى الكونسرفاتوار ، ومنذ عشر سنوات ، كان قد انغمس فى اعداد غنائية بوليفونية (١) كبيرة ، كانت عملا صادقا لكنه مدرسى ، ثم اقلع عن التأليف ، وبعد صمت طويل ، عاد للظهور مؤخرا ، وقد عملا على مسرح الدولة ، مفروض أن يعرض فى هذه الأيـام ، ولكن بعد تلك السابقة البعيدة فمن الممكن استنتاج ما سوف تكون عليه .. اذن فهى ليست موسيقى « ريبنتز » ، كتبقى كل من « كانز » و « روسى » ولكن من هما ؟ ان « جورجا » لم يسمع بهما من قبل

سأله «جاكوميللى» عندما رآه مستغرقا فى البحث : «عن اى شىء تبحث ؟ » « لا شىء اليوم استمعت من المذياع الى موسيقى وأريد أن أعرف لمن تكون ؟ · كانت موسيقى عجيبة · لكننى لا أستطيع أن أتبين من هنا » ، « أى نوع من الموسيقى كانت ؟ » « لا أعرف كيف أجيبك آه ، أستطيع أن أقول أنها كانت موسيقى قليلة الأدب جدا » ، « دعك منها ، دعك منها لا تفكر فى الأمر » قالها «جاكو ميللى» مازحا فقد كان يعرف مدى تاثره ثم اضاف : « انك تعرف خيرا منى ، انه لم يولد بعد الموسيقار الذى سوف يبزك »

قال « جورجيا » وهو يشعر بتهكمه « بالعكس ، بالعكس ، سوف أكون سعيدا طالما تمنيت أن يأتى أحد أخيرا (هنـا مر به خاطر مكدر) على فكرة اليست تجربة « رينز » غدا ؟ لم تجبه « جاكو ميللى » لتوه ثم قام فى لامبالاة « لا لا انما أعتقد انهم أجلوها » «وهل سوف تحضرها ؟» فقال «جاكوميللى» «هيه ، لا ، انك تعرف ان هذا شىء فوق احتمالى » . عند هذه الجملة اعتدل مزاج «جورجيا» وانبرى قائلا « مسكين « ريبنز » ، مسكين « ريبنز » العجوز ، اننى فى الحقيقة مسرور من أجله ، جميل أن ينال هذا الرضا على الأقل فلندع الأمر فلندع الأمر ! »

---

(١) وردت بالنص **polifonica** وهى صفة من **agg. di polifonia** والأخيرة هى ضرب من ضروب الأسلوب الكونتربونطى **contrappuntisco** وهى أى (البوليفونى) عبارة عن تعدد الأصوات فى تتابع (مصاحبة) كامل وهى أسلوب قديم ومعقد نظرا لتعدد الأصوات والتى قديكون كل واحد فيها ذا طبيعة لحنية مغـايرة تماما للاصوات الأخرى وتستعمل فى العربية كاصطلاح علمى لدى المتخصصين هكذا البوليفونية ولهذا فقد كتبت بالترجمة كما هى

أنظر الدكتور حسين فوزى الموسيقى السيمفونية دار المعارف بمصر القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٠ ٢٢ ·

في المساء التالى ، كان «جورجا» يجلس أمام البيانو فى البيت محاولا العمل بلا رغبة ، عندما بدا له فجأة أنه يسمع حديثا هامسا صـــادرا من هناك من خلف الباب المغلق اقترب فى ريبة متصنتا

كانت زوجته و «جاكوميللى» يتجاذبان اطراف الحديث بصــوت خفيض فى حجرة الاستقبال المجاورة . كان «جاكوميللي» يقول «لكنه ســوف يعرف ان آجلا أو عاجلا » • وكانت « ماريا » تقول « كلمـــا تأخر فى معرفة الأمر كان أفضل • وينبغى ألا يشك فى أى شىء الآن » •• « هذا أفضل •• ولكن ماذا نفعـل فى الجرائد ؟ اننا لا يمكننا أن نمنعه من قراءة الجرائد » هنا فتح « جورجا » الباب بحدة

انتفضا واقفين كلصين ضبطا متلبسين كانا شاحبى الوجه سألهما « جورجا » « من ؟ من ذا الذى لا ينبغى أن يقرأ الجرائد ؟ » فقال « جاكوميللى » « انى ، انى كنت أتكلم عن أحد أقربائى (١) فقد تم القبض عليه لأنه وضع يده على ملك لا يستحقه ووالده ، وهو عمى لا يدرى عن الأمر شيئا »

تنهد « جورجا » الحمد لله بل تملكه احساس بالخجل من جراء قيامه بذلك الاقتحام الذى يتسم بالوقاحة الى حد ما كانت شكوكه وقوتها قد ادت به الى تسميم حياته لكن ها هو فالقلق المربك يعاوده بينما كان «جاكوميللى» يتحدث . ترى هل كانت قصة ابن العم حقيقة؟ ألا يمكن أن يكون « جاكوميللى » قد اختلقها لتوه ؟ والا فلماذا كان ذاك الحديث الهامس ؟ •

كان مشدود الانتباه ، لا يختلف عن المريض الــــذى يحجب عنه أطباؤه وذووه الحكم الذى لا يرد ، كان يشتم الكذب فيما حوله لكن الآخرين اكثر منه مكرا ، فهم يحولون مجرى فضوله ، فان لم ينجحوا فى تهدئته ، فانهم يؤجلون على الأقل علمه بالحقيقة الرهيبة •

حتى خارج المنزل كان يلوح له انه يفاجأ بدلائل على الشكوك : فعلى سبيل المثـال بعض نظرات زملائه الخبيثة ، أو سكوتهم لدى اقتـرابه

---

(١) وردت بالنص un mio cugino وكلمة cugino هى اسم مذكر وقد تعنى (ابن العم او ابن الخال او ابن العمة او الخالة أو ابن العم من الدرجة الثانية ، وقرابة اولاد أبناء العم فيما بينهم) وقد تبين من النص بعد ذلك انه كان ابن عمه او خاله لان كلمة zio تعنى الخال او العم وكان من الممكن ان نقول احد ابناء اعمامى ولكن كلمة اقربائهم اسلس من ناحية الأسلوب ولا سيما انه لمتحدث

منهم ، أو ارتباك شخص ما فى حديث معه بينما هو فى الأصل طلق اللسان على كل حال كان « جورجا » يقيم الأمر ، متسائلا عما اذا لم يكن هذا الارتياب دليل على التوتر العصبى ، فان هناك نوعا من الرجال عندما تصيبهم الشيخوخة يرون فى كل من حولهم أعداء لهم ولكن ما الذى يثير خوفه ؟ لقد كان مشهورا ، له قدره ، وله من المال رصيد طيب . فالمسارح والشركات الموسيقية تتنازع على مؤلفاته . اما الصحة فلا يمكن أن تكون أحسن من ذلك ثم انه لم يقترف اثما قط اذن ؟ ما هو نوع الخطر الذى يمكن أن يهدده ؟ غير أن هذا التفكير المنطقى لم يكن يكفيه

هاجمه القلق من جديد فى اليوم التالى بعد العشاء . كانت الساعة قد بلغت العاشرة تقريبا واثناء تصفحه للجريدة راى أن العمل الجديد لـ «ريينز» سوف يعزف لاول مرة فى ذلك المساء . لكن كيف ؟ الم يقل له « جوكوميلى » ان تجربة العمل قد تأجلت ؟ كيف أن أحدا لم يخبره ويطلب منه الحضور حتى يسترعى انتباهه ؟ ولماذا لم تبعث له ادارة المسرح بتذاكر مقاعده كالمعتاد ؟

« ماريا ماريا » هكذا ناداها وقلبه يخفق ثم قال «. أكنت تعلمين ان حفل الافتتاح لعمل « ريبنز » هذا المساء ؟ » .

أسرعت اليه « ماريا » لاهثة « أنا ، أنا ؟ نعم ، لكنى كنت أعتقد » «ماذا كنت تعتقدين ؟ والتذاكر ؟ ايمكن انهم لم يبعثوا الى بالتذاكر ؟ » .

«نعم ، نعم» . ألم تر المظروف ؟ لقد وضعته لك على «الكومودينو» « ولم تقولى لى شيئا ؟ »

«اعتقدت أن الأمر لا يهمك .. لقد كنت تقول انك لن تذهب اطلاقا كنت تقول انهم لن يرغمونى على الذهاب ثم اعترف لك أن ذلك قد غاب عن بالى .. »

خرج « جورجا » عن وعيه أخذ يكرر « أنا لا أفهم أنا لا أفهم » ثم قال « الساعة الآن العاشرة وخمس دقائق لا أستطيع أن الحق بالحفل آه من ذلك الأبله «جاكوميلى» ... (ها هو الشك الذى يعذبه منذ فترة قد تحدد الآن لابد أن عمل « ريينز » ، لسبب لا ينجح فى تخيله ، يحوى شيئا لعينا نظر مرة أخرى للجريدة انه يكاد لا يصدق) آه ، لكنه مذاع فاريد أن أغتنم هذه المتعة »

فقالت «ماريا» بصوت متألم «أنا آسفة يا «أوجوستو» ، لكن المذياع معطل ...» .

«معطل ؟ ومنذ متى وهو معطل» .

« منذ بعد ظهر اليوم في الخامسة ذهبت لتشغيله فسمعته يصدر من داخله « تكة » ولم أعد أستطيع أن أسمع شيئا ، لابد أن هناك صماما قد احترق » .

«الليلة بالذات ؟ لقد اتفقتم جميعا على ...».

فقالت « ماريا » وهي على وشك البكاء « على أي شيء اتفقنا ؟ ما ذنبي في هذا ؟» .

«حسنا ، انني خارج . لابد انني سأجد مذياعا في مكان ما ..».

«لا . يا «أوجوستو» ... انها تمطر ... وانت مصاب بالبرد .. لقد تأخر الوقت لديك كل الفرصة (١) لأن تسمع ذلك العمل اللعين فيما بعد » .. لكن « جورجا » كان قد أخذ المظلة ، وخرج بالفعل

هام على وجهه حتى جذبته الأضواء البيضاء المنبعثة من احدى المقاهي . كان يوجد هناك أناس قليلون . غير أن فريقا صغيرا كان يبدو مجتمعا بالداخل ، في قاعة الشاي الصغيرة . ومن هناك كانت تنبعث الموسيقى عجيبة هكذا راود « جورجا » التفكير فان اهتماما كبيرا بالمذياع كان يلاحظ فقط في أيام الآحاد ، عندما يذيعون مباريات الكرة. ثم واتته الشكوك تراهم يستمعون الى عمل «ريينز»؟ لكن ذلك كان غير معقول من بين الناس الذين كانوا يستمعون بلا حراك كانت توجد أنماط أبعد ما تكون عن الشك شابان على سبيل المثال يرتديان البلوفر ذو الرقبة ، فتاة غانية ونادل بسترة بيضاء .

كان « جورجا » قد انجذب لنداء غامض كما لو كان يعرف منذ أيام كثيرة بل منذ شهور وسنين أنه سوف يتواجد هناك ، في ذلك المكان وليس بآخر ، وفي تلك الساعة المكتوبة . ورويدا رويدا ، مع اقترابه تأكدت الموسيقى ، بايقاعها ، وبتكوينها ، فأحس الرجل بانقباضة في قلبه .

---

(١) وردت بالنص Il tempo وقد ترجمت ب (الفرصة) حتى لا تتكرر كلمة الوقت في الترجمة في جملتين متتاليتين .

كانت موسيقى غاية فى الجدة بالنسبة اليه ، وفى الوقت نفسه كفرحة محفورة فى مخه لقد كانت الموسيقى الغربية نفسها التى استمع اليها فى الطريق ، ثم فى المنزل ذاك المساء ، لكنها الآن كانت تبدو أكثر تحررا ومكابرة ، وأكثر عتوا فى سوقيتها الوحشية لم يقاومها حتى الجهلاء من الناس ، الميكانيكية والنساء الساقطات والخدم ، كالعبيد والمغلوبين على أمرهم ظلوا هناك فاغرى أفواههم انه العبقرى ! وهذا العبقرى كان يدعى « ريينز » والأصدقاء وزوجته حاولوا بكل الطرق حتى لا يدرى « جورجا » عن الأمر شيئا رحمة به انه العبقرى الذى كانت تنتظره البشرية منذ نصف قرن على الأقل ، الذى لم يكنه هو ، «جورجا» انما هو آخر من نفس عمره ، كان مجهولا ومحتقرا حتى الآن كم كانت تنفره تلك الموسيقى كم سيكون جميلا لو أن أحدا ينضحها يظهرها زائفة ، يغدقها بالضحكات والخزى . انما هى على العكس تشق عباب الصمت كبارجة منتصرة ، وسرعان ما سوف تغزو العالم

أخذه نادل من ذراعه قائلا « سيدى معذرة أتشعر بتعب ؟ » لقد كان «جورجا» بالفعل يترنح .

« لا ، لا ، شكرا » وخرج دون أن يشرب شيئا ، تحت المطر يائسا « أيتها العذراء القديسة ! » هكذا كان يتمتم بينه وبين نفسه وقد ادرك تماما ان كل سعادة بالنسبة اليه قد انتهت ولا يستطيع كخلاص ، ان يقدم لله اله هذا ، لان هذه الآلام تغضب الله

١١ ـ ليلة شتاء فى فلاديلفيا

فى أوائل يوليو سنة ١٩٤٥ صـــعد دليل جبل الالب «جابريلى فرانشكسينى» وحده أعلى «فال كانالى» (١) (منطقة فى جبال الألب الشرقية شديدة الوعورة تدعى «سان مارتينو كاستروزا (٢)») ليدرس

(١) وردت بالنص Val Canali وكلمة val (فال) يمكننا ان نترجمها بمعناها وهو (وادى) valle وكلمة Canali (كانالى) يمكن ان تترجم بـ (القنوات) فتصير ترجمة الاسم كله (وادى القنوات) ولكن من الأفضل أن يترك الاسم كما هو على اعتبار انه اسم علم ولا سيما أن جاء بالنص الأصلى تحديد مباشر للمكان وقد تم ترجمته باعلى بطبيعة الحال

(٢) وردت بالنص Pale di San Martino da Castrozza

اما عن San Martino da Castrozza فهو اسم علم للمكان ولكن ما يعنينا بالأحرى هو كلمة pala ومفردها pala (sing.) (وهى دلالة تستعمل فى جبال الألب الشرقية للاشارة الى سلسلة جبلية شديدة الانحدار أو حشائش مائلة او معلقة حتى أسفل الجدار الجبلى) وقد اختير المعنى الأنسب لطبيعة القصة حيث انه بطوالها لم يرد أى ذكر للحشائش وقد ذكرناه بالترجمة باعلى لانه كان لا بد من تفسير هذه الدلالة pala أثناء سياق الترجمة

وكلمة cima تعنى قمة وقد كان من الأفضل ان تذكر بمنطوقها الايطالى حيث انها اسم علم •

طريقا جديدا على جدار « تشيما ديلكورو » فأدرك شيئا أبيض مرتكزا على حدب مائل ،على بعد مائة متر من قاعدة الصخور . امعن في النظر، ففهم انها كانت مظلة هبوط وتذكر انه فى يناير كانت طائرة امريكية ذات أربعة محركات قد سقطت فى تلك الناحية أثناء عودتها من النمسا وكان سبعة أو ثمانية من الطيارين قد هبطوا سالمين بالقرب من «جوسالدو» واثنان آخران كانا قد شوهدا ، والريح تدفعهما بعيدا ، يهبطان خلف سفوح الجبال فى مجموعة «الكرودا جراندى (١)» ، ولم يعرف عنهما شيء بعد ذلك .

كانت تبدو تحت المسقط الجبلى خيوط بيضاء تتارجح وهى تمسك بشيء صغير أسواد أهى حقيبة لمؤن الطوارىء ؟ أم أنها جثة الطيار نفسها وقد انكمشت هكذا بفعل الشمس ، والغربان ، والعواصف كان الجدار الجبلى شديد الانحدار فى هذه البقعة ، غير أنه لم يكن شديد الصعوبة، كان من الدرجة الثالثة تقريبا. وصل «فرانشيسكينى» الى المكان فى وقت قصير ، ووجد أن الشيء الأسود كان تشابك الأربطة التى كانت تحمل الطيار والتى كانت قد قطعت قطعا حاسما بسكين سحب اليه مظلة الهبوط فرأى شيئا أحمر قانيا على مسطح جبلى أسفل منه . كانت سترة من المطاط المزدوج مزودة بقضيبين غريبين ، حرك أحدهما فانتفخت السترة بالهواء وهى تصفر فى لحظة . كان مكتوب فوقها بالانجليزية (٢) : ل ت . ف . ب موللير ـ فيلاديلفيا (با) . ووجد « فرانشيسكينى » تحته كذلك خزنة مسدس وقد انطلق كل رصاصها .

---

(١) وردت بالنص Croda Grande وكلمة Croda وهى مجموعة صخرية مدببة Guglia ضمن منطقة فى جبال الألب الشرقية وهذه المنطقة عامة مكونة من المعادن والأملاح DOLOMITI ويعزلها اودية (او هى مصطلح عليها باسم اودية Canaloni نظرا لانها خطوط غائرة بطوال الجدر الجبلية سببتها نزلات الجليد واندفاعات الصخور الهابطة) لها شكل أفقى مثلث ولذلك فان جدرها حادة وحوافها قائمة عند نقاط التقاطع

وقد وضع الاسم بمنطوقه الايطالى نظرا لأنه إسم علم

(٢) وردت بالنص Sopra c'è scritto LT. F. P. Muller. Philadelphia (pa). دون أن يذكر بطبيعة الحال كما ذكر فى الترجمة العربية أن ذلك كان مكتوبا بالانجليزية لأنه من الميسور كتابة كل هذه الاصطلاحات بالانجليزية مباشرة حيث ان كلا من الايطالية والانجليزية لهما نفس الحروف انما الذى أبان الاختلاف والذى أكد أن المصطلحات مكتوبة بالانجليزية هو كلمة « فلاديلفيا » فانها تكتب بدلا من حرفى ال (Ph) فى الانجليزية بالايطالية باستخدام حرف ال (F) فبالايطالية تكتب هكذا Filadelfia وبالانجليزية هكذا Philadelphia

وفى القاع ، فى حفرة التقاء الصخور والجليد الذى كان يملأ القناة الجبلية (١) وجد وشاحا من قماش الفانيلا بلون أخضر عسكرى وعلاوة على ذلك سنكى صغير مفلوج فى اقصى طرفه . اما عن الرجل فلا اثر .

(كان « فرانكلين ج جوجر » قد قفـــز أولا ، ثم قفز هو بعده فورا الآخرون ؟ وكانت مظلته البيضاء قد فتحت ؟ ولم يكن الآخرون قد قفزوا بعد ٠ لابد أن «جوجر» كان ما يقرب من خمسين مترا لأسفل ٠ كان دوى المحركات يخيم فى أذنيه ، كان يبدو أنه يغوص فى القطن المندوف

أدرك أن الريح كان يدفعهما ، كلما هبطا ، خـــارج الوادى ، نحو الجبال المحملة بالجليد . وعلى مدى البصر كانت تنتصب فى أعلاها قمم مدببة غريبة ، تفلجها اوديـــة فى الظل وتبدو زرقة الجليد فى النهاية

« جوجر » ، « جوجر ») «ولكن فجـــاة قـــام بينه وبين زميله جدار كان يأتى فى مواجهته ٠ كان جـدارا عمودى الانحدار،ذالون اصفر ورمادى. فجاة ارتمى عليه ففرد يديه ليمتص التصادم) .

وما أن نزل للوادى (٢) ، حتى أبلغ « فرانشيسكينى » أقرب قيادة أمريكيـــة ٠ ثم عاد الى هناك بأعلى بعد اثنى عشر يوما ، وفى تلك الأثناء كان كثير من الجليد قد ذاب لكنه بحث طويلا دونما جدوى . كان

---

(١) وردت بالنص Il Canalone وقد سبق أن ورد معناها ضمنا اثناء التعليق على كلمة Croda وعلى كل الأحوال فان معنى Canalone هو خط محفور ضيق متآكل بطول الجدار الحجرى (الصخرى) سببته تساقطات الجليد واندفاعات الأحجار الهابطة ومن الصقيع (وهو الهبوط الحاد فى درجة الحرارة) او هو خط وعر وعميق على جوانب الجبل

(٢) وردت بالنص sceso a valle اى (عندما نزل للوادى) او (لدى نزوله) او (بعد نزوله) لأن كلمة sceso هى اسم المفعول participio passato للفعل scendere اى (نزل) واسم المفعول فى الايطالية له استخدامات عدة ففى هذه الحالة له الوظيفة الزمنية funzione temporale والمعنى (انه عند عودته) او (عند رجوعه)

على أهبة النزول ثانية عندما رأى البيت على الجانب الأيمن من الوادى (١) وقد خرج نصفه من الجليد كان كاملا تقريبا ، كانت حدقتا عينيه فقط قد اختفتا ، وجرح رهيب على قمة راسه ، حفرة مستديره وعريضة كالفنجان ، كان شابا يربو على الرابعة والعشرين من عمره ، أسمر ، طويل القامة ، وكانت احدى الدبابات تدور حوله

(اصطدم بالصخرة ، كانت ارتطامة أقل فظاعة من المتوقع . لم ينجح فى ان يتماسك ، واثناء ترديه قافزا ، وجد نفسه معلقا مرة أخرى انما بلا حراك (٢) كانت المظلة قد تعلقت على شىء أشبه ببرج صغير بارز للخارج هكذا ظل متدليا فى الفضاء

حوله كانت صخور صماء ، غير متجانسة ، عتيقة (٣) ، ولا يفهم كيف استطاعت أن تبقى فى توازن . كانت الشمس تضيئها لكنه نظر الى عمق الوادى (وكان يبدو من عال كأنه

---

(١) وردت بالنص Vallone وهو اسم مذكر s.m. ، معناه (وادى عميق وضيق) .

(٢) وردت بالنص Ma fermo وكلمة ma هى اداة للوصل Cong. وقد ترجمت هنا ب (انما) لانها تعطينا فى هذه الحالة نوعا من الجدية فى مزاولة الفعل او ما يمكن ان نسميه ب (التوكيد) وعلى كل الأحوال فان كلمة ma لها عدة معان وتستخدم باكثر من مرادفها العربى المشهور (لكن) فهى أداة للوصل بين جملتين وقد تعنى cong. avversativa

أ ـ لكن انما però
ب ـ الى ان ، حتى quantunque
جـ ـ بالرغم من مع ذلك Sebbene
د ـ بل بالعكس invece
هـ ـ بينما ، ابان أثناء mentre
و ـ تفيد التعجب Ma
ز ـ تفيد الشك dubbio
ح ـ تفيد الصعوبة difficoltà
ط ـ تفيد عدم التاكد incertezza

وقد وردت ma فى كثير من مواضع القصص المترجمة هنا وقد استعملت فى كل مرة حسب معنى الجملة الموضوعة فيها

(٢) وردت بالنص vecchissime اى (قديم جدا) او (قديم للغاية) وقد ترجمت ب (العتيق) حيث ان الكلمة العربية كافية عن استخدام اى تركيب منهما

مسطح) تلك الحلبة الناعمة والحنونة (١) خطر بفكره انه يبدو مضحكا ، وهو معلق هكذا كالدمية · كانت فى مواجهته تماما مسلة معوجة تشبه الراهب تحملق فيه ، ولكـــن بلا مشـاركة (٢) .

صمت كثيف . نزع الخوذة ، كان يامل ان يسمع اى صوت انسانى ، حتى وان كان بعيدا . ابدا . لا صرخـة ، لا طلقة ، لا جرس ، ولا دوى عربة . صاح بكل صــوته : « جوجــر » ! « جوجــر » ! - « جوجـر » ، « جوجـر » « جوجـر ! جـوج ! جـوج ! » هـكذا كانت تكرر أصداء الصوت باردة عددية (٣) كانت تبدو وكأنها تريد أن تقول انه لا يوجد سوانا ، نحن الصخور ، وانه من العبث أن تنادى)

بعد أن تلقت القيادة الامريكية النبأ ، صعد مع «فرانشيسكينى» حوالى عشرة من الرجال بقيادة ضابط برتبـة ملازم أول وصلوا الى المكان بجهد كبير ، فهم حديثو العهد بالجبال كان الدليل والضابط يتفاهمان بفرنســية يصعب تفسيرها وضعت الجثة فى جوال وبدأوا فى نزول القناة الجبلية الوعرة المليئة بالجليد · وفى لحظة بعينها اعترض القناة الجبلية عائق من الصخور هنا أصدر الملازم اول أمره بالوقوف وتوقفا ، انتهز « فرانشيسكينى » الفرصـــة لينظر الى « جـــداره » (٤)

---

(١) وردت بالنص affettuosa وهى صفة agg. الذى يملك ويظهر العاطفة والتاثر ويمكن ترجمتها ب (المؤثرة) ولكننا ترجمناها هنا ب (الحنونة) لأن كان لها فى النهاية هذا التاثير الجذاب وكانها تدعوه اليها (la pista) الحلبة اى للسقوط فيها

(٢) وردت بالنص senza participazione وهى تركيب يعنى (عدم المشاركة) والمقصود بها هنا أن التكوين الجبلى الذى يشبه الراهب كان خلوا من الاحساس

(٣) وردت بالنص matematici معناها (رياضية) ، .agg وهى صفة او ذو (طريقة محسوبة) من الحساب

(٤) وردت بالنص la «sua» parete وقد وضعت كلمة (sua) بين علامتى تنصيص وهى صفة ملكية agg. possessivo التى عبرنا عنها فى الترجمة بحرف الهاء (ه) وكان لا بد أن نضع كلمة الجدار بين علامتى تنصيص هكذا « جداره » مثلما جاءت فى النص هكذا « la sua parete »

الجبلى وهو يتفحص شقا ما بين جـــدارين (١) عندئذ رأى بطرف عينه شيئا يتحرك هو الجوال بالجثة فى قفزات على الصخور نظر « فرانشيسكينى » الى الملازم الأول لكن ذلك الأخير كان جامدا

(كان يجر تحت قدميه بمتر ونصف افريز صغير للغاية ، تعتليه على مسافات بعض وسائل الجليد الشيء الوحيد المحالة قطع الأربطة التى كانت تمسك به وبعد أن تعلق بيديه بحبـال صغيرة ، ترك نفسه تتدلى الى أن لمست رجلاه الأرض ، كان على الافريز (٢)

ولكن من تحتـــه كان الجدار ينحدر ولمـــا أطل لم ينجح فى أن يرى أين ينتهى الجـــدار ؟ انها الجبال » لم يكن قد رآها أبدا عن قرب ، كانت غريبة ، جميلـــة بشـــكل يبالغ فيـــه كلها أخطاء (٣) لكم كان يكرههـا انما ، عليه ان يخرج منهـــا . كان عليه أن يســـتخدم الحبـــال الصغيرة للمظلة ولكنهـــا كانت الآن متدلية فوقه ، كيف يتسلق ليأخذها ؟

---

(١) وردت بالنص Camino وهو اسم مذكر s.m. ويعنى هنا (خط عمودى ممتد بين جدارين صخريين فى الجبال) وربما يكون مكمن الصعوبة فى الترجمة هنا حيث ان المصطلحات الواردة عن الجبال طوال هذه القصة قد لا نجد لها مرادفـا أو معنى مكونا من كلمة واحدة بالعربية نظرا لطبيعة اختلاف المناخ والبيئة لكل من متكلمى اللغتين (العربية والايطالية) ومن هنا فقد جاءت المصطلحات فى الترجمة هنا مجرد تفسير للمعنى اذ أنه لا يخفى علينا ما يمكن أن تحويه (الكلمة) بذاتها من دلالات كثيرة منها الجغرافى والنفسى فى هذه القصة

(٢) وردت بالنص cengia وهو اسم مؤنث s.f. ومعناه (ممر ضيق طبيعى بطول الجدار الصخرى فى منطقة الجبال) ومن هنا نفهم أنه الافريز

(٣) وردت بالنص tutte sbagliate و tutte هنا اسم مؤنث فى الجمع s.f. pl. وتعنى كلها il totale أما sbagliate فهى اسم المفعول participio pass. من فعل sbagliare واسم المفعول هنا يعطى معنى الصفة aggettivo بمعنى (مخطئة) ويكون التعبير كله فى (مجموعها مخطئة) أو (كلها مخطئة) وهناك تعبير عربى يعنى هذه الحالة وهو (كلها أخطاء) حيث انه يحوى كذلك وظيفة النعت .

أمده انخفاض الضوء بالخوف فقد كانت الشمس تشرع في الرحيل كان الجو باردا « أوه ! » هـكذا نادى في شيء من الهيـاج « أوو !! وووه ! » رددتهـا الجبـال نفسها ثمـاني مرات ، حتى من الناحية الأخرى للوادى . عندئذ راوده أمـل مـا نزاع المسـدس ، ومد ذراعـه لأعلى ، حتى يستطيعوا أن يسمعوه أفضـل أطلق كل الرصاصات ، فدوت الواحدة وراء الاخـرى ، رددت الدوى الأصداء صمت

أبدا لم يكن قد رأى أشياء سـاكنة الى هذا الحد كالجبال ، حتى البيوت لم تكن لها المقدرة على أن تظـل ثابتـة هكذا لم يكن زى الطيران بكاف هـر الشـاب ذراعيـه ليستشعر الدفء جـرب سيجارة ، لم يشعر بالسلوى. متى عساهم يقررون الحضور، لياخذوه اسيرا، أولئك الألمان الخنازير ؟)

عثروا مرة أخرى على الجثمان عند قاعدة الجدار الصغير ، وكان لدى سقوطه قد خرج من الجوال اعادوا وضعه كما يتفق سـحبه «فرانشيسكيني» مستخدما حزامى سروال الى حيث كان الجليـد ينتهي وهنـاك وضعت الجثـة فوق احـدى المحفات وتوقفوا من جديد

ادرك الطيار انه وحيد ، فقط عندما انسـحبت الشمس عن أقصى القمم هي الأخرى وسقط الليل في تدفق أسفل الهوى الرجال ، البلدان النـارة ، الأسـرة الدافئـة ، الشـواطىء ، الصـبايا كانت قصصـا عابثة لعالم آخر

أكل القليل الذى كان معه ، ابتلع « الجبن بجرعات » كبـيرة من قارورة صـغيرة لكن بالتأكيد غـدا صباحا لابد أن يصل أحـد ما . جلس بالقرفصاء على الافريز جرب أن ينادى مرة أخرى لكن الأصداء الآن اذ لم يعد يرى شيئا تقريبا . اصابته بالضيق الكحول ، التعب ، الشباب أخذه النعاس بعد قليل)

طلب الملازم الاول من «فرانشيسكيني» أن يهبط حتى منطقـــة «المالجاكانالى (١)» حيث يمكنه أن يبعث من هناك بأحد البغال . وهم فى أثنـــاء ذلك يمكنهم أن يأتـوا الى أسفل على مهل كان مفهوما أنهم متعبـون بشـكل مفزع ذهب « فرانشيسكينى » لكنه بعد قليل سمع بعض الأصوات وراء كتفيه كان الأمريكيون يهبطون جريا دون محفة . والميت ؟ هكذا سأل «فرانشيسكينى» . لقد تركناه هناك ،خلف تلك الصخرة ومتى تأتون لأخذه ؟ فأجاب الملازم الأول « عندما يقل وزنه » .

(استيقظ ورأى « فيلاديلفيا » مدينته يا الهى القدوس) لقد تغيرت بطريقة لا يمـــكن تحـديدها عما يذكرها ، أما أن يكون قد أخطـــأ فهذا محـــال ٠ كان يرى فى الليل ، واجهـــات ناطحات الســحاب ، تتلألأ تحـــت القمـــر ومن الجـــانب الآخـــر الخطوط تهبط سوداء نحو الشوارع ، رأى الطرق بيضــــاء ، لماذا ياترى هى بيضـاء هـكذا (٢) ؟ كان يرى ميادين وآثارا ، وقبابا والتركيبـات الاعلانية الغريبة عـــلى قمة الاســـطح ، فى مواجهة النجوم.

---

(١) وردت بالنص la Malga Canali وهى مرعى فى بعض مناطق جبال الألب العليا وتعرف بذلك الاسم

(٢) وردت بالنص perchè mai così bianche ? وقد جاء وضع كلمة mai هنا لتأكيد السؤال بأداته (لماذا ؟ (perchè وليست mai هنا لها المعنى المشهور (أبدا) وقد تأتى mai مسبوقة او متبوعة بكلمات كثيرة فتعطى معان مختلفة .و mai هى ظرف زمان avverbio di tempo او وصف لطريقة الحدث avverbio di modo وهى مشتقة من كلمة Ma ولها وظيفة النفى البات فى الأغلب fortemente negativo ولا سيما لو جاءت بعد الفعل أما لو جاءت قبل الفعل فتجعل النفى أقل حزما

وبعض الأحوال التى تأتى فيها mai كظرف زمان avverbio di modo مثل

أ ـ بمعنى أحيانا quelche volto

ب ـ بمعنى اطلاقا أو أبدا nessuna volta, in nessun tempo

ج ـ أكثر من مرة più che mai, più che altre volte

وبعض الأحوال التى تأتى فيها كوصف لطريقة الحدث averbio di modo

أ ـ فرضا ، لو حدث se mai .. : se per caso

ب ـ تأكيدا للنفى مثل ألم يره أبدا non ha mai visto ?

حتى وان كان الفعل مستترا مثل ولا ابتسامة ؟ mai un sorriso ?

ج ـ تأكيدا للاستفهام مثل perchè mai ? come mai ?

د ـ تأكيد الاستنكار مثل وكأنه لم يقله أبدا Non l'avesse mai detto !

نعم هناك باسفل ، وراء حائـط الـــ « الدويتشرانك » بين غابة المداخن تلك ، كان منزله ! اكانوا نائمـــــــين ؟ لماذا لا يوجد حتى ضوء واحد ؟ .

لماذا لا يوجد حتى ضوء واحد ، اونافذة مضيئة ، او وميض صغير وقصير لمشـــعل (١) ؟ والطرقات هكـــذا خاوية ، دون سيارة واحدة تتحرك خلال المفـــارق ذات البياض الناصع تتلألأ الأبواب الزجاجية ، أبواب الحدائق المعـــلقة لأصحاب آلاف الملايين ، تتلألأ هنـــا وهنـــاك فى علو كبـــير كشرائح المرو الزرقاء ، ولكن حتى هنـــاك كل شيء مستغرق فى نعاس مخيف .

ماتت « فلاديلفيا » تركهـــا هـــكذا طوفان غامض ، بالتوربينات المتوقفة ، والمصـــاعد المتجمدة فى منتصـــف الطريق بطول حلزونيات العمائـــر الاسمنتية المســـلحة ، الفلايات منطفئة ، العجـــائز المتـــدينيـــين (٢) متحجرين وفى أيديهم أبواق التليفونات الصـــماء ، يدخـــل البرد فى لدغات الى حذاءيه الطويلين المبطنين بالفـــراء.

---

(١) وردت بالنص بالانجليزية Lighter وتعنى (المضيء) أو (المشعل) او (قداحة) وربما يكون المعنى الثانى (المشعل) هو الأقرب حسب سرد الأحداث وانما جاء استخدام الكاتب للكلمة بالانجليزية لحساسية فى اعطاء كل دلالة الكلمة وسط الجو النفسى « لموللير » الأمريكى الذى يتحدث الانجليزية والا فكان يمكن للكاتب أن يستعمل المرادف الايطالى للكلمة لكنه آثر استخدام الكلمة باصلها وبكل دلالاتها وهذا ما لا نستطيعه فى الترجمة هنا وقد جاء من قبل ملاحظة ابان ترجمة هذه القصة عن الدلالة اللفظية من حيث الناحية النفسية والمناخ

(٢) وردت بالنص i vecchi quaccheri impietriti وكلمة quaccheri اصلها كلمة انجليزية هى Quaker ومعناها (المهتز) أو (المرتعش) أو (المرتعد) tremante وقد ترجمت بالعربية بالفعل فيما قبل بمعنى (الصاحبى وهو واحد من الأصحاب أو المهتزين) وانما جاء (الاهتزاز) من فرط التفكير العميق فى الذات الالهية per il tremito che li prendeva quando s'ispiravano nelle prediche طبقا لهذا المذهب الذى سمى أصحابه بهذا الاسم وهو مذهب بروتستانتى متصوف تكون فى منتصف القرن السابع عشر فى انجلترا ثم انتشر سريعا ولا سيما فى الولايـــات المتحدة الامريكية حيث كان أول معبد لهذه الجماعة فى مدينة فلاديلفيا أسسه « جورج فوكس » Giorgio Fox وهو اسكافى من « لايسيستر » Leicester وبدا دعوته فى سنة ١٦٤٩

ذ ٠ ز

وتقوم فكرة المذهب على مبدا يقول بان من يبحث فى حمية عن الروح الالهية =

ولكن ما هذا الصوت الذى يشبه التنفس المكتوم ؟ وتدخل الريح بين صف الأعمدة كأنها على استحياء ، فيخرج منها شجنا شاكيا أم هو صوت انسانى ؟ للحظات يبدو أنه يسمع لونا من الموسيقى المختلطة ، كما لو كانت لآلات الكمان وآلات الجيتار من القاعات الخفية للقصور المجاورة.
فوق الأبراج العالية توجد ذرات غبار من الفضة البرد نصل يقطعه والله ، الذى سمع عنه كلاما كثيرا ، أين الله ؟ ليست « فلاديلفيا » يا للعنة ، هذه هى آخر حفرة كريهة للأرض)

وهكذا مكث الملازم « موللير » وحده معرضا للشمس وسط الجبال التى كانت تتأمله والرعاة الذين يصعدون فى الصيف الى هناك مع الشياه فنزعوا منه حذاءيه الجلديين الطويلين واللذين كانا مازالا فى حالة جيدة . ثم لم يتحملوا الرائحة الرهيبة ، حرقوا الجثة عاد الأمريكيون بعد ثلاثة أشهر ليأخذوا العظام

(الفجر ولكن فيما يفيد ؟ لقد دخل هكذا الليل الى أعماقه حتى أن ألف صيف لن تكفى لتدفئته لم يبق شىء من الملازم « موللير » الا هيكلا ناعما قمم

= Spirito Divino يستطيع ان ينتزع منها الالهام ، وعلى ذلك فالمذهب متحرر تماما من كلّ تعاليم مفروضة سابقة sovrastruttura شعائرية liturgica كانت او لاهوتية teologica واستانف المذهب انتظامه حيث كان يجتمع مريدوه كل شهر تحت رئاسة العجائز كى يتباحثوا فى شئونهم ولهم نهج صارم rigidamente يحرم بينهم القسم أو خدمة المليشيا (الجيش الوطنى) أو أن يدفعوا ضرائب حرب وأن يقاوموا الرذائل وأن يتجهوا بكل طاقتهم الى فعل الخير وعاداتهم غاية فى البساطة واهم ما يميزهم الأخوة والطيبة وقد ترادفت معه كلمات وتعبيرات لغوية منها الطيبة ومنها البساطة فى السلوك alla quacquera = alla buona

Nicomede Bianchi, *Enciclopedia Elementare (dizionario di Cognizioni Utili)*, Unione Tipografico Ed., Torino 1893, volumo VIII. pp. 567-568.

وقد نستخلص من هذا أمرين

أ ـ أن من أهم معاقل المذهب فلاديلفيا ركيزة عنوان القصة وموطن بطلها

ب ـ أن العجائز يراسون مريديه وقد جاء ذلك واضحا من الكاتب عندما اختار البطل وهو شاب فجعله يفكر فى لحظاته الأخيرة فى عجائز المذهب كنمط انسانى متميز فى بلده

جدر ، مظلات (١) مائلة ، مازالت نائمة . لن يحضر احـد .
الآن هو يقيس الهاوية أسفل منه . يفعل كل شيء كأنـه
واجب ، ودوىما اقتنـــاع . يخلع حذاءى الطيران ، يجرد
السنكى القصـير من غمــده ليرشقه بين صـخرة وصـخرة
وهـكذا يتماسـك يختـــار شقا عريضـا يهبط فى شكل
مخروطى ربمــا ، لو انحشر بداخله فى قنــوط مميت
يجـرب ، فيتعلق بيـديه لكن يديه تبـدوان كما لو كانتا
لآخر ، فقد كانتا فاقدتى الحس تماما . هاهو محشور داخل
الحفرة العمودية يترك نفسه ينزلق سنتيمتر بعد سنتيمتر
يرى الشمس لحظة تخبط على شريحة من الصخر معلقة على
ارتفاع شاهق

كم ستستمر الهـاوية ؟ من تحت قدمه اليمنى طـــار
شيء ما كان برتكز عليه . يسمع قرقعة الحصى المتهـــاوى.
سن السونكى يكشط بعناء دون أن يعثر قوة متهـاوية
ومقنعة تقلبه للخلف . هـا هـو ، الجدار يهبط أمامـه ،
أصبح أفقيـا تقريبـا طليقا ! ضحكة تهرب على ثلاثة
خمسة ، عشرة جدر وهى تستطيل فى نزق ، وسريعا ما تخبو
وبينما يطير لأسفل من صخرة لصخرة يدندن السونكى
مسرورا ثم الكل ساكن واصم كذى قبل)

الآن لم يعد بالمكان شيء وتخليد للذكرى فقد كتب حارس
المأوى الجبلى (٢) « تريفيزو » هنـاك حيث ترك الميت لمـدة ثلاثة
شهور ، كتب بطلاء احمر ، على بعض الاحجار وسط الحشائش ،الاسم

---

(١) وردت بالنص baldacchini وتترجم بالعربية بثلاث معان
ا ـ البغدادى نسيج حريرى مطرز ومقصب بخيوط ذهبية
ب ـ مظلة تحمل فى المواكب الدينية
جـ ـ مظلة (معدنية او خشبية او حجرية) فوق مذبح الكنيسة او القبر او العرش •
وقد اخذ بلفظ مظلة حيث انه اقرب لمنطق أحداث القصة

(٢) وردت بالنص rifugio وهو اسم s.m. وله معان كثيرة اما فيما يتعلق
بجبال الألب فلها معينان ، اولهما rifugio alpino اى ماوى فى جبال الألب وهو
بناء يستخدم كمخبا او ملاذ او ماوى لمتسلقى جبال الألب فى مجموعات متوالدة فى
التسابق والمعنى الثانى هو rifugio antiaereo وهو مخبا ضد الطلعات الجوية
المفاجئة من طائرات العدو وكلا المعنيين يمكن ان يترجم بالعربية المأوى الجبلى

ف . ب . موللير ، ورسم صليبا ، وبأسفل كتب خطأ : انجلترا . ربما لان أمريكا وانجلترا متساويتان فى البعد عن الصخور الغامضة لمنطقة « الفال كانالى » ، فهما تبعدان بلايين الكيلومترات ، ومن السهل أن يخطىء الانسان (١)

---

(١) وردت بالنص **ed è facile fare confusione** وكلمة **confusione** هى اسم مؤنث **s.m.** وتعنى (عدم النظام أو الفوضى أو التداخل غير المنظم) ويمكن أن تترجم هنا ب (اللبس) ولكن تمكث فى السطرين الأخيرين بل فى السطر الأخير بل فى العبارة الأخيرة التى نحن بصددها فحوى القصة ومن ثم فان ترجمة الجملة هكذا (ومن السهل أن يحدث اللبس) لن تؤدى نفس المعنى المطلوب اذا ترجمت هكذا (ومن السهل أن يخطىء الانسان) ولا سيما أن الجملة بدأت بفعل الكينونة **(essere)** بدون فاعل ولذلك فيمكن أن يترجم (أنه من) ومادام الأمر كذلك فلا مانع من أن نضع (الانسان) هو الفاعل شأن الأسلوب العربى الذى يفضل غالبا صيغة المبنى للمعلوم

١٢ ـ ما كانوا ينتظرون سواه

كان الجو حارا بعد الرحلة الطويلة التى قطعاها واقفين عن الأقدام فى طرقة القطار(١) ، وصل « أنطونيو » و « أنا » متعبين للغاية الى المدينة الكبيرة حيث كان ينبغى عليهما أن يقضيا الليلة فحتى الصباح التالى لم تكن هناك قطارات ليستأنفا الرحلة

من المحطة خرجا الى الميدان المتأجج · بيد أنه كان يحمل حقيبة السفر المشتركة وبالأخرى يسند « أنا » التى كانت لا تستطيع تحمل المزيد كانت قدماها متورمتين من التعب كان الجو حارا الآن عليهما أن يجدا فورا فندقا ليستريحا(٢)

---

(١) لم يجىء بالنص أن الطرقة il corridojo هى طرقة القطار ولكن يفهم ذلك من سياق الأحداث فان كلمة corridoio وهى اسم مذكر s.m. معناها « مساحة على الأخص طويلة وضيقة تستخدم كممر للتوصيل بين مكانين ومن بينها طرقات عربات السكك الحديدية »

(٢) وردت بالنص Adesso, trovare subito un albergo per riposare. ونلاحظ أن هناك جملتين دون فعل أساسى مصرف ، أى فى الترجمة المباشرة لهما تأتى هكذا (الآن ، ايجاد فندق فورا للراحة) وحيث ان ذلك لا يستقيم مع العربية وقد يكون الفعل الرئيسى مستترا وتقديره أما (وجب dovere) او (أراد volere) فقد جرت الترجمة على هذا النحو (الآن ، عليهما فورا أن يجدا فندقا ليستريحا) ·

كان يوجد الكثير من الفنادق فيما حول المحطة لابد أنها جميعا خالية بنوافذها المغلقة بلا أية سيارة تقف أمامها ردهات الدخول خاوية اختارا بالنظر من بينها واحدا متواضع المظهر كان يدعى « هوتيل ستريجونى »

لم يكن بالمدخل ثمة نفس حية كان كل شيء وسنا وساكنا ثم لمحا موظف الاستقبال نائما خلف المكتب(١) غاطسا فى مقعد « معذرة قالها « أنطونيو » دون أن يرفع صوته اما هو ففتح بصعوبة احدى عينيه وببطء نهض على قدميه صار (٢) أسود وطويلا جدا قبل أن يتكلم « أنطونيو » هز موظف الاستقبال رأسه وكان

---

(١) (أولا) عبارة « مكتب الاستقبال » فقد وردت بالنص il banco وفى هذا المقام لا نستطيع أن نترجموا الا ب (مكتب الاستقبال) أو (حاجز الاستقبال) أو (منضدة الاستقبال) أو اى تركيب يحوى على الأغلب كلمة الاستقبال

(ثانيا) عبارة « موظف الاستقبال » فقد وردت بالنص il portier وهى من كلمة porta اى (باب) ولكننا لا نستطيع أن نطلق عليها كلمة (بواب) بالنسبة للفنادق لأنه واقعيا تدل على موظف الاستقبال

(ثالثا) تركيب أو ترتيب الجملة فى الايطالية يعطينا تدرج عثورهما على « موظف الاستقبال » فنجد أنهما لاحظا « مكتب الاستقبال » أولا ثم « الموظف » بعد ذلك

Poi scorsero dietro il banco il portiere che dormiva, insaccato in una poltrona.

الأمر الذى لا نستطيع أن نعبر عنه بمثل هذا الايقاع بالعربية والا فكان بوسع الترجمة أن تاتى هكذا :(ثم لاحظا خلف مكتب الاستقبال موظف الاستقبال الذى كان نائما غاطسا فى مقعده أو أن نستبدل كلمتى موظف الاستقبال بكلمة (الموظف) فى هذه الترجمة المباشرة الأخيرة

(رابعا) كلمة insaccato وهى par. pass من فعل insaccare ومعناها (معبأ فى جوال) غير أن الكاتب استخدم الكلمة استخداما جديدا insaccato in poltrona والمعنى (غاطسا فى مقعد)

(٢) وردت بالنص divenne وهو الماضى الكامل pass. rem من فعل divenire ومعناه (صار) ، وقد يكون الكاتب قد استخدمه هنا بمعنى diventare (اصبح) أو trasformassi (تحول) وعلى كل الأحوال فان الفعل هنا يعطى كسرا للتوقع والمفاجاة وقد نجد ذلك تماما فى الفعل العربى (صار) وهو المعنى المباشر ففى غرابته فى هذا الموضع ما يماثل غرابة استخدام الكاتب للفعل divernre وكان من الأجدر أن نحتفظ بالجمالية المقصودة بهذا الاستخدام والا فكان بوسع الترجمة ان تاتى

أ ـ اما (صار شيئا أسود وطويلا جدا)

ب ـ أو ابدال الفعل (صار) بالفعل (بدا) أو (ظهر)

يحملق فى الاثنين كمن ينظر لعدو أشار بسبابته الى لوحة الفنـدق سطح المكتب (١) أعلن « العـدد كامل لدينا انى آسف لا يوجد ولا ثقب » بدا كما لو كان ينطق بضجر عبـــارة تكررت دون توقف لسنوات وسنوات •

حتى الفنادق الأخرى لم يكن بها مكان شاغر وكانت مداخلهـا أيضا خاوية لا أحد يدخل أو يخرج ، لا تصـــدر ضوضاء بشرية من ناحية السلالم كان موظفو الاستقبال على الأغلب نائمين ، كانوا مبللين بالعرق ومكتئبين هم أيضا كانوا يشيرون الى لوحة الحجرات ليبرهنوا أنه لم تبق شاغرة حتى حجرة المخلفات • وكانوا يحملقون كذلك للاثنين فى ارتياب

هاما هكذا لمدة ساعة تقريبا فى الشوارع القائظة ، وهما يزدادان تعبا باستمرار

أخيرا سأل أنطونيو موظف الاستقبال السابع أو الثامن الذى أجابهما بلا ، اذا ما كان فى استطاعتهما على الأقل أن يأخـــذا حماما « حماما ؟ » قالها موظف الاستقبال ثم استطرد « حضرتكما تبحثـان عن حمام ؟ اذن لماذا لا تذهبان الى الفندق النهارى (٢) ؟ انه قريب ، على بعد خطوتين من هنا » ودلهما على الطريق

---

(٢) وردت بالنص Indicando con l'indice la pianta del- **l'albergo sul piano del banco.**

وهى جملة حسب قواعد اللغة الصحيحة لا تستقيم وحدها وبالرغم من ذلك فقد وضعها الكاتب كجملة مستقلة وقد يكون ذلك لاظهار اشارة موظف الفندق وسبقها لكلامه مما يدل على نعاسه

وهناك احتمالين لترجمة هذه الجملة

الاحتمال الأول أن تترجم كجملة مستقلة مفيدة وهذا يعنى أننا لابد أن نغير زمن الفعل المستخدم فيها فتصير (أشار بسبابته الى لوحة الفندق فوق سطح المكتب)

الاحتمال الثانى أن تربط بالجملة التالية لها وهذا هو الاستخدام الأصح حسب قواعد اللغة الايطالية فتصير

(أعلن وهو يشير بسبابته الى لوحة الفندق فوق سطح المكتب « العدد كامل »)

وقداخذنا بالاحتمال الأول لأننا لو أخذنا بالاحتمال الثانى مفضلين سلامة القاعدة نكون قد ابتعدنا عن أسلوب الكاتب المتحرر كاملا من قواعد اللغة فى هذا الموضع

(٢) **albergo diurno** مكان يتيح للزبائن أن يستفيدوا خلال النهار من خدمات واستعدادات مثل مكان لدورة المياه والحمامات ، مكان لقضاء راحة قصيرة حلاق كواء للملابس مكان لأمانات الحقائب الخ وقد يشبهه من قريب او بعيد حمامات القاهرة القديمة

ذهبا كان وجه « أنا » عابســـا ولم تكن تتكلم ، دليل على أنها كانت منهارة ٠ ها هى اللافتة الكبيرة المتعددة الألوان عند مدخل الفندق النهارى ، كانت السلالم تهبط الى دور أسفل الأرض حتى هنا لم يكن ثمة نفس حية

لكن ، ما ان هبطا حتى ألم بهما الاحباط فكان يصطف طابوران طويلان أمام الشباكين المكتوب فوقهما (حمامات) وحولهما(١) قـــوم آخرون كان من الواضح أنهم حصلوا على التذكرة ، ينتظرون جالسين وهم يتهامسون

كان أحد الشباكين للرجال ، والآخر للنســـاء ٠ قالت « أنـــا » « يا الهى ، لا أستطيع أن أتحمل المزيد » ٠ وقال هو « تشجعى ، الآن سوف ننتعش بعض الشىء ثم ان شاء الله ، سنجد فندقا » وهكـــذا دخل الاثنان فى الصف

حتى هناك بأسفل كان الهواء رطبا خانقـــا بسبب البخــــار الساخن الذى كان يخرج من طرقة الحمامات فى هذه الأثناء لاحظ « أنطونيو » أن القوم الجالسين يتفحصونهما ، ويحملقون فى « أنـــا » بالذات يرمونها بنظرة ثم يتهامسون فيما بينهم ، قال فى نفسه دون نية سيئة ، لأن أحدا لم يكن يبتسم

كانت « أنـــا » أسرع منه ٠ بعد حوالى نصف الساعة رآها ، وهى فى الطابور الذى بجواره ، تتجاوزه وتدنو من الشباك عندما جـــاء دورها قدمت الفتاة ورقة بنكنوت فئة مائة ليرة

فى هذه اللحظة كان « أنطونيو » شاردا فى تناقر مكتوم بين من يسبقه وموظف الشباك لم تكن لدى المستخدم عملات صغيرة ، ولم يكن لدى الآخـــر الا أوراق من فيئة الألف ليرة « من فضلك ، انتـح جانبا ، أفسح الطريق للآخرين » كانا يتناقشان فى صوت خفيض

---

(١) وردت بالنص seduta intorno وكلمة intorno فهى تعنى (أولا) مكانا يحاط فى استدارة بالنسبة للمتحدث (وثانيا) فهى تعطى احساسا بحياة المكان وبرحبته واتساعه اذا ما استخدم معها حرف الجر la preposizioe a وتقدير الجملة هنا intorno agli sportelli وقد تم اعادة تركيب الفقرة الموجود بها هذه الكلمة intorno حتى توضح فى الصياغة العربية

كما لو كانا يخشيان أن يسمعهما أحد أخيرا انتحى الرجل جانبا وهو يتأفف وأفسح مكانا « لأنطونيو »

هنا فقط أدرك أن « أنـــا » بدورها فى نقاش بالشباك المجاور ولقد احمر وجهها وكانت وهى تلهث ، تبحث بقلق عن شىء فى حقيبتها • سألها « هل فقدت النقود ؟ » • « لا ، لكنهم هنا يريدون أوراق اثبات الشخصية • ولا أنجح فى أن أجد البطاقة ! » •

« هيا من فضلك ، يا سيد « تمتم الموظف حاثـا « أنطونيو » « حمام ؟ ••• ثمانين ••• « • » هل تريد تحقيق الشخصية ؟ « كست وجه المستخدم ابتســامة غامضــة « بالطبع » أجابه من يدرى ما تخفى وراءها من معان • استخرج « أنطونيو » بطاقة تحقيق الشخصية حيث نسخ منها الآخر البيانات فى دفتر التسجيل

فى هذه الأثناء ، كان قد تعطل طابور النساء ، بسبب « أنـا » ، وخرجت منه همهمات الاحتجاج الى أن أتى من الشباك صوت مقيت لامرأة « يا آنسة ، اذا لم يكن لديك تحقيق الشخصية ، دعى المكان من فضلك ! » « لكننى متعبة أنا فى حاجة » ألحت « أنـا » ، وهى تبتسم بعناء ، لتسترحمها » يوجد هنا سيد يعرفنى ومعه تحقيق للشخصية » حزمت المستخدمة الأمر قائلة « ليس لدى وقت أضيعه اعملى معروف ••• » سحب « أنطونيو » الفتاة برقة من ذراعها عندئذ فقدت هدوءها « أى طريقة هذه ! » صرخت فى الموظفة • « انهم لا يفعلونها حتى مع المجرمين ! » تردد الصوت العالى فى السكون بشكل فاضح التفت الجميع مندهشين وشرعوا يهمهمون بحمية متدفقـــة •

قال « أنطونيو » « آكان لابد أن يحدث هذا أيضا ! والآن ماذا ستفعلين ؟ » ردت « أنـــا » وهى على وشك البكاء « من أين لى آن أعرف ؟ حتى الحمام لا نستطيع أن نأخذه فى هذه المدينة اللعينة أنت على الأقل هل أخذت التذكرة ؟ » •

« أنا نعم الآن أريد أن أجرب ان كان من الممكن أن تذهبى أنت مكانى ••• » وبالفعل اقتربا من العاملة التى كانت تتسلم التذاكر عند مدخل الحمامات ، وتنادى بصوت مدغم ، على الأرقام المتتالية ، كلما حل الدور

قال لها « أنطونيو » متوسلا « أرجوك ، لقد حصلت على تذكرة لكننى يجب أن أنصرف ألا يمكن أن تستخدمها الآنسة ؟ » فأجابت المرأة قائلة « نعم بالتأكيد ، ليس عليها سوى أن تذهب الى شباك الشكاوى ، وتقوم بتسجيل تحقيق الشخصية » فقاطعتها « أنا » قائلة « اسمعى · أرجو أن تساعدينى(١) لقد فقدت بطاقة تحقيق الشخصية فارجو أن تدعينى مع ذلك(٢) آخذ الحمام أشعر بأننى لست على ما يرام (٣) انظرى كيف أصبح كعباى ··· » فقالت العاملة « لكنى لا أستطيع ، يا بنيتى لو أنهم لاحظوا ذلك ، ستكون العاقبة على ، تأكدى أن ··· » ·

قال « أنطونيو » ساخطا هو الآخر « هيا بنا انه معسكر هذا » كانت نظرات الحاضرين مركزة بشكل أكبر من ذى قبل على الاثنين وسكتت الهمهمة لحظة عندما بدأ كلاهما فى صعود السلم المؤدى الى الشارع ·

تشاكت « أنا » قائلة « أوه ، فلنذهب للجلوس فى أى مكان أنوسل اليك ، لا أستطيع أن أستمر واقفة على قدمى أبحث عن حديقة ! » ·

كان الشارع بالفعل يؤدى الى مشارف حديقة عامة تبدو من بعيد وكأنها خاوية كانت فى الحقيقة كل المقاعد الواقعة بالكامل فى الظل

---

(١) وردت بالنص sia buona وهى صيغة الأمر لفعل الكينونة modo imperativo del v. essere ومعناها « كونى » متبوعة بصفة طيبة l'agg. buona فيصير معنى الجملة (كونى طيبة) ولعل الطيبة المطلوبة هنا تكمن فى مساعدة « أنا » فيكون بذلك التعبير الوارد بالترجمة أنسب

(٢) وردت بالنص lo stesso وقد تترجم ب « أيضا » أو « كذلك » أو « مع ذلك » والمعنى المباشر لها هو « نفسه » أو « نفس الشىء » ولها كلمة تعبر عنها تماما بالفصحى وهى « برده » بكسر الباء وفتح الراء لكنها لها صوت آخر فى العامية حيث تنطق هكذا « برضه » بفتح الباء وتسكين الراء وابدال الدال بالضاد

(٣) وردت بالنص non mi sento bene وهنا نجد الفعل ذا الضميرين sentirsi بمعنى « شعر أو أحس » هو المنفى أى الصفة الفعلية avv. غير منفية · وتصير الترجمة طبقا لهذه الحال هكذا « لا أشعر باننى على ما يرام » وهذا لا يستقيم مع تركيب الجملة فى اللغة العربية حيث ان التوكيد هنا بحرف « ان » انما يأتى على الصفة الفعلية غير المنفية وكان من الأصوب أن تترجم العبارة بان يترك الفعل على حاله دون نفى أو أن تنفى الصفة الفعلية avv. مع توكيدها هكذا اشعر باننى لست على ما يرام ·

مشغولة وكان عليهما أن يرضيا بمقعد يظلل نصفه أحد الأغصان كان أول شيء فعلته « أنـــا » لدى جلوسها هو أن خلعت نعليها كانت حشرات الزيز (١) تنشر أزيزها فى كل اتجـاه وهنـاك كان تراب وكآبة

على مسافة قريبة ، أمامهما ، ووسط متسع مستدير ، رأيـا نافورة عريضة دائرية ، وينبوع ماء فى مركزها دون كل الحديقة كان ذلـــك هو المكان المزدحم الوحيد ، برغم تعرضه للشمس نساء وكذلك رجال مكتملون كانوا يجلسون على الحافة أغلبهم غمس يديه فى المـاء بغية الانتعاش بينما فى وسط النافورة كان يوجد حشد هائج متصـــابح من أطفال شبه عرايا يلعبون بمراكبهم الصغيرة كانوا يخوضون فى الماء سعداء ويرشون بعضهم بعضا بالماء ويغوص بعضهم ببطنه الى أسفل بملابسه وبحاله كله دون أن يستجيب لنداءات أمه

بسبب الأبخرة الخاملة الجاثمة على المدينة ـ التى ربما كانت آتية من مضارب الأرز التالف ـ فان أشعة الشمس قد صارت فى هذه الأثناء خابية لكن الحر بدا وقد أصبح أكثر ثقلا

قالت « أنـــا » فجأة « انظر الماء ! انتظرنى لحظة » وقبل أن يمسك بها « أنطونيو » هرولت مبتسمة تجاه النافورة تاركة حذاءها ، وهى تقول « عن اذنك » لأولئك الذين كانوا يجلسون على حافة السور حيث قفزت من فوقه برشاقة ودخلت فى الماء وقد رفعت (الجونيلة) (٢) قليلا « آه يا لها من سـلوى ! » صـاحت بذلك لأنطونيو » الذى كان قد اقترب منها سريعا ، ومعه الحقيبة وحذاءها ارتفعت نظرات الناس من فوق الماء ، الذى كانوا يبحثون فيه عن

---

(١) وردت بالنص le cicale وتقال كذلك cicade وهى من مجموعة ال cicadidi (Lyristes plebeius) وهى عائلة من الحشرات التى تضم فيما بينها النحل ولها ذكر عام وتتميز بصوتها او بازيزها لها لون بنى مائل للصفرة ويصدر ذكرها فى اشهر الصيف الأزيز المميز وتعرف بالعربية باسم حشرات (الزيز) او (زيز الحصاد)

(٢) وردت بالنص le gonne وهى هنا فى الجمع Pl. ومفردها رداء للنساء يغطى منطقة من عند الوسط الى أسفل ولا اجد كلمة اصيلة فى العربية فكان هناك احتمالين (اولا) اما استعمال الكلمة بمنطوقها الوارد فى الترجمة أو القريبة منها وهى كلمة « جونيلة » وهى شهيرة فى العامية (ثانيا) استخدام كلمة رداء أو النصف الأسفل من الرداء

السلوى ، الى تلك الفتاة الجميلة وهم يتفحصونها سرعان ما عـاد النشاط الى الرؤوس الناعسة الجامدة ، وتداخلت فى أحاديث مكثفة ثم ارتفع صوت محدد

« يا آنســة عودى أدراجك ، من فضلك ، النافورة مخصصــة للأطفال ! » كانت امرأة فى الأربعينيات لها شكل ربات البيــوت ووجهها يتسم بالحيوية •

لكن « أنــا » كانت الى هذا الحد سعيدة بوجودها فى الماء فلم تسمع النداء وسط أصوات الأطفال الصاخبة

كررت المرأة القول بحدة أكثر « يا آنسة • لا حظى أن دخـول النافورة ممنوع انها مخصصة للأطفال » وأيدتها نســاء أخريات باشاراتهن

استدارت « أنـا » وقد أخذتها المفاجأة(١) كان وجههــا ما زال ضاحكا أجابت « أطفال أم لا ، اننى فى حاجة لقليل من الانتعاش ، لو سمحت » • كان صوتها ذا نغمة ودودة ، لا تخلو من نبرة حفاوة تريد أن تبدو مازحة ثم تقدمت نحو مركز النافورة حيث كان المـاء يصير بالتدريج أعمق •

ارتفعت نظرات الناس من فوق المـاء ، الذى كانوا يبحثون فيه عن السلوى الى تلك الفتاة الجميلة وهم يتفحصونها سرعان ما عـاد

لوحت امرأة أخرى ذات وجه خبيث(٢) بيديها لأعلى صاحت « هذه النافورة للأطفال هل فهمت ؟ انها للأطفال » •

رددت أخريات كذلك القول « أخرجى من النافورة اخرجى ! انها مخصصة للأطفال » حتى الصغار الذين لم يكونوا قد التفتوا

---

(١) وردت بالنص **sorpresa** وهى اسم المفعول من **participio pass.** لفعل **sorprendere** وهو هنا مستخدم كصفة وقد استعيض عنها بتركيب عربى هو الذى جاء بالترجمة حيث انه يعبر عن المعنى المطلوب ويعطى سلاسة أكبر للجملة بالنسبة لطبيعة الأسلوب العربى

(١) وردت بالنص **espressione volpina** ، وكلمة **espressjone** من بين معانيها (« مظهر » أو « شكل عام » يغلب عليه طابع ما) اما كلمة **volpina** فتعنى (شبيه الثعلب) أو المعنى المجازى (من خصائص الثعلب الخلقية من مكر وخبث) والمقصود هنا فى النهاية (وجه الثعلب) أى (وجه خبيث)

للأمر من بدايته ، نظروا الى الفتاة التى دخلت فى المـاء بينهم ، وتوقفوا عن اللعب كما لو كانوا ينتظرون شيئا ما

« عـودى أدراجك ! ممنـوع ! اخـرجى ! » كانت « أنا » قد وصلت تقريبا تحت الينبوع ، حيث كان الأطفال أكثر كثافة كان الماء يصل الى ركبتيها التفتت من جديد الى تلك الصيحات ومن يدرى كيف لم تر ما آلت اليه فى لحظات قليلة وجوه النسـاء من حولهـا وجوه مبللة بالعرق ، محمرة مشدودة من الغضب ، بتقطيبة كريهـة على أجناب الشفاه لم تر لم يتملكها الخـوف « هيه » هـكذا اجابتهن ، وهي ترفع يدها لتعبر عن ضجرها وحنقها

حاول « أنطونيو » عند حافة النافورة أن يتجنب مشاجرة ، فقال لـ « أنا » بنغمـة مهدئة « أنا » « أنا » ، ارجعى الآن لقـد انتعشت بما فيه الكفاية »

لكنها فهمت أن « أنطونيو » كان خجلا منها وأنه يبرر بشكـل ما تصرف النساء • فأجابته وهى تضرب المـاء كصبية صغيرة « نعم ، نعم دقيقة أخرى » لم ترد الاستسلام لتلك الشمطاوات

وهناك • طار شيء رمادى اللون فوق الماء وفورا بدت لطخة متسخة ثقيلة على ظهر « أنا » ، وأخذت تنساب الى أسفل فوق القماش الأزرق المشجر (١) من الذى فعلها ؟ فجأة كانت احدى بنات البلد (٢) امـرة جميلة طويلة وقوية ، قد غمست يدها فى القاع ، فملأت قبضتها بالوحل ثم قامت بقذفها

علت الضحكات والصيحات اخرجى ! أخرجى من النافورة ! اخرجى ! » وكانت أيضا أصـوات رجال الآن أخذ الحماس أولئك الناس الذين كانوا منـذ قليل كسالى ، ومسترخين استبد بهم التلذذ

---

(١) وردت بالنص a fiori اى (ذو الزهور) وكلمة (المشجر) العربية التى تطلق على هذا النوع من القماش

(٢) وردت بالنص una delle popolane أى (واحدة من الشعبيات) وكلمة popolouo هى صفة فى الأساس لكنها تحول فى الغالب الى الاسم Un aggettivo per lo piu sogtantivato ومعناها (من يندرج تحت الشعب من الطبقى الاقتصادى وما يميزهم من ثقافة وعادات وصفات تخص المجاملة والذوق) • وقليلا ما تأتى بمعنى (ساكنى المدينة) وقد يكون ما جاء بالترجمة على ما به من مدلول عامى هو المقصود •

بامتهان تلك الفتاة الجسورة التى كان يفهم من سحنتها ولكنتها أنها غريبة ·

« جبناء » صاحت « أنا » وهى تستــدير قافزة وكانت تحاول بمنديل صغير أن تمحو عن ظهرها لطخة الوحل ، لكن اللعبة كانت قد راقت لهم عاجلتها فى كتفهــا قذيفة أخرى ، ثالثة فوق رقبتها ، عند طرف الرداء وصارت مسابقة

كانوا يصيحون بنوع من أنواع التهليل « أخرجى ! أخرجى ! » انطلقت ضحكة كبيرة عندما أصابت كتلة من الوحل احدى أذنى (١) « أنا » ولطخت وجهها ، طارت فى الهواء نظارات الشمس ، لتختفى تحت الماء وسط العاصفة كانت الفتاة تحاول أن تحمى نفســها وهى تلهث وأخذت تصرخ بعبارات غير مفهومة ·

هنا تدخل « أنطونيو » فشق لنفسه طريقا ولكنه كما يحدث فى لحظــات الانفعال الجامح تطق بكلمــات مفككة فبــدأ يقول « لو سمحتم ، لو سمحتم ، دعوها وشأنها ! (أى شر فعلت بكم ، لو سمحتم أقول لكم أن اسمعوا أنصحكم « أنا » ، « أنا » تعالى للخارج فورا ! » ·

كان « أنطونيو » غريبا وكلهم ، هناك ، يتكلمون بالعامية كان لكلماته جرس غريب (٢) ، يكاد يبعث على الضحك

بجواره تمــاما انبرى أحدهم فى الضــحك لو سمحتم هيه ؟ لو سمحتم هيه ؟ » هكذا أخذ يكرر عبارته هازئا · كان شابا فى الثلاثينيات،

---

(١) وردت بالنص orecchia وليست orecchio . وهما يدنوان من بعضهما فى الاستعمال اللغوى فى المعنى العام ، ومعناهما (الأذن) ، غير ان orecehio أقل استعمالا meno comune وقد تعطى احساسا بالاقليمية regionale

(٢) وردت بالنص suono curioso وكلمة suono هنا يمكن ان تترجم (بالجرس) بدلا من (الصوت) اما صفة Curioso فهى فى الأساس تعنى (الفضولى) او (محب الاستطلاع) وكثيرا ما تاتى بمعنى (المثير للتعجب) وربما يكون انسب صفة لهذا هو كلمة (غريب) بالعربية ·

يرتدى فانلة ، له وجه جاف متخابث كالبلطجى (١)

اما أنطونيو فقد ارتعشت شـــفتاه (٢) سأل « ماذا حدث ؟ ماذا حدث ؟ » فى نفس اللحظة ،لمح بطرف عينـــه امرأة ترفـــع ذراعها لتقذف بالوحل مرة أخرى أمسك بها من معصـــمها ، موقفا اياها تسرب الطين (٣) بين أصابعها ·

« مع النساء هاه ؟ تتجاسر على النساء ؟ » هكذا قال له الشـــاب الذى يرتدى الفانلة ، ثم أضاف وقد اقترب منه متحرشا (٤) « لعلك

---

(١) وردت بالنص dal volto asciutto e furbesco da teppista وكلمة dal. وهو حرف جر موصول باداة التعريف فيمكن أن يترجم بحرف الجر (ب) وكلمة volto تعنى (الوجه فى صيغة ادبية مهذبة) ثم وضع له صفتين هما asciutto e furbesco اى (الجاف والمتخابث) وقد نستغنى عن حرف العطف (الواو) فى العربية لتصبح (الجاف المتخابث) اما كلمة teppista فهى اسم s.m. مستحدث نسبيا فى الايطالية ومعناه (فاسق أو فاجر متخصص فى أعمال العنف والتخريب والأذية) وقد درج على استعمال هذا المعنى فى العربية باستخدام اسم (الشقى) انما المعنى الدقيق هنا هو الاسم العامى (البلطجى) وربما يكون من الأنسب استخدامه هنا ولا سيما أنه فى الايطالية teppista يعد من الكلمات المستحدثة

(٢) وردت بالنص ad Antonio tremarono le labbra اى (من « أنطونيو » ارتعشت الشفتان) · وقد ترجمت (أما « انطونيو » فقد ارتعشت شفتاه) وكان يمكن أن تترجم ب (ارتعشت شفتا أنطونيو) وقد يستقيم هذا النمط من الترجمة الذى اتبعناه من جمل مماثلة يدل فعلها على المشاعر والخلجـــات أى فى الاستخدام الشاعرى lirico

(٣) وردت بالنص la poltiglia وهو (خليط بقدر يكبر أو يصغر من الماء او السائل مضافا اليه مادة مسحوقة أو التراب) وقد تترجم هنا بالوحل وهناك عدة مترادفات بالعربية وكذلك بالايطالية لهذه الكلمة ، وقد وردت معظمها فى هذه القصة · فمنها مثلا melletta وهى تعطى معنى كلمة fanghia وان كانت اى melletta مشهورة فى عملية تلميع زهريات النحاس بدفنها فيها قبل أن توضع فى النار ومنها مثلا fango وهى أرض الحقول أو تراب الشـــارع المبللة بالماء ، و fanghiglia هى نفس الكلمة fongo ولكن بعد جفاف الماء ، وترادفها كلمة mota وكذلك كلمتى melma ، و belleta وفى العربية نجد المرادفات الآتية الطين وهو التراب الممزوج بالماء ، والطينة وهو أقل من الطين ، والوحل وهو طين رقيق (بفتح الواو والحاء) وطمى وهو المادة الأرضية التى تعلو النهر

(٤) وردت بالنص si fece sotto وهو تعبير مراد به الاقتراب فى استفزاز أو تحرش مكون من فعل (فعل) ذى الضميرين farsi فى الماضى البعيد وظرف المكان (تحت) sotto ولا تترجم بالعربية بمعناها الحرفى وانما بتعبير آخر وهو (اقترب فى تحرش) أو (اقترب متحرشا) أو (مستفزا) ·

صديقها ؟ » وهدده وهو يمرر احدى يديه بالقرب من وجه « أنطونيو » ليستفزه قائلا « أليس كذلك ، هيه ! » فسدد اليه « أنطونيو » لكمة كي يقصيه ، لكنها كانت لكمة طائشة ، خبطت حافة كتفه فقط

لم يهتز الشاب بمجرد اهتزازه أخذ يضحك وكان يبدو عليه أنه يلهو كثيرا ، تقافز (١) وكله منبسط للأمام ، كما يفعل الملاكمون (٢) ، مسددا (٣) اللكمات • « هكذا ، لو سمحتم ! » •

امتد ذراعه الأيسر ببطء ، يمكننا القول ، وبلا أى حدة ومع ذلك ، فما من أحد يعرف لماذا لم ينجح « أنطونيو » فى تفاديه ضربة صغيرة ناحية الكبد ، لكمة أعطيت للمزاح ، أو هكذا كانت تبدو ولكنه عندما سحب أنفاسه (٤) ، شعر لتوه بألم ينتشر فى امعائه ألم عميق غائر خبيث وتوقفت أنفاسه

تضاحك الآخر وهو يكرر عبارته « لو سمحتم ! لو سمحتم ! » ومد الذراع الآخر • لمسته اللكمة بالكاد ، أو هكذا كانت تبدو على كل الأحوال ، بعد لحظة ، انثنى « أنطونيو » نصفين ، متأوها ثم من أعماقه

---

(١) وردت بالنص saltellare وهو فعل لازم intr. معناه (قام بسلسلة غير منظمة أو فوضوية من القفزات الصغيرة تاتى غالبا تعبيرا عن النشاط) ونجد فى الفعل العربى (حجل) هذا المعنى وقد استخدم فيما بعد فى هذه القصة ولكن فى هذا المقام • مقام من يلاكم خصما وجريا على المشهور فى القاموس الرياضى العربى من أداء الملاكم فربما يكون من المناسب استخدام عبارة (قام بقفزات قصيرة وسريعة) وهـــو ما يعبر عنه الفعل العربى تقافز

(٢) وردت بالنص بالفرنسية boxeurs امعانا من الكاتب فى تصوير هيئة الشاب الذى يلاكم « أنطونيو » ، وفى الحقيقة فان لفظ (الملاكمين) يعطى الدلالة نفسها كاملة •

(٣) وردت بالنص molinando وهى صيغة الحال il gerundio من فعل mulinare وهذه هى الصيغة الصحيحة لكتابته mu وليست mo كما جاء النص وهو فعل متعد tr. ومعناه (ترك أثرا وبصم وطبع وعانى واحتمل وقاسى وكابد • وكذلك قام بحركة دائرية مرئية كما تفعل المروحة مثلا) وهذا هو المعنى المقصود هنا ولعل أنسب فعل بالعربية هو فعل (طوح) فمعناه (طوحه أى توهه وذهب به هنا وهنا) فهو بالفصحى العربية أشمل من مجرد معنى الاستدارة المرئية وربما يكون بالعامية له هـــذه الدلالة الخاصة • وعلى كل الأحوال بلغة الملاكمين يقال سدد اللكمة

(٤) وردت بالنص مفردة il fiato وهنا جمعت مع اضافة ضمير الملكية (الهاء) والجمع انسب لما جرى عليه التعبير بالفصحى (سحب أنفاسه) وقد تكون بالعامية كما وردت بالنص مفردة (نفسه) •

تصنعد (١) احساس مفزع بالغثيــان لم يعد يرى ســوى فوضى من الظلال (٢) تقهقر حتى أقرب شجرة ، ليستند اليها

عندما تمالك نفسه ـ وكانت قد مضت ثوان قليلة ـ كان ثمة جديد يحدث عند النافورة

كانت « أنا » لم تنسحب بعد من وسط النافورة وهي ملطخة كلها بالطين ، والوجـه ممطوط بتقطيبة لاهثة ، كانت تحاول مرة أن تحمي نفسها بيديها ، وأن تســـدد في مرة أخرى قذائف من الماء على من كان يرميها · لكنها كانت تتحرك بصعوبة كما لو أن تعبا عظيما داهمها فجأة· بقت وسط الأطفال ، فقد أدركت أن الأمهات سوف يتحاشين رميها حتى لا يعرضن أطفالهن للقذفات · أخذت تنادى : «أنطونيو» ، «أنطونيو»! أنظر ما فعلوا بى ! يا الهى لكم فعلوا بى ! كانت تكرر هـــذه الصيحة بطريقة آلية وبدا كما لو أنها لا تعرف أن تقول شيئا آخر

« اخرجى ! اخرجى ! اخرجى من هنا ! خذى هذه ! ·· أخرجى أأنت قذرة ؟ قولى ، هل أنت قذرة ؟ اخــرجى ! أخــرجى ! وأنت يا « نينى » تعالى للخارج اخرجوا يا أطفال ! » هكذا كانت تقول النساء وبالفعل بدأ الأطفال في الانسحاب ، تاركين « أنا » أكثر وحدة شيئا فشيئا

والآن حتى لو أن « أنا » قررت الخروج ، فان ذلك لن يكون بالأمر اليسير · هل سيدعونها تمر ؟ ألن يتكالبن عليها أيضا ؟ فجأة من الأشجار أتت حشرات الزيز بصرخة حانقة حادة أقوى كثيرا من ذى قبل كما لو أن فزعا قد عاث بين أوراق الشجر · في اللحظة نفسها تقريبا ، هيج الصراخ ، طفلا في الثامنة أو التاسعة من عمره ، واقترب من « أنا »

---

(١) وردت بالنص dal fondo gli sali والترجمة المباشرة هكذا (من الأعماق صعدت له) وفي العربية سوف نغير (أولا) الضمير له gli فتصبح هكذا dal suo fondo sali اى (من عمقه صعد)، ثم (ثانيا) نجمع كلمة العمق فتصبح (اعماقا) fondi فتصبح العبارة هكذا dai suoi fondi sali ثم (ثالثا) ترجمة الفعل صعد salire بتشديد العين si sali فتصبح العبارة في النهاية بعد التغييرات الثلاثة هكذا (من أعماقه تصعد احساس مفزع) وانما استخدم الفعل (تصعد) مجاراة لما جاء في النص gli sali فكان الكاتب يوحى لنا بأن هذا التصاعد كان فعالا positivo من نفسه وان « انطونيو » كان سلبيا passivo حياله

(٢) وردت بالنص una confussione di ombre وهو تعبير خاص للكاتب « ديعوبولزاتى » وقد نقل كما هو وقد يكون المراد هو (ظلال) أو (أشباح) متداخلة

وهو يرفع قاربه البدائى الخشبى وعندما أصبح بجوارها ، ودون أن ينطق بكلمة واحدة ، أطاح باللعبة صوب قصبة احدى ســاقى الفتاة • اصطدمت دعامة المركبة المعززة بشريط من الصفيح بعظم الفتاة فى خبطة حادة

أشياء كثيرة تحدث فى دقيقـــة أو اثنتين وكثــير ما يستطيع الانسان أن يفعله فى هذه الفترة الوجيزة من الوقت ، حتى وان كان الجو حارا وان عطنت أبخرة مضارب الأرز العفنة جو المدينة فجعلت الحياة كريهة صرخة كانت تريد أن تنطلق من حنجرة الفتاة • وما خرج منها سوى النفس خاليا من الصوت ، نوع من الفحيح • انقضت كالصاعقة (١) من جراء الألم الشنيع على الطفل الصغير ملقية ممددا بطوله فى الماء اختفت رأسه لحظة تحت السطح •

من حافة الحوض أجابها صراخ وحشى سماعه يثير الرعب « انها تقتل ولدى ! انها تقتل ولدى ! النجدة ! النجدة ! »

من كان يشعر بعد ذلك بالحر ؟ كانت تبدو الفرصة عظيمة • ما من شىء كان يحول الآن دون القاء ما فى أعماق النفس أحمال الشر القذرة التى تعشش بالداخل لسنوات دون أن يدرى أحد أنها بداخله • تملك النساء هياج محموم بدأت المرأة ذات الوجه الخبيث تلك فى الحجل (١) وهى تدور حول نفسها ، وكانت تصيح : « سفاحة ! سفاحة ! سفاحة (٢) بلا أى معنى

على بعد عدة عشرات من الأمتار هناك كان « أنطونيو » مازال يلهث بذلك الألم الذى كان يخفق فى الانطفــاء لمح المنظر فقط ولم يفهم

---

(١) وردت بالنص fulmineamente وهـو صـــفة فعلية avverbio ويمكن ترجمتها بـ (الصاعقية) أو (بطريقة صاعقة) وربما يكون من الأنسب لو حولنا صفة الفعل الى صفة وتشبيه (كالصاعقة) وهو التعبير العربى الشهير

(١) وردت بالنص saltellare وقد سبق أن ترجم فى نفس القصة بـ (تقافز) فى موقف آخر قد كان يحتم هذا التعبير أثناء شجار الملاكمة لكن الفعل هنا يمكن أن يترجم بـ (حجل)

(٢) وردت بالنص Boia ! Boia ! Boja ! والمعنى المباشر لها هو (جلاد) والأصل أن هذا اللفظ لا يطلق الا على من يقوم بتنفيذ أحكام الاعدام الصادرة عن الجهة الرسمية غيرأنه يدل الآن فى الايطالية الدارجة على معنى السفاح أو القاتل assasino أو carnefice

لكنه ها هو قد أدرك أن الناس لم تعد تتكلم كذى قبل   حتى تلك اللحظة كان قد سمعهم يتكلمون حوله بلهجة المدينة المألوفة ، التى كان ميسورا عليه أن يفهمها   أما الآن ، فبطريقة لا تفسير لها ، كان يبدو أن الأفواه تنتفخ متلعثمة وتخرج منها كلمات مختلفة   لها جرس غليظ لا شكل له · كما لو ان صدى رذيلا أسـود (١) قد تصعد من آبار المدينـة القصية (٢)   هل انتعش فجأة الصوت الآثم لقاع (٣) المدينة القديم ، محملا بالجرائم ؟ لقد كان بين غرباء ، فوق أرض بعيدة يستعصى عليه تفهمها موحشة حياله

فى تلك الأثناء تعالت الصيحات   وعبر النـاس حافة النافورة مندفعين فى الماء   وكان هرج · ثم خرج الجميع من حوض الماء وبادرت « أنا » تلك بالظهور (٤) ، كانت اثنتان أو ثلاث من النساء يمسـكنها بوحشية وكن يضربنها   كانت كلها متسخة مهوشة الشعر ، وقد صار وجهها معتما فى لون الأرض وألم مميت يعتصرها من الداخل   أكانت تبكى ؟ أكانت تنتحب ؟ أكانت تصرخ ؟ كان من المتعـذر فهـم ما تفعله فالصيحات كانت تغطى صوتها   من آن لآخر   تحت الضربات كانت تتعثر   لكن الأخريات كن يسحبنها ، وهن ممسكات بذراعيها المكتوفتين خلف ظهرها ، الى أين يقدنها ؟ · كان « أنطونيو » ينظر مرعوبا · ما كانت

---

(١) وردت بالنص **un eco turpe e nera** ، هنا يصل اسلوب **Dino Buzzati** الى خيال فريد الى حد أن يجعل للأصداء لونا فيصف الصدى بانه اسود

(٢) بالنص **i remoti pozzi della città** بمعنى (الآبار البعيدة أو القصية للمدينة) ولكن بالنسبة للأسلوب العربى يستحسن أن تترجم بـ (آبار المدينة القصية) و (القصية) هنا هى صفة للآبار وليست للمدينة
(remoti) à un aggettivo per i pozzi.

(٣) وردت بالنص **bassifondi** وهى جمع لكلمة **bassofondo (s.m.)** ومعناها أماكن المدينة التى تعشش بها الفاقة والرذائل وهى كلمة فى الايطالية من مقطعين وقد ترجمت بكلمتين بالعربية هما (قاع المدينة) وهو تعبير شهير فى العربية الحديثة

(٤) وردت بالنص **e per prima apparve l'Anna**
وقد تغير فى الترجمة الفعل (ظهـر) الى (بـادر بالظهـور) حتى يضـم التركيب **per prima apparve** والا كان يمكن ان تاتى الترجمة هكذا

(أ) (الأولى) أو (أولهم) التى ظهرت بالنظر الى مجموع الناس

(ب) أو استخدام كلمة (سرعان) فتاتى سرعان ما ظهرت « أنا »

هذا وقد جاء اسم « أنا » مسبوقا باداة التعريف وهذا مالا نستطيعه بالعربية الا ان نؤكد على اسم « أنا » مستخدمين مثلا اسم الاشارة (تلك)

حوله الا وجوها توحشت ، نظرات قاسية كانت تحملق فيه بقلب خافت جرى ليبحث عن شرطى في الطريق بينما كان يبتعد أخذ يلاحقه دوى هتاف بدا له أنهم يصرخون به « الى القفص ! » لكنه ربما أساء الفهم فماذا كان يمكن أن يعنى ذلك ؟

لم يكد يقطع مائتى متر حين رأى اثنين من شرطة البلدية يقتربان وقد جذبتهم الضوضاء ، انما بلا عجلة قال وهو يعانى صعوبة فى الكلام « بسرعة ، أرجوكما ، انهم يقتلون فتاة ! لقد أمسكوا بها ، انهم يأخذونها بعيدا ! » •

نظر الاثنان اليه فى حيرة وكأنهما لم يفهما لم يسرعا الخطى اطلاقا • الا أن ثلة النساء التى تسحب « أنا » كانت آتية فى مواجهتهم كانت الفتاة قد أصبحت الآن خرقة بالية ، كانت تبدو وكأنها قد أصيبت بالبلة • « ماما ! ماما ! » كانت تكرر الكلمة بلا انقطاع والنسوة يدفعنها كحيوان

ولكن خلفهن تماما كان فريق آخر آتيا ، أغلبه من النساء ، يحمل طفلا على الأعناق (١) بفخار لقد كان الطفل الذى قذفت به « أنا » تلك فى الماء كانت أمه تربت على رجليه • كانت تصيح (تونينو ، روحى أنا كنزى ! كيليه (٢) كنن التى ليف مممم ! بعد الكلمات الأولى كان كله يتداعى فى عواء غير مفهوم كانت النساء الأخريات يومئن برءوسهن بعلامة نعم ، مؤيدات ، وكن يصفقن بأيديهن ، ثم تجرى احداهن للأمام ، وكأنه ينبغى عليها الا تضيع لحظة فتسدد اللكمات ل « أنا » وهى تحاول أن تصيبها بأكبر قدر من السوء

ماذا كان ينتظر الشرطيان ؟ بخطوات غير ثابتة كانا قد انضما للموكب ، وهما يأتيان بحركات غريبة بأيديهما اعترضهما رجل قصير (٣) أحدب « لقد قبضنا عليها ! » شرح لهما لاهثا « كانت تريد

---

(١) لم ترد كلمتى على الأعناق بالنص انما جاء فقط portando in trionfo اى (حاملين بفخار أو بانتصار) وانما المقصود بها أنهم يحملونه على الأعناق وكان لابد ان تذكر الجملة كاملة فى العربية

(٢) كل هذه الكلمات او بالأحرى الحروف وما سيأتى بعد ذلك فى القصة مما شابهها ليس لها معنى بالايطالية نفسها وقد نقلت الحروف المقابلة لها بالعربية

(٣) وردت بالنص un ometto والمقصود به (الرجل القصير البنية) والذى غالبا ما يميز صوته نبرة تزيد أو تنقص من خفة الدم)

مية ن بمب جهه مممم مممم ! » كانت كلماته هو الآخر قد غشاها ذاك العواء الغامض امتقع لون الشرطيين ٠

نظر عندئذ أحد المراقبين الى « انطونيو » وكأنه يريد أن يعتذر لكن يبدو أن وجه الشاب المنهك كان يدعوه للواجب أعطى اشـارة لزميله كي يخبره أنها هذه هى الساعة وعندئذ أمسك بذراع احدى النساء وهو يأمرها بصوت متردد « لحظة ! لحظة ! »

لم تلتفت المرأة مجرد التفاتة ٠ كانت تدفعها قوة مبهمة وهائلة مع الأخريات تشابكت تعليقات غير مفهومة أرخى الحارس قبضته ٠ كانت الأقدام تثير زوابع من التراب تختلط بأنفاس طاعونية ساخنة ٠

دفعوا « أنا » نحو القلعة العنيقة التى كانت تبزغ عند أطراف الحديقة هنا فوق الكوبرى المتحرك ، والمشدود على آلة من آلات فرد الحبال ، كان يتدلى قفص صغير من الحديد كان يستخدم قديما فى ايداع المجرمين الموثقين بالأغلال كان يبدو وهو بجوار الحائط المائل الى الصفرة ، وكأنه خفاش عملاق

كان هناك بأسفل عائق من البشر بداخله اختفت « أنا » ثم لاح القفص مترنحا وهو يهبط بوثبات فوق الجمـــع علت صيحات الانتصار لحظات قليلة ، وها هى الحبال تشد وصعد ثانية القفص وبداخله مخلوقة بشرية كانت متدثرة باللون الأزرق ، كانت جاثية كانت تشنجات النحيب ترعشها ، واليدان قابضتان على القضبان ومائة ذراع كانت ممتدة صوبها بينما كانت تتطاير أشياء غير معروفة لتصيبها ٠

لكن ما أن ارتفعت مترا فوق الرؤوس حتى زمجر ذلك النوع من الروافع القديمة وانفلت واستدار حول القضيب الخشبى ، وبدأ الخبل الذى لم يعد يمسكه أحد ، فى الجريان هابطا بالقفص فيما وراء الكوبرى ، داخل خندق القلعة الأســـود الى أن توقفت الآلة مصـدرة صريرا واصطدم القفص وهو يتوقف بالسور الخارجى ،على بعد أربعة أمتار تحت مستوى الأرض ولول الناس ، بجزع من لا يقبل الغش والخداع(١) وسرعان ما غادروا الكوبرى واحتشدوا بطوال السور الحديدى وأطل الجميع منه ، وهم ينظرون لأسفل فى الأعماق وأخذ البعض يبصق

---

(١) وردت بالنص con l'ansia di non restare defraudata
ومعنى اسم المفعول defraudota هنا هو مغشوشة او مخدوعة او محتال عليها وذلك لأن الناس كانت تنتظر المزيد من التعذيب للفتاة

من عل كانت تظهر كتفا « أنا » النحيلتان ترتجفان ، ورأسها مطاطا لأسفل ، فوق شعرها المهوش كان ينهال تراب ، وحصى ، وقاذورات « أنظر اليها أنظر اليها » هكذا كانوا يقولون « ليس لديهـــا حتى الكراججهه جو اااه ! » وكانوا يرفعون « تونينو » على الأكتاف ، الذى لم يكن يفهم ، وكان ينظر فيما حوله مرعوبا

أخيرا نجح « أنطونيو » في الوصول الى سور الكوبرى الآن كان يستطيع أن يرى القفص « أنا » ! « أنا » ! « بدأ ينادى وسط ذاك الجحيم » ٠ « أنا » ! « أنا » ! انى أنا

حاول ثلاث مرات ، ثم لمسه أحدهم في كتفـــه كان سيدا فى الخمسينيات له مظهر بائس وغير راض ، كان يهز راسه « لا ، لا » وقام « انطونيو » بحركة تعبر عن الامتنان عندما سمعه يتكلم بطريقة متحضرة « أرجوك ، لا تفعل ! »

لم يفهم « انطونيو » ٠ تمتم « أى شيء ؟ أى شيء ؟ » ٠

هز الآخر راسه ثانية وضع سبابته على شـــفتيه ، ليـوصيه بالسكوت « لا تفعل لا من الأفضل أن تنصرف سيادتك ، ان الجو حار هنا ، حار جدا ٠٠ » ٠

« أنا ! أنا ! » سأله وهو يرتعش ، ورأى حوله ستة أو سبعة وجوه مفزعة مشرئبة كى تسمع ما يدور عندئذ ابتعد عن السور

كان الغروب يقترب ، بلا انتعاش ، ولا سلوى وهنت الصيحات رويدا رويدا تبقت همهمة صماء مخيفة ، لكن الحشد الذى كان حول سياج الخندق لم يكن ليتحرك وبعيدا بعض الشيء كان كل اثنين من الشرطة يروحان ويجيئان فى عصبية أكانوا ينتظرون انصراف الناس ؟ ربما كانت تلك هى أوامر السلطة حتى لا تحدث فوضى

أخذ « أنطونيو » يتمتم وهو يحاول الوصول الى السور من جديد « يا الهى ، يا لها من مصيبة » نجح فى ذلك عديد من الدقائق ٠ لكنه كان بعيدا عن القفص حاول مع ذلك أن ينادى : « أنا » ! « أنا ! » ٠

هزته خبطة فى قفاه لقد كان مرة أخرى الشـــاب الذى يرتدى الفانلة قال بابتسامة مليئة بالسم « أأنت هنا ؟ أأنت هنا أنت ؟ ألا يكفيك بسبت تشيد ين غا اااه ! » وانساب فى بقبقه غير واضحة اللفظ ٠

صاحوا « انه شريكها اقبضوا عليه ! افعل جويسك جويسك الليه ·· ممم ·· ممم » ·

« هو أيضا ! » هكذا عرض أحدهم · أجابوه « هو أيضا » حاول « أنطونيو » أن يبتعد أدركوه ، أمسكوه أوثقوا معصميه ، قلبوه بعنف فيما وراء السور ، ظل معلقا فى فضاء الخندق ، متشبثا بحبل وهكذا سحلوه بطوال السور ، حتى أعلى القفص هنا تركوه سقط على القاع بصدمة مدوية هارسا احدى قدمى « أنا » تلـــك التى لم تتحرك من فوقهما دوى زئير متوحش كان ضوء النهار آخذا فى الأفول ·

وما أن تخلص بمشقة من قيده حتى طرق « أنطونيو » كتفيهـــا بيديه ، أحس تحت أصابعه باللزوجة التى تلطخها كانت « أنا » مازالت خفيضة الرأس انبرت تكرر بلا احساس « ماما ، ماما » ثم أخذت فى السعال وكانت تهتز كلها بأعلى كانوا مازالوا يتصايحون

والآن اما لأنهم شبعوا أو لأن اشمئزازا ما أصابهم فقـــد ابتعد الكثيرون · كانت عصافير الغسق تصرخ فيما حول القلعة · ومن معسكر بعيد وصل الى الأسماع نفير نوبة الرجوع أخيرا هبط المساء على المدينة المغبرة · ها هى عجوز تصل ومعها لفافة ضخمة ، كانت تضحك بسعادة · وصاحت « « تونينو » ! « تونينو » ! » وهى تشير الى الصرة وكأنها تبشر بشىء جميل للغاية انفرج الحشد ، تركوها تمر

عندما وصلت الى السور ، فكت العجوز الربطة ، لتعرض مبولـــة صغيرة ، وأمالتها حتى رأى الجميـــع ما بداخلهـــا « « تونينو » ! « تونينو » ! » كانت تكرر القول وهى تشير الى محتواها · ثم أطلت من السور مدت ذراعها بالمبولة فوق القفص قدرت الهدف قالت « ولا حتى تستحقها ! » ·

هوت المادة على كتفى « أنا » بهدير خامل لكنها لم تتحرك ، لم تحتج · ما سمعت الا سعلتها ، العميقة الجافة ، التى لم تستطع الخروج· أحاق بالجميع ارتباك لحظى ثم عندما ضحكت العجوز انتشر الضحك ·

فيما تلا ذلك من صمت ، ومن حائط الخندق الذى كان بجواره القفص من هذا المكان تماما وصل نداء مرتعش لصرصور كرى كرى كان يبدو أنه يقترب ٠

من خلال القضبان ، مدت « أنا » ببطء يدا صغيرة مرتعشة نحو الصرصور ، كما لو كانت تطلب منه النجدة ٠

١٣ ـ افتتاح الطريق

كان قد حدد العشرون من يونيو سنة ١٨٤٥ ، منذ وقت مضى ، افتتاح الطريق الجديد الذى يبلغ طوله ٨٠ كيلو مترا بين العاصمة و « سان بييرو » ، وهو بلد كبير يبلغ تعداده ٤٠٫٠٠٠ نسمة ويقع على حدود المملكة تقريبا فى موقع منعزل ، بين أراض قاحلة خالية من السكان . كان العمل قد بداه الحاكم القديم . ولم يكن الحاكم الجديد ، المنتخب منذ شهرين بالكاد قد اهتم اهتماما بالغا بالمشروع فأناب عنه الكونت « كارلو مورتيمير » وزير الداخلية ، لحضور الاحتفال بحجة أنه اصيب بوعكة صحية .

بدأت(١) رحلة الافتتاح فى موعدها بالرغم من أن الطريق لم يكن معدا تماما كما كانت العشرون كيلو مترا الأخيرة ، تجاه « سان بييرو »

---

(١) ورد الفعل بالنص avvenne وهو الماضى البعيد Pass. r. من فعل avvenire وهو فعل لازم ومعناه (وقع accadere او حدث copitare او تم (بمعنى صار او حصل او تحقق (aver luogo) ولكن استخدام الفعل هنا هو بمثابة الفعل العربى (بدأ) ولا سيما اذا اضيفت اليه عبارة فى موعده . وقد ذكر الموعد فى اول القصة بالفعل ، وهناك إحساس بأن الكلمة تحوى البدايه .

لازالت قائمة على طبقة حجرية بدائية(١) لكن مدير الأعمال أكد أن العربات سوف يمكنها أن تصل حتى النهاية • ومن ناحية أخرى لم يبد مناسبا ارجاء احتفال طال انتظاره لقد كانت جماهير « سان بييرو » تشتعل حماسا واشتياقا في أوائل يونيو وصلت الى العاصمة حوالى اثنتى عشرة من الحمام الزاجل برسائل ولاء للحاكم تبشر بأنه قد أعدت في « سان بييرو » احتفالات عظيمة •

وهكذا رحل في ١٩ يونيو موكب الافتتاح كان مكونا من فرقة من حرس الفرسان ومن أربع عربات •

في الأولى أخذ الكونت « كارلو مورتيمير » مكانه وكذلك سكرتيره « فاسكو ديتوى » ، ومفتش الأشغال العمومية « فينشينتزو لاجوزى » (والد « لاجوزى » ذاك الذى كان عليه أن يسقط فيما بعد ببطولة في معركة « ريانتى ») ومقاول التنفيذ « فزانكو متزارولى » الذى أدار عملية اقامة الطريق •

في الثانية كان الجنرال « أنتيس ــ ليكووتز » وزوجه ، وهى سيدة متميزة شجاعة ، واثنان من الموظفين الحكوميين •

في الثالثة كان كبير الياوران دون « دييجو كرامبى » وقرينته ، والسكرتير الشاب الصغير ، وكذلك الدكتـــور « جيرولا موآتيزى » ، الطبيب الجراح •

الرابعة كانت مخصصة للخدم والمؤن ، حيث انه كان من الصعب الحصول على ما يؤكل أثناء الرحلة •

حتى « باسو تيرنى » ، وهو بلد صغير ، حيث قضى الكبار الليل ، مضت الرحلة على ما يرام (٢) في اليوم التالى لم يعد متبقيا الا حوالى

---

(١) وردت بالنص rudimentale massicciata ، وكلمة massicciata وهى اسم مؤنث .s.f واقل استعمالا منها massiciato وهى اسم مذكر .S.M هى طبقة من مادة حجرية تكون جزءا من اجزاء رصيف الشارع (تعبيد الطرقـــات). stato di materiale, lapideo facente parte della sovrastruttura di una strada.

ويقابلها فى مصر بالعامية (الدبش)

(٢) وردت بالنص a gonfie vele ومعناها المباشر ان الرحلة مضت باشرعة منتفخة ، والمقصود بها أنها تستقبل الروح بأكملها ، وهو معنى مجازى مؤداه التقدم فى أمان ودون معوقات con sicurezza e senza intoppi.

ثلاثين كيلو مترا ، لكن عشرون منها ، كما سبق القول كانت تجبرهم على اجتيازها بخطوات بطيئة متعثرة ، بسبب عدم تمام تعبيد الطريق

واصل كبار الشخصيات رحلتهم من « باسوتيرنى » فى السادسة صباحا ليستمتعوا بأكثر الساعات اعتدالا كان الجميع معتدلى المزاج برغم أن المنطقة التى يعبرونها كانت خربة بشكل خاص (١) خربة ، فهى سهل تحرقه الشمس وتقطعه هنا وهناك العديد من أحداب الأرض الحمراء ، ذات أشكال غريبة ، ترتفع من ١٠ الى ٢٠ مترا تقريبا نادرة هى الأشجار وأكثر ندرة هى البيوت من آن لآخر كانوا يصادفون أكواخا صغيرة كانت فيما قبل تؤى العمال القائمين بالعمل

حوالى ساعة من الركض السريع (٢) حملت المسافرين الى نقطة كان الطريق فيها ، غير المكتمل ، قد أصبح غير معبد وأقل صلابة فى الرصف وأكثر ضيقا

كان فى الانتظار عمال كثيرون أقاموا بعروق خشبية قوس نصر سميك مزينا بالأغصان وقطع من القماش الأحمر

اضطرت الجياد أن تسير (٣) بخطوات بطيئة جدا وبدأت العربات فى الترنح مصدرة صريرا بالرغم من تكوينها المتين • كان الجو حارا جدا وكانت الأبخرة الرطبة معلقة فى هذا الجو الساكن كان المنظر الطبيعى يقل جاذبية باستمرار ، فحتى الأفق ، ومن كل الجوانب أرض تميل الى الاحمرار وممتدة ذات نبت قليل مكدود •

أفتر نعاس لا يغلب الأحاديث الدائرة فى العربات فقط الكونت « مورتيمير » كان يبدو قلقا وينظر أمامه فى اصرار الى الطريق الذى يزداد صعوبة من متر لمتر

عند نقطة ما توقفت العربة الثالثة وهى تترنح ، فقد انغرزت احدى

---

(١) وردت بالنص particoralmente وتترجم اما (١) جانبيا (٢) مميزا أو (بشكل خاص) وانما الصعوبة تكمن فى تطويع هذه الكلمة داخل سياق الجملة العربية بحيث يبدو مستقيما

(٢) وردت بالنص buono ومعناها المباشر (طيب) وقد ترجمت هنا بـ (السريع) لأنها تعنى ذلك

(٣) وردت بالنص I cavalli furono costretti a un passo أى (اضطرت الجياد على خطوة) وقد لزم أن نضيف للجملة فعل لدى ترجمتها كفعل (قام أو (جرى) أو (سار) وهو ما اختير للترجمة بأعلى

العجلات فى حفرة وانتهى بها الأمر الى أن تهشمت من جراء المحاولات المتكررة لتخليصها فاضطر مدير الاحتفالات وزوجه والسكرتير والطبيب أن يجدوا لهم مكانا فى العربات الأخرى ٠

كان ذلك التقدم الشاق مستمرا منذ ساعتين (وعلى هذا كان المفروض ألا تبعد « سان بييرو » أكثر من عشرة كيلو مترات) عندما توقفت العربة الأولى هى الأخرى بعد سلسلة من الهزات المروعة لم يكن الحوذى الناعس قد أدرك فى الوقت الملائم ان طبقة الطريق الحجرية قد انتهت(١) فجأة ، تاركة المكان لأرض حجرية مقوضة ، سقط جواد بطريقة سيئة وبالكاد لم تنقلب العربة ٠

نزل الجميع الى الأرض وظلوا مبهوتين وهم يلاحظون أن كل ما يدل على طريق قد اختفى عند تلك النقطة ٠ على بعد خطوات لم يكن هناك ادنى أثر للعمل بصوت مكتوم من الغيظ نادى الكونت « مورتيمير » على « ماتزارولى » المسئول عن المشروع ٠ غير أن « ماتزارولى » لم يظهر له أثر لقد اختفى بطريقة غامضة ٠

لعدة دقائق أصابهم جميعا الشلل من جراء خوف غامض ثم لما وجد « مورتيمير » أنه لم يتم العثور على « ماتزارولى » ، وانه لا طائل من الاستمرار فى ادانة وقاحته ، فقد بعث واحدا من الحراس الى كوخ صغير للغاية ، كان يلوح على بعد حوالى مائة متر ، كانه محشور تقريبا عند قاعدة صخرية كبيرة كان يسكن الكوخ عجوز اقتيد الى حضرة « مورتيمير » ٠

قال العجوز انه ، فيما يتعلق بالطريق لا يعرف عنه شيئا ، وان « سان بييرو » ، التى لم يذهب اليها منذ أكثر من عشرين عاما ، تبعد ساعتين من السير السريع(٢) ، وان عليهم أن يجتازوا مسطحا صخريا

---

(١) وردت بالنص cessava وهو تصريف لفعل cessare فى زمن الماضى ولكنه فى حالة خاصة imperfetto storico اذ أن الماضى الناقص لفعل يدل على حدث مستمر فى الماضى ولكن توقف طبقة الطريق الحجرية هنا كان باتا وكاملا ولم يدم ولم يستمر وهذا ما يعنيه l'imperfetto storico وقد ترجمت باعلى على هذا الأساس ٠

(٢) وردت بالنص di buon cammino وقد وضعت كلمة السريع بدلا من كلمة buon التى تعنى (طيب) فى الأساس ، وهذه هى ثانى مرة تستبدل فيها كلمة buon فى هذه القصة ٠

ومرتفعا بعض الشيء ، كان يظهر فى النهاية هناك ، ثم عليهم أن يدوروا حول مستنقع واضاف أن المنطقة تكاد تكون غير مأهولة كلية ولذلك فانه لا توجد أية مدقات

كان خبرا فظيعا حتى أن الجميع بما فيهم « مورتيمير » ظلوا مبهوتين فان توقف العمل فى الطريق فجأة وعدم نقل أى حجر من مكانه وبعد هذه النقطة لم يكن له أى تفسير يبرره مهما كان جريئا على كل حال ظهرت بعد قليل ملامح أكثر الحلول منطقية لم يبق الا أن يعودوا أدراجهم وان يتكتموا بكل استطاعتهم الفضيحة الفظيعة وان يعاقبوا المسئولين

وعلى الرغم من ذلك وأمام اندهاش الجميـــع أعلن الكونت « مورتيمير » بصوت عال نيته الراسخة فى الاستمرار على الأقدام حيث انه لا يجيد ركوب الخيل فى « سان بيبرو » كانت الجماهير تنتظره ، أناس فقراء ، قد تكفلوا بمصروفات جنونية ليجهزوا له استقبالات مناسبة فليعد الآخرون أدراجهم أما بالنسبة له فان هنـــاك واجبا محددا عليه تنفيذه ٠

باءت محاولات أثنائه عن عزمه بالفشل كان النهار قد انتصف تقريبا عندما أحست كبار الشخصيات بأنها ملتزمة أخلاقيا أن تتبـــع الوزير فاستأنفوا الرحلة مترجلين ، يسبقهم الحراس على الجياد التى تحمل مؤن الطعام المتبقية ٠ فقط عادت السيدتان الى العاصمة فى عربة ٠

فوق الأرض القاحلة التى أتت عليها الشمس والقرون دون ظل أو خضرة ، كان القيظ مخيفا كانت المجموعة الصغيرة تتقدم فى بطء مؤلم ان أحذية المناسبات الرقيقة لم تكن ملائمة لتلـــك الأرض غير الممهدة ولم يكن أحد ليجسر على أن يخلع الأزياء الرسمية المزعجة والمحشوة ، والمكسوة بالنياشين ، وهم يرون أن « مورتيمير » يتقدم فى جلد دون أن تظهر منه أدنى علامة تنم عن الانزعاج

كان السير مستمرا منذ أقل من نصف الساعة بقليل عندما أبلغ قائد الحرس الوزير أن جياد الحرس دونما أى سبب واضح ، ترفض الاستمرار فى السير كانت تفضل عذاب المهماز عن أن تتقدم ولو حتى خطوة واحدة للأمام

هذه المرة انفلت جماح غضب « مورتيمير » ولكى يضع حــدا للمناقشات ، فقد أمر بأن يعود الحراس أدراجهم وحدهم ، عدا أربعة كان عليهم أن يصاحبوا مجموعة القيادة

فى حوالى الثانية بعد الظهر وصلوا الى كوخ متواضع كان أحد الفلاحين قد نجح ، ومن يدرى كيف ، فى أن يستصلح قطعة صغيرة من الأرض وان يربى بعض الماعز أشبع لبنها المسافرين المنهارين الظمآنين . لكن السلوى لم تستمر طويلا لأن الفلاح أكد أن المترجــل القوى لن يستطيع أن يستنفد أقل من أربع ساعات ليصل الى « سان بييرو »

ان انقطاع الطريق بشكل غير مفهوم وانعدام المدقات وكآبــة المنطقة و « سان بييرو » التى كانت تبدو أكثر بعدا كلما تقدموا كل ذلك قذف بزملاء « مورتيمير » فى حالة من الجزع لقد أحاطوا بالوزير مناشدين اياه أن يكف عن المشروع لقد آن الأوان للخروج من ذلك الكابوس كان سهلا جدا أن يتوهوا فى تلك الصحراء ، ومن ذا الذى كان يقف لنجدتهم ، بعد أن يتوهوا فى أرض الجحيم ؟ بلا شك ثمة لعنة كانت تحيق بهم فليهربوا اذن فليهربوا ودون مضيعة لمزيد من الوقت

أعلن الكونت « مورتيمير » عندئذ أنه سوف يستمر وحده ، لمعت عيناه لمعان قرار بلا رجعة وبعد أن أعد لفافة من الطعام وزجاجة مليئة بالماء ، خرج من الكوخ متجها بخطوات واسعة نحو المسطح الصخرى من فوقه ، كما قال الفلاح ، سوف تظهر واضحة أبراج وأجراس « سان بييرو » ! مضت دقائق دون أن يتنفس الآخرون ، ثم تحرك اثنان فقط ، ليصحبا الوزير السكرتير « فاسكوديتوى » والدكتور « اتيزى » كانوا يتوقعون أن فى استطاعتهم الوصول الى الهدف قبل أن يحل المساء .

تقدم الثلاثة فى صمت بأقدام مكدودة طوال مسافة الأراضى الجدباء والمليئة بالأحجار تحت شمس لا ترحم استمروا ساعتين الى أن حلوا على قمة المسطح الصخرى لكنهم لم يستطيعوا أن يتبينوا « سان بييرو » ، أبخرة كثيرة كانت تخيم فوق الأرض

كانوا يسيرون الواحد خلف الآخر ، علي هدي بوصلة صغيرة كان

« مورتيمير » يحملها معلقة بسلسلة الساعة اجتازوا المسطح ، وجدوا اراضى أخرى جامدة ومسطحات من الحصى والشمس لا تهادن

بلا جدوى انتظروا بشغف أن يروا بين الضباب شبح أى برج يظهر وكان واضحا أنهم يلفون حول أنفسهم الى ما لا نهاية أو أنهم حسبوا سرعة سيرهم بتفاؤل مبالغ فيه ، لم يعد يبقى الكثير على كل حال

كان الغروب يقترب عندما ظهر عجوز يمتطى ظهر أتان قادما فى مواجهة الثلاثة قال انه آت من كوخه ، الواقع على مقربة من الناحية ، وهو فى سبيله للتسوق من « باسوتيرنى »

سأله « مورتيمير » « هل « سان بييرو » مازالت بعيدة جدا ! »

« « سان بييرو » ، البلدة ، بالله عليك ، انك تعرفها جيدا ، أليس كذلك ؟ »

« سان بييرو » ؟ كررها العجوز وكأنه يحادث نفسه ثم أضاف « لا ، لا يبدو لى أن الاسم جديد تماما بالنسبة لى ، يا سيدى نعم ، يبدو لى أننى أتذكر الآن (ثم أضاف بعد فترة صمت) نعم ، كان والدى يحدثنى من آن لآخر عن مدينة فى تلك الناحية (وأشار باصبعه الى الأفق) مدينة كبيرة لها مثل هذا الاسم « سان بييرو » أو « سان بيدرو » ربما ولكننى فى الحقيقة ، لم أصدق ذلك قط

وابتعد العجوز بالأتان خلف أكتافهم جلس الثلاثة فوق بعض الأحجار لم يجسر أحدهم على أن يكون البادىء بالكلام وهكذا تركوا الليل يحل ٠

أخيرا تكلم « مورتيمير » فى الظلام

« حسن يا صديقى لقد ضحيتما لمدى بعيد من أجلى بمجرد أن يبزغ النور سوف تأخذان أنتما الاثنا طريق العودة أما أنا فسأستمر فى السير للأمام الآن سوف أصل متأخرا ، أعلم ذلك لكنى لا أريد أن يكون هؤلاء الذين هناك فى « سان بييرو » قد انتظرونى سدى لقد أنفقوا كثيرا ليحتفوا بى ، يالهم من مساكين »

روى « ديتوى » و « أتيزى » فيما بعد أنه فى الصباح حملت ريح فجائية كل ضباب السهل بعيدا ، دون أن تظهر مع ذلك ديار « سان

بيرو » واصم « مورتيمر » أذنيه لكل توسلاتهما وأراد « مورتيمر » أن يستمر وحده فى رحلة الافتتاح نحو الأفق الحاوى ، خلال الصحراء الجرداء التى كانت تبدو وكأنها تمضى الى اللانهاية

رأياه يتقدم بخطوات بطيئة ولكن ثابتة بين الأحجار الجدباء الى أن اختفى عن أنظارهما مرتين أو ثلاث مرات بدا لهما أنهما رأيا بريقا خاطفا بريق الشمس على أزرة زيه العالى

١٤ ـ القطار السريع

« هل ستأخذ ذاك القطار ؟ » « هو ذاك (١) » كان الجرار مريعا تحت المظلة الملأى بالدخان(٢) كان كثور(٣) هائج يدق الأرض من فرط(٤) اشتياقه للانطلاق(٥)

---

(١) وردت العبارة بالنص هكذا « ذاك Quella » وقد اضيف الضمير (هو) بالترجمة على اعتبار أنه مستتر بالنص

(٢) وردت العبارة بالنص هكذا sotto la tettoia fumigosa وكلمة tettoia تعنى سقيفة أو مظلة المحطة وكلمة fumigosa تعنى المدخنة (بتشديد الخاء وفتحها) أو التى عليها آثار الدخان وقد اختيرت عبارة الملأى بالدخان حتى تعطى الأثر نفسه الوارد بالنص

(٣) وردت بالنص sembrava un toro ومعناها كان يبدو ثورا دون استخدام لأداة التشبيه come (ك) أو (مثل) ولكن لا تستقيم الجملة بالعربية الا باضافة أداة التشبيه وتكون الجملة العربية طبقا لهذا كان يبدو كثور هائج وقد استغنى عن الفعل (بدا) والا فلتصبح الترجمة هكذا (بدا ثور هائج)

(٤) وردت بالنص per la smania ويمكن ترجمتها من اشتياقه أو من الاشتياق وقد أضيفت كلمة من فرط حتى تعطى الروح العربية من جهه ومن جهة أخرى للتعبير بدقة عن حالة الاشتياق المقصود

(٥) وردت بالنص di partire أى للرحيل والمقصود هنا الانطلاق تمشيا مع سياق القصة .

« هل سترحل بهذا القطار ؟ » هكذا كانوا يسألوننى بالفعل كان يثير الخوف ، فلقد كان بخار الماء جبارا فى اندفاعه وهو يتسرب من الفتحات مصدرا فحيحا أجبتهم « بهذا »

« والى أين ؟ » ذكرت الاسم ولم أكن قد تفوهت به مطلقا ، بسبب نوع من الحرص ، حتى فى حديثى مع الأصدقاء انه الاسم العظيم الأكبر ، الوجهة الأسطورية لا تواتينى الشجاعة أن أكتبه هنا

عندئذ نظروا الى بعضهم بطريقة والآخرون بأخرى بغضب لقلة حيائى بسخرية لجنونى وبشفقة لأوهامى ضحك بعضهم بقفزة صعدت عربة القطار فتحت نافذة ، بحثت فى الزحام عن وجوه صديقة • ما من كلب

هيا اذن ، أيها القطار لا ينبغى أن نضيع ولو دقيقة ، أجر ، ارمح أيها السائق أرجوك لا تكن بخيلا بالفحم اعط نفسا للآلة العملاقة تعالت نفحات منبعثة باندفاع اهتزت العربات أعمدة الرصيف تحركت فى البداية ببطء ، الواحد تلو الآخر مرت أمامى ثم بيوت مصانع فناطيس سقوف منازل مداخن مداخل بيوت أشجار مزارع بيوت تران – تران تران – تران المراعى الريف السحب الرحالة فى السماء الرحبة (١) ! هيا ، أيها السائق ، بكل قوة البخار

يا الهى لكم كان يجرى ، بهذه السرعة سوف يكفينا وقت قصير ، هكذا حدا بى التفكير(١) ، كى نصل الى المحطة (١) ثم المحطة (٢) ، ثم المحطة (٣) ثم المحطة (٤) ثم المحطة (٥) وهى الأخيرة(٢) ، وربما تكون الانتصار • وخلال الزجاج باعجاب ، كنت أنظر الى الأسلاك الكهربية

---

(١) فى هذه الفقرة كان الأساس فيها هو اعطاء الجرس والايقاع الذى يميز ذلك القطار وحرصا على ابراز ذلك فقد اكتفى بكلمة فناطيس بدلا من ذكر فناطيس الغاز gasometri الواردة بالنص وقد جاءت كلمة case اى بيوت مرة ببيوت ومرة بمنازل حتى يعطى تتابع الكلمات التوفيق المطلوب لهذا الغرض

(١) وردت بالنص io pensavo وتترجم ب « كنت افكر انا » فالفاعل هنا هو انا (io) والجملة بدون مفعول لكن الذى ورد بالترجمة « حدا بى التفكير » فالتفكير هنا هو الفاعل و « انا » هنا هى المفعول كما استحدث فعلا وهو « حدا » وربما يكون فى ذلك ما هو انسب بالنسبة للأسلوب العربى دون تغيير لجوهر المعنى

(٢) وردت الارقام بالنص ولم تسبق الا باداة التعريف (ال) دون اعادة لكلمة (محطة) التى اضيفت فى الترجمة

التى كانت تنخفض ، تنخفض الى أن تقوم بانقضاضة ، تاك ، لترتفع من جديد الى وضعها الأول ، هذا بسبب العمود التالى وكان الايقاع يزداد سرعة باستمرار لكن أمامى على الأريكة المغطاة بالقطيفة الحمراء يجلس سيدان فى سيمتيهما تعود على القطارات ، كانا يستطلعان الساعة باستمرار ويهزان رأسيهما وهما يتضجران

عندئذ استجمعت شجاعتى (١) ، وأنا شخص على قدر من التوجس ، وتوجهت بالسؤال « أرجو ألا أكون فضوليا ، يا سيدى » ، لماذا تهزان رأسيكما هكذا ؟ »

فأجابنى أكبرهما سنا قائلا « نهز رأسينا لأن هذا القطار اللعين لا يسير كما ينبغى بهذه السرعة (٢) سوف نصل بتأخير مريع » ·

لم أقل أنا شيئا انما كان التفكير يراودنى « متذمرون دائما هم البشر ان هذا القطار يثير الحماس بقوته ومكابرته يبدو نمرا ، ان هذا القطار يجرى ربما كما لم يفلح أبدا أى قطار آخر أن يجرى ، لكن ها هم ، المسافرون الأزليون المتشاكون فى تلك الأثناء كانت الحقول تفر باندفاع عجيب من جانب ومن آخر وكان البعد وراء أكتافنا كالمارد يصير

بالفعل جاءت المحطة رقم (١) قبل ما كنت أتوقع استطلعت ساعتى وصلنا فى الموعد تماما هنا ، وفقا للبرنامج ، على أن أقابل المهندس « موفين » لصفقة هامة جدا نزلت فى عجلـــة هرولت كاتفاقنا ، الى مطعم الدرجة الأولى ، وهناك بالفعل كان «موفين» الذى انتهى لتوه من تناول الطعام

حييته ، جلست ، لكنه لم يشر بأقل القليل لصفقتنا ، كان يتحدث عن الجو وعن أشياء أخرى قليلة الأهمية كما لو كان أمامه فراغ كبير متاح · عشر دقائق كاملة (٣) قد لزمت (وكان متبقيا بالكاد ٧ دقائق على

---

(١) وردت بالنص presi il coraggio a due mani والترجمة المباشرة لهذه الجملة هى (امسكت الشجاعة بيدك) وقد وضع فى الترجمة التعبير العربى الشهير (استجمعت شجاعتى)

(٢) وردت بالنص il passo وهى (الخطوة) ولعل المقصود هو (السرعة البطيئة)

(٣) وردت بالنص buoni أى طيبة والمقصود هنا هى صفة (الكاملة) أو (الطويلة) وهذه ثالث مرة تجىء كلمة buoni فى هذا النص بمعنى مخالف لكلمة (طيب)

الرحيل) حتى يقرر أن يخرج من الحقيبة الجلدية الملفات المطلوبة(١) لكنه لاحظ أننى أنظر الى الساعة

« العلك متعجل ، أيها الشاب ؟ » هكذا سألنى بطريقة لا تخلو من سخرية وأضاف « لا يروق لى ، كى أكون صريحا ، ان أناقش الصفقات والسيف مسلط على رقبتى(٢) »

جسرت أن أقول « لك كل الحق ، يا سيدى المهندس المحترم لكن قطارى سوف يرحل بعد قليل و » .

فقال وهو يجمع أوراقه بحركة عنيفة بيديه « مادام الأمـــر كذلك(٣) ، فاننى متألم متألم جدا ولكننا سوف نتكلم ، لو أمكن عندما تكون ، يا سيدى العزيز ، على راحتك أكثر » ونهض

تلعثمت قائلا « اعذرنى ان الذنب مع ذلك ليس ذنبى ، تعرف سيادتك أن القطار »

فقال ضاحكا فى تعال « لا يهم ، لا يهم »

أدركت بالكاد قطارى الذى كان قد استأنف التحرك ببطء . راودنى التفكير « صبرا فلنؤجل ذلك لمرة أخرى(٤) ان ما يمهنى هو ألا يفوتنى القطار »(٥)

---

(١) وردت بالنص necessari أى الضرورية والمقصـود هنا هو صـفة (الضرورية) للصفقة فالضرورة فى هذا المقام « نسبية » وليست « مطلقة » ، ومن هنا اخترت كلمة (المطلوبة)

(٢) وردت بالنص con l'acqua in gola وهو تعبير espressione معناه المباشر (بالماء فى حلقه) وهو ينطوى على العجلة والاجبار ولعل التعبير العربى المستخدم فى الترجمة اقرب ما يكون روحا له

(٣) وردت بالنص quando è così اى عندما يكون كذلك وعنـدما quando يمكن التعبير عنها هنا ب (مادام) فتصبح العبارة هكذا (مادام الأمر كذلك) على اعتبار أن كلمة (الأمر) او (الحالة il caso) مستترة فى النص

(٤) وردت بالنص sarà per un'altra volta والمعنى المباشر هو (أن سيكون ذلك فى مرة أخرى) وهى تحمل معنى الأسف والآسى والحسرة وفى الوقت نفسه التخفيف عن النفس حيال ما جرى وربما تكون العبارة العربية (فلنؤجل ذلك لمرة أخرى) فيها ذلك اذا ما راعينا سياق الأحداث واذا ما أغفلنا التعبير العامى (الواردات أكثر من الرائحات او (أمامنا مازالت مرات عديدة)

(٥) وردت بالنص la corsa ومعناها (السباق) أو (الرحلة) وبالعربية ربما كلمة القطار هى الأفضل

طرنا عبر الحقول وكانت أسلاك البرق ترقـــص لأعلى ولأسفل بقفزاتها تلك كمريض الصرع ولاحت مراع بلا حدود ، والبيوت فى تناقص مستمر ، ذلك لأننا كنا نتوغل فى أراضى الشمال التى تنفرج كالمروحة نحو العزلة والغموض

لم يعد السيدان السابقان موجودين فى ديوانى كان يجلس راع بروتستانتى له مظهر وديع وكان يســـل ومراع(١) وغابـــات ومستنقعات ، بينما كان البعد خلفنا يتضخم ، بقوة الندم يتضخم(٢)

فجأة وحيث اننى لم أكن أعرف ماذا أفعل ، نظرت فى الساعة وفى الحال فعل الراعى البروتستانتى نفس الشىء أيضـا بين سعلة واخرى ، وهز رأسه لكننى هذه المرة لم أسأل عن السبب ، للأسف كنت أعرف السبب كانت الساعة ١٦ر٣٥ وكان المفروض منذ ربع الساعة أن نصل الى المحطة (٢) التى لم تلمح حتى فى الأفق

كان المفروض أن تنتظرنى « روزانا » فى المحطة (٢) عندما وصل القطار كان هناك أناس كثيرون على الرصيف أما « روزانا » فلم تكن هناك لقد وصلنا متأخرين نصف ساعة قفزت الى الأرض عبرت المحطة ، وأنا أطل على الميدان وعندئذ فى نهاية الطريق بعيدا جدا تبينت « روزانا » ، التى كانت ماضية فى انحناءة خفيفة

فناديتها بكل صوتى « « روزانا » ، « روزانا » ! » ولكن حبى كان قد صار بعيدا لم تلتفت ولو حتى مرة واحدة ، وأنا أريد أن أعلم فى حدود مقدرة الانسان(٣) أتكلم أكان فى امكانى أن أجرى وراءها أكان فى امكانى أن أترك القطار وكل شىء ؟

(١) لم يأت أى فعل فى هذه الجملة ولكنها بدأت بحرف الـ (E) وهو (الواو) فى العربية اذ كان يمكن أن نضع فعلا بحيث يعبر عن فكرة الكاتب فى الفجائية التى ظهرت بها المراعى والغابات كفعل (بدا) مثلا ولكن الأفضل أن تترك الجملة هكـذا مبتدئة بحرف (الواو)

(٢) وردت بالنص la lontananza si gonfia con la potenza di un rimonso ومعناها أن البعد ينتفخ أو يتضخم بقوة تأنيب ذاتى أو ندم ما وهنا نلمس حالة الكاتب النفسـية بوضـوح ومن هنا كذلك تأتى صـعوبة الترجمة ولذلك فقد لجأنا الى الترجمة الموجودة بأعلى

(٣) وردت بالنص umanamente وهى تعنى العبارة الواردة بالترجمة بأعلى ولا مناص من كتابتها بكلماتها الأربعة اذ أنه من العسير أن نذكر كلمة (انسانيا) أو (بطريقة انسانية) أو (بشكل انسانى) لأن هذه التعبيرات العربية لها من الشـمول والعمومية الكثير

اختفت « روزانا » فى نهاية الطريق ، بتضحية أخرى صعدت أنا القطار السريع وهيا عبر السهول الشـــمالية ، نحو ما يســـميه البشر بالمصير وما أهمية الحب فى النهاية ؟

سرنا بعد ذلك أياما وأياما ، كانت الأسلاك الكهربائية بجوار القضبان الحديدية تؤدى رقصتها العصابية ، ولكن لماذا لم يعد لدوى العجـــلات تلك(١) القوة الدافعة الجميلة الأولى ؟ لماذا كانت الأشجار فى الأفـق تتوارى متثاقلة بدلا من أن تنطلق بعيدا كأرانب برية أخذتها المفاجأة ؟

كان هناك بالكاد حوالى عشرون شخصا فى المحطة رقم (٣) لم ألمح اللجنة التى كان مفروضا أن تأتى للاحتفاء بى

استفسرت على الرصيف سائلا « ألم تأت هنا لجنة كذا وكذا رجال ونساء بصحبتهم فرقة موسيقية وأعلاما ؟ » .

« نعم نعم حضرت انتظرت فترة طويلة ، أيضـا ثم فاض كيلها(٢) وانصرفت » .

« متى ؟ » .

فأتتنى الاجابة « منذ ثلاثة أو أربعة أشهر تقريبا » فى تلك الأثناء دوت صفارة طويلة لأن القطار كان يستأنف الرحيل تشجع اذن ، فى السير كان القطار السريع يلهث بكل القوى المتاحة ، طبعا لم تعد رمحته القاهرة الأولى هل هو عيب الفحم ؟ هل هو اختلاف الهواء ؟ هل هو البرد ؟ هل السائق متعب ؟ والبعد خلفنا كان هاوية تصيب من ينظر اليها بالدوار

كنت أعرف ، أن والدتى لا بد أن تكون فى انتظارى فى المحطة رقم (٤) لكن عندما توقف القطار كانت الأرصــفة خـــاوية والجليد يتساقط

نظرت طويلا من النافذة ، نظرت حولى وشرعت فى أن أغلقها يائسا ، عندما نجحت فى أن أراها منزوية على اريكة ، فى صالة الانتظـــار ،

---

(١) لم يرد ذكر اسم الاشارة (تلك) فى النص quella وقد وضعت بدلا منها اداة التعريف ال (il)

(٢) وردت بالنص ne ha avuto abbastanza ومعناها المباشر (نالت الكفاية) ولكن التعبير العربى (فاض الكيل) هو خير معبر عن الموقف

منذثرة كلها فى شال وكانت نائمة لا حول الله(١) لكم أصبحت ضئيلة الجسم(٢)

قفزت من القطار وجريت لأحتضنها ، عندما ضممتها لاحظت أنها لم تعد تزن شيئا تقريبا كومة هزيلة من العظام وأحسست بها ترتعش من البرد

« قولى لى ، هل تنتظرينني منذ وقت طويل ؟ »

« لا ، لا يا بنى » وكانت تضحك سعيدة ثم قالت « لم يكمل انتظارى أربع سنوات »

وبينما كانت تقول ذلك لم تكن تنظر الى لكنها كانت تحملق فى الأرض من حولنا ، كما لو كانت تبحث عن شيء ما

« أمى ، عم تبحثين ؟ » ·

« لا شيء لكن أين حقائبك ؟ هـل تركتهـا على الرصيف بالخارج ؟ »

قلت « انها فى القطار » ·

« فى القطار ؟ » وانسدل ظل من كآبة كخمار على جبهتها ثم قالت « ألم تنزلها بعد ؟ »

« لكنى » ولم أكن لأدرى ما أقول لها بالضبط

« أتريد أن تقول أنك سوف ترحل لتوك ؟ انك لن تمـكث ولو ليوم ؟ »

سكتت ، متأسية ، وكانت تنظر الى ·

فتنهدت قائلا « حسنا ! سوف أترك القطار يرحل · سوف أجرى

---

(١) وردت بالنص misericordia ويمكن ان تترجم ب (الشفقة) أو (الرحمة) والتعبير العربى الموجود بالترجمة (لا حول الله) يعبر عن المطلوب فى هذا المقام ، وعلى كل الأحوال هو ترجمة كذلك لواحد من المعانى الكثيرة التى يمكن ان يتضمنها التعبير الايطالى oh Dio انظر ص ٤ ملحوظة (١)

(٢) وردت بالنص piccola وتترجم ب (قليل) أو (صغير) أو (ضئيل) نسبة الى استعمالها فى الجملة وقد كان من المحتم اضافة كلمة (الجسم) حتى يكتمل المعنى المراد ·

لآن لآتى بالحقائب لقد قررت سوف ابقى هنا معك فانك بعد كل شيء انتظرتنى أربع سنوات

من جديد ، بفعل كلماتي هذه ، تغير وجه أمى عـــاد المرح والابتسامة (لكنها(١) لم تعد تشع نورا كذى قبل)

توسلت « لا ، لا تذهب لاحضار الحقائب ، لقد أسأت التعبير ، كنت أمزح ، هه (٢) اننى أفهمك انك لا تستطيع أن تمكث فى هذا البلد البائس من أجلى فان الأمر لا يستحق من أجلى لا ينبغى أن تضيع ولو ساعة من الأفضـــل جدا أن ترحل فورا تماما انه واجبك كنت أرغب فى شيء واحد ان أراك ثانية وقد رأيتك ، وأنا الآن سعيدة »

ناديت « حمال ، حمال ! (ظهر فورا أحد الحمالين) هناك ثلاث حقائب أنزلها ! »

أعادت أمى « أية حقائب ، ان فرصة كهذه لن تعود أبدا انك شاب ، وعليك أن تشق طريقك . بسرعة أصعد لعربة القطار ، اذهب ، اذهب » وكانت تدفعنى بوهن نحو القطار وهى تبتسم بجهد عظيم ثم قالت « أرجوك أسرع ، انهم يغلقون الأبواب »

لا أعرف كيف ، بكل أنانيتى وجدت نفسى فى الديوان وكنت أطل من النافذة المفتوحة أشير بالتحيات الأخيرة

ومع هروب القطار أصبحت هى بسرعة فائقة أصغر مما كانت بالفعل ، شكلا رهيفا حزينا وثابتا فوق الرصيف الخاوى ، تحت الجليد الذى كان يتساقط ثم أصبحت نقطة سوداء بلا وجه ، نملة صغيرة فى رحاب الكون ، وحالا تلاشت فى اللاشيء وداعا

بتأخير سنوات وسنوات مكدســـة ، ها نحن فى رحلتنا من جديد ولكن الى أين ؟ يهبط المساء ، العربات باردة كالثلج ، لم يبق أحد تقريبا

---

(١) وردت بالنص il quale pero اى (التى لكن) او (التى مع ذلك) او (التى انما) وكلمة (لكنها) تحوى حرف (لكن) وكذلك ضمير النصب المتصل (الهاء) العائد على الابتسامة وبذلك يكون هو تماما المعنى المطلوب

(٢) وردت بالنص sai اى (تعلم) والمقصود بها هنا التوكيد مع الترغيب والاقناع وقد فضلنا أن يترجم ذلك الفعل بما يحل محله من تعبير عربى غالبا ما ياتى فى الحوار فى مثل هذا المقام

هنا وهناك في أركان الدواوين المظلمة يجلس مجهولون ذوو وجوه شاحبة جامدة وهم يشعرون بالبرد ولايقولون •

الى أين ؟ كم تبعد المحطة الأخيرة ؟ ألن نصل اليها أبدا ؟ أكانت تستحقّ ألم الهروب بعجلة كبيرة من الأماكن ومن الأشخاص المحبوبين ؟ أين ، أين وضعت سجائري ؟ آه هنا في جيب السترة • بالتأكيد ان العودة للخلف ليست في الامكان •

هنا اذن ، يا سيدي سائق القطار أي وجه لك ، ما هو اسمك ؟ انني لا أعرفك ولم أرك أبدا الويل لو لم تساعدني تجلد أيها السائق الجميل القي في النار بالفحم الأخير ، أجعله يطير بصريره هذا الكوخ القديم ، أرجوك ادفعه لأقصى سرعة(١) ، حتى يشابه بعض الشيء على الأقل الجرار الذي كان من قبل ، أتذكر ؟ اجر في الليل بسرعة البرق(٢) فبالله عليك لا تتراخ لا تتراخ لا تجعلن النعاس يأخذك فلربما سوف نصل غدا •

---

(١) وردت بالنص a precipizio ومعناها عجلة غير طبيعية او استثنائية وقد استعمل في الترجمة تعبير عربي معروف عن السرعة

(٢) وردت بالنص a rotta di collo وهو تعبير معناه كسر الرقبة وهو كناية عن أقصى سرعة في هذا المقام

١٥ ـ المدينة الخاصة

من هذه المدينة التى لا يعرفها أحد منكم أبعث بأنبـــاء ، لكنها لا تكفى أبدا ربما يعرف كل منكم بلدانا أخرى أو يتردد عليها ، غير أن أحدا سواى لن يستطيع أن يسكن أبدا فى هذه التى عنها أتحدث من هنا تماما الفائدة الوحيدة والتى لا مراء فيها لهذه المعلومات ، لأن هذه المدينة موجودة ، ويستطيع واحد فقط أن يعطى عنها أنباء محددة كذلك لا يستطيع أحد أن يقول بنزاهة وما شأنى أنا ؟ يكفى أن يوجد شىء ما ، وان كان صغيرا ، حتى يجبر العالم على أن يضعه فى حسبانه فما بالك أن مدينة كاملة ، كبيرة ، كبيرة جدا ذات أحياء قديمة وحديثة ، تيه لا ينتهى من الشوارع آثار وأطـــلال تضيع فى ليـالى آلاف السنين ، كاتدرائيات مثقبة (١) ، حدائق (وفى وقت الأصيل تتشامخ قمم الجبال المحيطة بها وتبسط ظلها على الميادين التى فيها لعب الأطفال) ، حيث كل حجر كل نافذة كل حانوت يعنى احدى الذكريات ، أحد المشاعر ساعة عاتية من ساعات الحياة !

---

(١) وردت بالنص a filigrana وقد سبق ان جاءت ملحوظة بها فى آخر قصة الكلب الذى رأى الله ص ٩٤ ملحوظة (١)

يكمن كل الأمر وهذا مفهوم في اتقان الوصف فمن طراز مدينتي يوجد في العالم الآلاف ،مئات الآلاف وكثيرا واستطيع أن أسلم بذلك ، ما يسكن هذه المدائن المكدسة واحد فقط ، تماما كما في حالتي الخاصة لكن ما يحدث عامة أن تعد(١) وكأنها لا توجد . كم هم الذين يمكنهم اعطاءنا أخبارا كاملة عنها ؟ قليلون ان الأغلبية لا ينتابها مجرد الشك في أهمية الأسرار التي يشهدونها ، ولا يحلمون بنقلها أو هم يبعثون برسائل طويلة مفعمة بالصفات ولكننا عندما ننتهي من قراءتها نجد أننا نعرف عنها قدر معرفتنا السابقة

أما أنا فمختلف ، نعم واغفروا لي أن كان هـــذا يبدو غرورا مضحكا انها أحيان قليلة ، قليلة جدا ، غير أنني أوفق من آن لآخر وأعترف أن ذلك يتم بجهد كبير ، في أن أنقل فكرة وان كانت غير مؤكدة ومبهمة عن المدينة التي خصني القدر بها من حين لآخر ، من بين وسائلي الكثيرة التي لا تقرأ ولو الى نهايتها ، هناك رسالة تفرض نفسها ويشهد بذلك أن بعض المجموعات السياحية الصغيرة تصل الى البوابات ، مدفوعة بحب الاستطلاع وينادونني حتى أقودهم في جولة وان أقوم بالشرح اللازم

لكني نادرا ما كنت أستطيع ارضاءهم انهم يتكلمون لغة وأنا أتكلم أخرى وينتهي بنا الأمر الى أسلوب الاشارات والابتسامات كي نتفاهم . وفوق ذلك ففي الأحياء الداخلية والتي تثير اهتمامهم أكثر من غيرها فانني لا أستطيع أن أقودهم اطلاقا أنا نفسي لا أملك الشجاعة أن استكشف موجات القصور والمنازل والأكواخ تلك (ترى أيسكنهـــا الملائكة أم الشياطين ؟)

لذلك فاني أقود عامة هؤلاء الزائرين الكرام كي يروا الأشياء الأكثر تقليدية ، كمبنى المجلس البلدي أو الكنيســـة الرئيسية ، أو متحف « كروبي » (وهذا هو اسمه) الى آخره تلك الأشياء التي ليست في الحقيقة على شيء من التميز من هنا احباطهم

لا ينقص هذه المجموعات المتحمسة أبدا موظف ، رجل مسئول مراقب ، مفتش ، مدير مالي ، مأمور أو من شابهه ، أو على الأقل نائب مأمور يسألني على سبيل المثال « استطيع ، يا سيدي ، أن تزودني ببعض المعلومات عن شبكة المجاري ؟ » فأسأله في حرج « لماذا ؟ أتراك

---

(١) لم ترد بالنص كلمة (تعد) ولكنها اضيفت بالترجمة

تشم رائحة ما ؟ » « لا ، بالعكس ، ليس من أجل هذا ، انما هذه المسائل تعنيني » فأقول أنا « فهمت ، على كل حال انني أخشى ألا استطيع ارضاءك أظن أنه يوجد نظام ما للمجاري ، ولكنني لم أعن قط بدراسته » . فيهز السيد نائب المأمور رأسه قائلا « هذا سيء ، هذا سيء » ثم يتمتم في تعال « ينبغي أن تحظى هذه الأمور بالانتباه قل لي ما هو مقدار توزيع الغاز للفرد سنويا يا ترى ؟ » « ما من توزيع » هكذا أقول أنا كيفما اتفق وقد سقطت تماما من عينيه « ما معنى ذلك ؟ » « ما من توزيع ، ما من غاز هنا لا يستخدم » « آه » هكذا يأتي تعليقه ببرود ويعزف عن توجيه أسئلة أخرى

ثم في العادة ، توجد السيدة المثقفة ، التي تقدم بها العمر ، الشغوفة بأن تظهر ثقافتها التاريخية « عفوا أيرجع تأسيس هذه المدينة الى الامبراطورية المتأخرة ؟ مثيرة تلك المعالجة للأعمدة(١) البارزة من الحائط لقد وجدت مثلها تماما في بوابات(٢) طرابيزون(٣) كنت

---

(١) وردت بالنص intressante quel gioco di lesene وكلمة lessene هي الجمع pl. من lesena وهي اسم مؤنث s.f. ومعناها (ارتفاع عمودي لجدار حائطي في وظيفة زخرفية متكررة في الأغلب بطريقة ايقاعية ، او هي طرز من الأعمدة البارزة من الحائط) اما كلمة gioco فهي تعني في الأساس (اللعبة) أو (أدوات اللعب) كما تدخل في اصطلاحات أخرى كثيرة مثل (لعبة السياسة) وتعني كذلك سلاسل وظيفية لأشياء أو لأدوات متساوية serie funzionali di oggetti o strumenti uguali وتعني أيضا (تأثير مصطنع سار أو جميل مؤسس على التباين أو التضاد وعلى الحركة Piacevole effetto artificiale artificiale fondato sul contrasto et sul movimento.

ومن هنا يمكن أن تترجم كلمة (اللعبة) أو (il gioco) اما (بالمعالجة) أو (بالتتابع) او ان نضيف لكلتا الكلمتين البديلتين صفة الـ (جميل)

(٢) وردت بالنص propilei وهو اسم لا يأتي الا في الجمع s.m.pl. (وهو في النظام المعماري القديم باب للدخول به عديد من الزخرفة والأعمدة) والكلمة من أصل يوناني dal greco : prò, avanti e pyle, porta.

(٣) وردت بالنص Trebisonda وتعرف كذلك بـ Trapezunte و Trapezas وهي مدينة قديمة جدا في تركيا الآسيوية وتقع على البحر الأسود وبها ميناء وقلعة وحصون وكثير من المساجد والكنائس اليونانية وكانت قديما واحدة من مدن البحر الشرقي Ponto (ponto, mare) Orientale ومكثت كذلك حتى حرب طروادة la guerra di Troja ولشكلها المربع quadrangolare أخذت اسميها المشار اليهما بعاليه ومعناهما قائمة الزوايا وقد تواترت عليها كثير من الامبراطوريات وقد تكونت دولة صغيرة مستقلة سنة ١٢٦١ سميت امبراطورية طرابزون او هكذا كانت تريد ان تسمي نفسها وفي سنة ١٤٦١ آلت الى الأتراك وتعرف بالعربية اما بـ (طرابيزون) او (طرابزون) وللاستزادة يمكن الرجوع للمراجع الآتية —

تعرف أليس كذلك ؟ » « لكن تعرفين أنا أنظرى كي أكون صريحا » تحول ناظريها لتوها الى حائط قديم عليه آثار أقواس قد سدت ، « آه » تهتف « لذيذ ! حقيقة مثير لأقصى حد انه حقيقة لفي غاية الندرة أن يعثر المرء هكذا على رسم واضح للتطعيم « السويقى(١) » على واجهة لها تلك العلامة الأصلية الشرلمانية(٢) قل لى يا سيدى « الى أية سنة يرجع بالضبط هذا الأثر الفريد ؟ » فأجيب أنا متحيرا فى جهالتى « نعم كل ما أعرفه أنه سور قديم كان موجودا منذ أيام جدى هذا أكيد لكنى بالتحديد لا أعرف »

ثم الأخطر من ذلك أيضا انه توجد الفتاة المتعطشة للتجارب تنظر حولها ثم تدرك لتوها الأشياء الحرجة فى تأهب صاعق وتسأل مشيرة الى شق مشئوم بين بيوت عالية ، سوداء من جراء تقاطر قذر للمياه ، يحتمل أن الآثام تعشش فيه « وذلـــك الطريق ذلك

---

1. Nicomede Bianchi, Volume X p. 172.

٢ ـ دكتور محمد أنيس الدولة العثمانية والشرق العربى (١٥١٤ ـ ١٩١٤ م) مكتبة سيد رأفت القاهرة ١٩٧٧ ص ١١

٣ ـ دائرة معارف القرن العشرين ـ المجلد ٢ ـ محمد فريد وجدى ـ القاهرة ١٩١١ م ص ٥٤٩ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٨ مادة ترك

٤ ـ محمد فؤاد كوبريلى ـ ترجمة د. أحمد السيد سليمان ـ تقديم د. أحمد عزت عبد الكريم ـ قيام الدولة العثمانية ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٧ ص ٥٠

(١) وردت بالنص **Svevo** وهى صفة **agg.** ترجع الى سوفيا **Svevia** وهو اقليم فى جنوب غربى المانيا او نسبة الى الأباطرة المنحدرين من ســلالة « هو هينستاوفن » (della dinastia degli Hohenstaufe) وهى عائلة المانية شــهيرة استمرت مدة طويلة فى حكم الامبراطورية التى أسسها « فريدريك أوستاوفن » الذى ولد سنة ١٠١٥ **Nicomede Bianchi, volume IX pp. 386 : 387.**

(٢) وردت بالنص **Carolingia** وهى صفة مؤنثة **agg. f.** نسبة لعصر شارلمان **(Carlomagno)** ولخلفائه الأوائل وكان شارلمان أو شارل الأول ملكا لفرنسا وامبراطور الغرب **imperatore d'Occidente** ولد سنة ٧٤٢ واعتلى العرش سنة ٧٦٨ ومات سنة ٨١٤ وكان فكره منصبا على توحيد الشعوب التى كانت فى يوم ما تحت حكم الامبراطورية الرومانية وشملت امبراطوريته كل مسيحيى الغرب فيما عدا نصف ايطاليا الجنوبى وانجلترا
نفس المرجع السابق **(Vede Carlo I) volume III p.p. 12 : 14.**

الطريق الفاتن(١) الى أين يقود ؟ الا تريد أن تصحبنى فيه يا سيدى أريد التقاط بعض الصور »

أما أن أصطحبها فيه فذلك ما لا أستطيع الزقاق العابس الذى ينتهى بدرج شديد الانحدار نحو النهر فانى لم أجتزه حتى أنا مطلقا ولا أفكر أن أجرب ذلك أبدا أهو الخوف ؟ ستقولون ٠ ربما

لكننى فى تلك الأثناء أدرك أن الشمس التى كانت خانقة حتى وقت قريب بسبب سطوعها الشديد ، قد اختفت وراء السفوح الوحشية التى تخيم على مقربة من المدينة يهبط المساء ، يا سادتى بكل تبعاته الخاصة ، وتتصعد أذناب الظلال من النهر حيث أحد الفنارات يتأرجح من الريح ما بقى الا القليل على الليل

هنا أخذ السائحون اضطراب قاتم يستطلعون ساعاتهم خلسة يتهامسون فيما بينهم ، واضح اذن أنهم يتعجلون الرحيل ان مدينتى للأسف لا تبعث على السرور تماما عندما يهبط الظلام ويستشعر الأغراب الضجر وأنا كذلك أفقد طمانينتى الجميلة ، وأنا كذلك اشعر بالظلام القريب آتيا من متاهات الأحياء القديمة جاملا لا أدرى أى ثقل مرير ، وأنا كذلك أود لو أرحل

يقول السائحون « لقد تأخرنا للأسف ينبغى أن نرحل شكرا على كل شىء لقد كانت رحلة ممتعة للغاية » انهم فى غاية الشغف للرحيل

« معذرة ، الا يمكن أن آتى معكم أنا أيضا ؟ »

يتظاهر نائب المأمور بأنه يحصى أماكن العربات ثم يكسو وجهه الأسى « هيه لا ، للأسف اننى حقيقة حزين لا يوجد أماكن فى السيارة ، اننا بالفعل كالسردين ، حقيقة ، حقيقة آسف جدا » ٠

« انتظروا أيها الأصدقاء الأعزاء » هكذا أقول أنا آملا فى الا

---

(١) وردت بالنص pittoresca وهى صفة .agg من Pittore اى (رسام) أو (مصور) ، وتعنى

(أ) منظرانى شبيه بصورة رائعة أو جدير بان يكون موضوعا لصورة رائعة

(ب) فاتن أو رائع

(جـ) حى أو حيوى vivace أو مثير للصور الذهنية

وقد وضع فى الترجمة المعنى الأول الوارد فى (ب) حيث انه الرب للسياق

أبقى وحدى ، فانه ليس سهلا ، صدقونى ، أن أقضى ليلة كاملة (والليل طويل) دون أية صحبة وسط مدينة كبيرة حتى وان كانت مدينتى الخاصة مبنية بلحمى وروحى روحى ولحمى » أوه ، انتظروا لا تتعجلوا ، ان الشوارع هنا فى الليل تصبح أكثر أمانا ، والهواء نقى معبأ بالعطر ، انكم لم تتمكنوا بعد من رؤية شىء ، أصبروا ، يا أعزائى انكم كى تعطوا هذا المكان حقه فى الحكم عليه كى ترونه فى منتهى سنائه ، ينبغى أن تشاهدوا الغسق فى الغسق ، يا سادتى ، ينبسط وميض السحابة القادمة(١) التى تنيرها الشمس فى اصرار ، على الأسطح ، على الشرفات ، على القباب ، على المناور ، على أبراج الكنائس القديمـــة (التى فيها توج القياصرة) وعلى النوافذ الزجاجية للمصانع العملاقة وعلى مقصورات الأباطرة ، على قمم أشجار البلوط التى كانت تظلل أحلام « كلوريندا » (٢) هنا ترتفع أدخنة وأصوات بعيدة من أعماق ملتقى الطرقات ويشكل الدوى الهابط للماكينات (بينما الضوء الساكن للقمر يجعل فناء السجن مشابها لاحدى قصص الحوريات) يشـــكل الدوى الهابط « كورس » هائلا و « هارمونى » ، متداخلا مع الأحلام مع آمالنا أوه ، انتظروا »

ولكن هذا غير حقيقى فبكل الصراحة عندما يهبط الليل لا ينبغى أن يتواجد أحد وحده وسط هذه المبانى المخيفة · عندما يحل الظلام بالرغم من ضوء المصابيح البهى يخرج من الأبواب أولئك الذين من الأفضل ألا نلقاهم شخصيات بعيدة أصدقاء أعزاء كنت أحيا معهم من الفجر حتى الغروب بلا انقطاع عارف كل منا الآخر بأدق أفكاره أو صبايا تحت العشرين ، هاتيك اللائى كن يصلن متألقات الى موعد المساء · ولكن ماذا ألم بهم ؟ لماذا لا يلقون على التحية ؟ لماذا لا يرتمون بأذرعهم لعناقى ؟ لماذا يمرون على العكس بجوارى بابتسامة غير محسوسة ؟ أهم غاضبون مم ؟ هل نسوا كل شىء ؟ ·

لا · السنون ، هذا كل ما فى الأمر ! كل ما فى الأمر أنهم لم يعودوا

---

(١) وردت بالنص di turno وترجمتها المباشرة (التى عليها الدور) وقد ترجمت ب (القادمة) توخيا للايجاز الذى ورد بالايطالية ولا سيما انها تؤدى المعنى فى عمومه

(٢) وردت بالنص Clorinda وقد تكون هى Clori الاسم الاغريقى لآلهة الزهور والتى سموها باللاتينية فلورا Flora

نفس المرجع السابق volume III p. 295.

كما كانوا مع الزمن ــ وكم كان ! ــ هم أيضا ، دون أن يدركوا قد تغيروا حتى أحشاءهم الخفية ، وحتى أعماق عقولهم الدفينة من ذلك الزمان لم يبق منهم الا صورة ، الاسم نعم واللقب انهم يمرون بجوار ، صامتات كالأشباح . « سلام يا « أنطونيو » أقول أنا . سلام يا « ريتا » ، سلام يا « جويدا بالدو » ، كيف حالكم ؟ » لا يسمعون ، لا يلتفتون حتى برؤوسهم وتبتعد قرقعة الكعوب »

« لحظة اخرى أرجوكم يا أصدقائى ، يا سادتى الأفاضل يا أصحاب المعالى يا أصحاب السعادة لماذا تهربون سريعا ؟ انكم لم تروا بعد شيئا عما قليل ستضاء المصابيح وتمسى الشوارع مشابهة لصفحات الروايات التى لا أذكر اسمها فى حديقة امارة البحرية ، فى الساعة ٢١ كل مساء عندليب باجازة يشدو سترتكز نساء شاحبات وفاتنات بمرافقهن على سور شاطىء النهر وسينتظرن ربما ينتظرنكم أنتم فى قصر الملك القديم(١) وعلى أضواء الشمعدانات سوف يقيم الأمير احتفالا على شرفكم الا تسمعون آلات الكمان التى تبدأ العزف (٢) ؟ » .

ولكن هذا غير حقيقى فى المدينة الشاسعة التى لا يعرفها ولن يعرفها أبدا أحد منكم فى المدينة المبنية بحياتى ذاتها (حدائق قصور وداعات مستودعات (٣) مستشفيات فصول ربيع معسكرات أقواس أعياد ميلاد (٤) محطات سكك حديد تماثيل غراميات) يا الهى ، كم أنا وحيد يتردد وقع الخطوات فى غموض من بيت لآخر وهو يقول : ماذا تفعل ؟ ماذا تريد ؟ ألا ترى أن كل شىء لا جدوى منه ؟ .

---

(١) وردت بالنص secentesca وهى صفة agg. للقرن السابع عشر لكل ما يتعلق بالشكل الفنى والثقافى والعادات المميزة له وقد تكون ترجمته (السابع عشر) غير مستحسنة فى الأسلوب العربى وسط هذا الجو فى القصة

(٢) وردت بالنص violini che cominciano اى (آلات الفيولينية التى تبدأ) والمقصود انها تبدأ فى العزف ولذلك فقد زيدت كلمة (العزف) فى الترجمة

(٣) وردت الكلمتان بالنص gasometri addii متتابعتان ومعناهما على التوالى وداعات (أى جمع كلمة وداعا) ومستودعات الغاز وقد جاءت المستودعات بعد الوداعات لأن الأولى هى التى تصدم عين الانسان بمجرد أن يخرج القطار من المحطات وبعد أن يكون قد قام بوداع من سيفرقه القطار عنهم

(٤) وردت بالنص Natali وهى جمع Natale اى عيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام وليست أعياد ميلاد شخصية Compleanni

لقد رحلوا   ذابت ومضات الفنارات فى الليل تجاه الصحراء   ألم يعد هناك أحد ؟ يا للأسف ، فان الأشكال الوحيدة للوجود الانسانى التى تهيم على وجهها ليست سوى أشباح، واتمنى أن تكونوا قد أدركتم ذلك، وهناك فى موجات الأحياء المنخفضة ، تتكدس جبال من الظلام الرهيب وتدق احدى الساعات ومن يدرى من أى برج معلنة الثالثة والعشرين

لا   بفضل الله   لست وحيدا تماما   هناك مخلوق يبحث عنى بدمه ولحمه (١)   تروك تروك ها هو ذا يتقدم من آخر شارع ١٨ مايو تحت أشعة المصابيح المشوبة بالاخضرار

انه كلب ذو شعر طويل   أسود   له مظهر وديع مهموم   انه يشبه بشكل غريب « سبارتكوس » ، « سبارتاكوس » ذلك « الكانيش » الذى كنت امتلكه منذ حوالى خمسة عشر عاما   نفس السحنة   ذات الخطوة   عين الوجه الوديع

أيشبهه ؟ بل أكثر من أن يشبهه   انه هـــو « سبارتاكوس » ، بشخصه   رمز حى لأيام (٢) بعيدة تبدو الآن سعيدة

انه يأتى الآن فى قبالتى ، يحملق فى بنظرة الكلاب العميقة الثقيلة ، المليئة بالقلق والعتاب   اننى أتخيله   فبعد قليل   سوف يقفز عـلى بنباحات السعادة

غير أنه   عندما يصير على مسافة مترين   وما أن ابسط أنا يدى لأداعبه ، حتى ينزلق بعيدا ، غريبا ، ويبتعد

أصيح   « « سبارتاكوس » ! « سبارتاكوس » ! »

اننى أراه شاة سوداء صغيرة   تتضاءل   داخـــل وخارج هالات الفنارات المتتابعة   أصيح مرة أخرى   « سبارتاكوس » ! لا شىء تروك تروك   الآن لم أعد أراه

---

(١) وردت بالنص   **in carne ed ossa**   وهو تعبير معناه (باللحم والعظم) أى (شخصيا   **In persona**   ) أى (انه يطابق الأصل حتى فى المعالم الطبيعية والفيزيائية)   وهناك التعبير العربى المشهور والوارد فى الترجمة (بلحمه ودمه) وقد يكون اكثر دقة واكثر مناسبة فالمقصود هو اعادة الحياة (دمه) للرمز الحى   **vivo** من خلال ذلك الكلب المنصرم « سبارتاكوس » والمنصرمة أيامه

(٢) وردت بالنص   **Stagioni**   ومعناها (فصول السنة) وقد اســتبدلت بـ (أيام) فى الترجمة جريا على عادة الأسلوب العربى

١٦ ـ الجرى وراء الريح

كانت جنازة المرحوم « ايزيدورو متزاروبا » أستاذ الأدب فى المدرسة الثانوية (وهو مؤلف تحت الاسم المستعار « دوريس متزابا » لبعض المسرحيات الفكاهية العامية التى قدمتها فرق تمثيل اذاعة محلية وحققت نجاحا مشرفا) كانت الجنازة اذن تبدأ فى التحرك من المنزل رقم ٧١ بشارع « نيوتن » متجهة الى الكنيسة ـ وزملاؤه ، والناظر ، ومدير المنطقة ، والطلبة ، وممثل مدرسة « جان باتيستافيكو » بالعلم ـ عندما ظهر فجأة « فيديريكوبانيى » ، الكاتب الشهير حل هرج مفاجىء(١) تقدم نحوه اثنان أو ثلاثة من السادة فى زيهم الأسود « شكرا شكرا ، يامايسترو

(١) وردت بالنص fu un colpo di scena وهو اصطلاح معناه تغير مفاجىء
ومناعت فى مسار الحدث الدرامى
improvviso e sorprendente mutamento nel corso di una viconda dram. matica.

وهناك معنى مجازى وهو فى أحد قطاعات النشاط الانسانى
in un settore dell' attività umana.

وهكذا يمكن ترجمة هذا الاصطلاح ب (هرج مفاجىء) أو (كانت مفاجأة) ثم تترجم fu. وهو لفعل الكينونة مصرف فى الماضى البعيد pass. remoto بفعل (حل)

كم يكون «دورو» المسكين سعيدا لو عرف بمقدمكم(١) عفوا يا مايسترو ، ألا تريد سيادتك ؟ ونزع صديق حميم أحد أحبال بساط الرحمة من يد أحد الأقرباء الفقراء وقدمه فى حفاوة كبيرة الى الروائى وكأنه قطعة من الحلوى عندئذ قبض « بانيى » وقد ارتسم على وجهه تعبير حزين نبيل قبض على الحبل بيسراه المدثرة بقفاز من أرقى أنواع الجلود ، وسار كانت يمناه المتدلية بجانبه(٢) تمسك بحافة « الهامبورجية » (٣) السوداء المصنوعة فى انجلترا « الحمد لله » هكذا حدا به التفكير « على الأقل لن أتورط فى التحدث مع زمرة البلهاء تلك » ولم تكن جماعة الحزانى الصغيرة قد اصطفت من حوله بعد كانت الأنظار تتركز كلها عليه أدار « بانيى » عينيه المحزونتين حوله ببطء ، وهو يتذوق انتصاره الصغير واذا ما لاح أحد يعرفه ، فقد كان يدع ركن شفتيه ينم عن ظل ابتسامة غاية فى الرزانة والاكتئاب • بمعطفه الكحلى الغامق ومنديله الرمادى الكشمير وشعره الذى لم يزل كثيفا ويشوبه البياض عند السالفين وطوله المشسوق فرأسه فقط كان بالكاد بالكاد مطاطأ مجاراة للجو الحزين شعر أنه رجل وسيم فى زهرة العمر متدفق الطاقة بجواره تماما كانت مجموعة من أربع طالبات يتأملنه فى افتتان احداهن جميلة جدا ترتدى فراء الحمل وصلت الى حد التهامه بنظراتها بعينيه جاوبها بعمق رآها وقد احمر وجهها (٤) اغتبط فى قلبه ، « اقطع ذراعى » (٥) هكذا حدا به التفكير « ان لم تتصل هذه بى غدا فى التليفون »

---

(١) وردت بالنص **di laperlo** فبدلا من الضمير الشخصى **lo** لو وضعت الكلمة العائد عليها الضمير او المقصودة وهى (مقدمكم) أو (مقدم سيادتك)

(٢) وردت بالنص **abbandonata lungo il fianco** ومن غير المستطاع مجاراة للصياغة العربية ان تترجم كلمة **lungo** ب (طوال) ولذلك فقد حذفت فى الترجمة واكتفى بقول المتدلية بجانبه •

(٣) وردت بالنص **l'Homburg** وهى كلمة انجليزية (اسم مذكر **s.m.**) ومعناها اسم لنوع من أنواع قبعات الرجال وقد ترجمت قبل ذلك فى العربية ب (الهامبورجية)

(٤) وردت بالنص **la vide farsi rossa** اى (رآها وقد احمرت) وقد أضيفت فى الترجمة كلمة (وجهها)

(٥) وردت بالنص **mi mangio un mulo vivo** اى (التهم بغلا حيا) وهو تعبير يقصد به المراهنة أو التحدى وتقابله بالعربية أو بالأحرى بالعامية المصرية (أقطع ذراعى)

« لا اسمعى يا جيبى » هكذا قالت السيدة « لا يتيتيا تزاجيتى برين » لابنتها ثم أضافت « انك لن تذهبى الى حفل الاجتماعيه الراقص آسفة لكنك « يا جيبى » لن تذهبى لقد رتبت كل شيء يا أماه ! ستحضر كذلك « جابريللا » ، و « أندريينا » ، و « لو » وحتى « فابريتزيا » ستحضر نعم رغم أن أهلها غاية فى الصعوبة « سوف تذهب الأخريات للحفل ، أما أنت فستظلين تلك الليلة فى البيت كل انسان يتصرف بما يراه أفضل تصورى هذه السنة سوف يكون في الحفل وسط فظيع فى اختلاطه ، أتدرين من سيذهب أيضا ؟ « بوراكى » ، ومعها ابنتها ، صاحبة محل البقالة الموجو بأسفل « أف. لم تعد أيامنا تسمح بمثل هذه الأفكار المتخلفة · ثم انه حفل خيرى ، من أجل الأطفال ، ما عدت أعرف ماذا » أفكار متخلفة أم لا ، انك ابنتى، وللحفل لن تذهبى لو أن الهدف هو فعل الخير ، فان تبرعنا ما نستطيع دائما أن نقدمه لكن للحفل لن تذهبى تبالك ، هناك سبب أساسى يتعلق بالاعتبار انى فى عجب من عدم تفهمك له عندما يحمل الانسان اسما كاسمنا فقد يكون ذلك أمرا متعبا ربما ولكن هناك واجبات تفرض نفسها انها التقاليد ، يا عزيزتى ، مكانة البيت آه أعرف انها بالنسبة لك بلاهة ، أعلم أنه لو كان الأمر بيدك لانحدرنا الى مستوى ذوى اللحى (١) الوجودية ! تبا للوجودية ! بدلا من ذلك تأملى صورةجدك الأكبر المعلقة هناك على الحائط ! ياله من وجه يالها من هيبة لقد كان أولئك أناسا ! أوه الغرض ، للحفل لن تذهبى.

المحامى « سيرجو بريديكانتى » البالغ من العمر ٥٥ سنة (تخصص فى قضايا الغاء الزواج) يذهب الى الخياط انها البروفة (٢) الثانية لحلة كاملة من اللون الكحلى الغامق ذى خط أحمر رفيع جدا يكاد لا يرى فقد المحامى صبره ، واحتقن وجهه « نفس الشيء ، كنت أتوقع ذلك يا عزيزى « مارتزونى » ، لقد أوصيتك بشأنها مائة مرة ! الأكتاف الأكتاف ألا ترى كيف تنتفخ هنا من الخلف ؟ ألا ترى كم هو من حدب ؟ ألا ترى كم هو فظيع ؟ سيدى

---

(١) وردت بالنص barboni وهى تترجم بالمعنى الذى جاء بالترجمة انما المقصود به بالنسبة لأم تقليدية هم السوقة المتحررين

(٢) وردت بالنص la prova وهى الكلمة المستخدمة فى العامية بهذا المعنى ولهذا فقد تركت كما هى فى الترجمة على اعتبار أنها من الكلمات شائعة الاستعمال ذات المدلول الثابت

المحــامى (١) لا تغضب   سوف نعالجها حالا   انهــا شيء بسيط (ثم
استانف حديثه وهو يضع علامات بالطباشيرة) هكذا   هنا (٢)
هنا   حفة بسيطة بالمقص   حفة بسيطة وسيختفى الحدب   حفة
حفة ! انك يا عزيزى « مارتزونى »   تقول هكذا دائما ثم   أوه على
فكرة ، تذكر ، الأكمام بأربعة أزرة ، اربعة أوصيك ، سيكون من الأفضل
لو دونت ملاحظة   والعراوى ليست مســتعارة   بحيث يمكن فك
الأزرة الأربعــة كلهــا   هل اتفقنــا ؟ وليس كالمرة الأخيرة التى

قرب المساء ، عند حافة مكان حفظ السباخ ، يفرغ الفلاح « بييرو
سكاراباتى » سباخا من احدى العربات مستخدما مذراة كبيرة   يتوقف
لملاحظة القمص دون « أنســـيلمو »   الذى كان يقوم بنزهته   يراقبه
مبتسما ويقول   انك لحاذق يا « بييرو » ، انك تبــذل جهــدا كبيرا (٣)
هه ؟ أى جنس من العضلات لك ! يتوقف « بييرو »   ويضحك قائلا
آه نعم، لا أريد التباهى! لكن الم ترنى قداستك أبدا ، ايدون «أنسيلمو»؟
اننى شـــــهير   ألا تعرف ؟ شــــهير بأى شيء ؟ بما أفعله الآن   أنظر
قداستك ، أنظر نصف قنطار أرفعه بمذراة واحدة فقط   أنظر   كما
لو كانت مكرونة إسباجيتى   هيلا   هوب !   أرأيت ؟ على الأقل
ستون كيلو من السباخ بدفعة واحـــدة   لا بأس هه   آه ألم تكن
تعرف ذلك يا دون « انسيلمو » ؟   لا يوجد أى احد   أتعرف   فى

---

(١) وردت بالنص   **avvocato**   اى (يا محامى) وهى تدل على احترام التزى للمحامى   ولكى تعطى نفس التأثير فى العربية فلابد ان تسبقها كلمة سيدى او تستبدل بكلمة يا استاذ

(٢) وردت بالنص **là**   **là** وهى ظرف مكان **avverbio di luogo** **di terza persona** وتدل على مسافة بعيدة عن كل من المتحدث والمســـتمع اكثر بعدا من **lì** وتترجم **là** بهناك ·· **indica distanza da chi parla e da chi ascolta, più esteso di lì** بينما **lì** وهى ظروف مكان ايضا فهى على العكس لمسافة قريبة لكل من المتحدث والمستمع ومعناها هنا **di luogo relativamente vicino a chi parla e a chi ascolta** وربما تكون **lì** اى (هنا) هى الأنسب فى هذا المقام

(٣) وردت بالنص **c dal dentro**   وهو تعبير **espr**   معناه أنك تبذل جهدا كبيرا أو انك تداب فى العمل

نطاق كيلو مترات ، لا يوجد أى أحد ، ولا حتى من بين الكبــار (١) ، يعرف أن يفعل مثلى

الأستاذ « جوليلمو كاكوباردو » ، أستاذ القانون الادارى بالجامعة يفحص مع أحد زملائه ، « بروفات » طباعة المجلة الجديدة المسماه (٢) مجلة القانون العام ۰ لا ، لا أرجوك يا عزيزى « جاراتانا » اعطنى أنت اذن رأيا بلا هوى اننى أرى أن فى الأمر استهانة أنظر ، أنظر الى قائمة لجنة التحرير لقد اختلط اسمانا مع أسماء ناشئين حصلوا أول أمس فقط (٣) على الأستاذية (٤) ! حسب الترتيب الأبجدى حسب الترتيب الأبجدى ! نحن الذين لنا وراء كاهلينا ثلاثون سنة من التدريس أيبدو لك ذلك ممكنا ؟ لو كانوا على الأقل وضعوا أســمينا بحروف أكبر ، أو شيء من هذا القبيل ، صبرا ولكن هكذا أقسم أنهم فعلوا ذلك متعمدين ، دناءة بالتمام والكمال (٥) اننى أعرف تلك الأنماط من الوصوليين أوه اننى لا أقول ذلك من أجل نفسى انك تعرفنى يا « جاراتانا » ، قل لى أنت ان كنت قد تشــبثت أبدا بهــــذه الصغائر انما هو من أجل مبدأ(٦) العدالة من أجل مبدأ العدالة

---

(١) وردت بالنص **neanche dei vecchi** ومعناها (ولا حتى المعجائز) لكن (العجائز) بالعربية قد توحى بالضعيف الواهن على عكس المعنى المراد هنا (الناس القدماء الأقوياء)

(٢) وردت بالنص **quaderni** وهى جمع **quaderno** اسم مذكر **s.m.** ومعناها

(أ) كراسة (وهو المعنى المشهور)

(ب) دلالة على دورية تنشر على فترات غير منتظمة

Titolo di pubblicazioni senza regolare periodicita

لذلك فقد ترجمت بـ (مجلة)

(٣) اضيفت بالترجمة كلمة « فقط »

(٤) وردت بالنص **libera docenza** وهى شــهادة اتمام للدراســات العليا وما دمنا بصدد أكاديمى فاقرب ما يقابلها بالعربية درجات الأستاذية

(٥) وردت بالنص **una mas colozonata bello e buona**

وكان من غير الممكن أن تترجم بمعناها المباشر أي (دناءة جميلة وطيبة) بل بمعناها (دناءة كاملة وتامة) او شيء مثل هذا

(٦) وردت بالنص **Senso di guistizia** وكلمة **Sensa** هى اسم مذكر **S.m.** تعنى لى مجملها (الحس) أو (المعنى) أو (الاتجاه) ولعل المعنى المراد هنا هو (المبدأ)

ليس الا .. هذا المساء نفسه سوف أكتب لأولئك « التيكيلام تيكيلام » (١) ساحبا عضـويتى ثم ، من أجل هيبة الجـامعة ، أقول من أجل هيبة محراب الجامعة ، ألست من رأيى يا « جاراتانا » ؟

خفف بعض الشىء لون شعر «نسى سميديرلى» ذات التسعة والخمسين عاما (صاحبة شركة سـميديرلى ، كونز ، شركة مســاهمة للمعادن الحديدية) بقلق تنظر فى المرآة بينما يقوم الحلاق باللمسات الأخيرة صدقينى ، يا سيدتى ، لسيادتك شعر فريد ، شعر طيع المعالجة ! لكن اسمع يا « فلافيو » ألا يبـدو لك أنه فاتح بطريقة مبالغ فيهـا بعض الشىء(٢) ؟ لكى أكون صادقة معك فاننى أقول ، ان اللون (٣) البلاتينى لا يعنى بالنسبة لى شيئا على الاطلاق ماذا تقولين ، يا سيدتى ؟ اللون البلاتينى ؟ أتبغين المزاح أتمنى ذلك انما هذا هو اللون الأشقر المسمى « أركاديا » (٤) آخر صيحة فى المجتمع الراقى (٥) انها درجة من اللون يا سيدتى «سميديرلى» ضرورية بشكل مطلق لراس جميل كراسك على طريقة « مارلون براندو » لكنك ألا تعتقد ، يا « فلافيو » ، أن لون « روج » (٦) جميل أحمر كيف يصفونه نعم روج جميل طوبى ساخن ، ألا تعتقد يا عزيزى « فلافيو » ، انه يجعلنى أكثر شبابا ؟ ال « روج بريكتاج » (٧) تقولين ؟ أوه كلا لا بالتأكيد لا .. ربما يكون ذلك مناسبا لتسريحة على طريقة « جان دارك » ربما أقول ربما

---

(١) وردت بالنص bru bru وليس لها معنى سوى الاستخفاف بهؤلاء القوم والا فانه يمكننا أن نترجمها ب (الغوغاء)

(٢) وردت بالنص un pò troppo chiari اى (فاتح جدا بعض الشىء) وهو مالا يتناسب مع السياق العربى فقد يبدو الازدواج بين الكثرة والقلة واضح ولذلك فقد ترجمت العبارة ب (فاتح بطريقة مبالغ فيها بعض الشىء)

(٣) لم ترد كلمة (اللون) بالنص وقد أضيفت فى الترجمة

(٤) وردت بالنص biondo Arcadia ويقصد بها الشعر الأشقر الفاتح

(٥) وردت بالنص la cafè society وهو اصطلاح اجنبي يقصد به المجتمع الراقى

(٦) وردت بالنص بالفرنسـية rouge ويفضل ان تكتب كما هى دون ترجمتهـا ب (الأحمر) نظرا لدلالاتها ولا سيما فيما يتعلق بأدوات تجميل المرأة ، ولأنها ذكرت (أحمر) بالايطالية بعد ذلك فورا محددة المعنى

(١) وردت بالنص بالفرنسية rouge briquetage اى (الاحمر الطوبى) ويفضل ان تترك كما هى بنفس المنطوق لنفس السبب السابق ولا سيما أن معناها جاء بالايطالية قبل ذلك فورا وبالتالى بالعربية

أما بالنسبة لسيادتك فلا تأملى نفسك تأملى نفسك يا سيدتى « سميديرلى » ا انك تبدين كشاب ، شاب خطير من ســـان جيرمان ـ دى بيريبه أجاد أنت فيما تقول ، يا « فلافيو » ؟ « أوه يا سيدتى »

ذات مساء من أمســـيات الآحاد ، حل الصمت لحظة ، فى مقهى الرياضيين تقدم رجل قليل الحجم معوج القـــامة (١) ونحيف وسط الحشد الذى انفرج فى تبجيل لدى مروره · كان موضع اهتمام الجميع لكن من ذاك الأحدب الصغير ؟ ماذا ؟ ألا تعرف ؟ انه « بيينو ستراتزى » صديق « أتافانتى » ولأنه كان صديقا حميما ل « ماورو أتافانتى » قلب الهجوم الشهير فقد كان « ستراتزى » يتمتع فى هذه الأوســـاط بتقدير عظيم كان يجلس على منضدته (الخاصة) (٢) أربعة من الرجال الأشداء (٣) لهم مظهر البلطجية ميسورى الحال (كان ثلاثة منهم يرتدون

---

(١) وردت بالنص sbilenco وهى صفة agg. معناها

(أ) تطلق على الساقين الملتويتين المخلخلتين اللتين تميل احداهما فى اتجاه بينما تميل الأخرى فى اتجاه آخر ··

di gambe stor te che una va in qua e l'altra va in là

(ب) المعـــوج storto

(جـ) المائل لناحية دون الأخرى Penoclante da uno parte

(د) مشـــوه malfatto

(٢) وردت بالنص il «suo» tavolo وقد وضعت «suo» بين شولتين لتاكيد اهميتها ، و suo ضمير ملكية agg. poss. يقابله هنا بالعربية (الهاء) ولما كان من المتعذر وضع (الهاء) بين شولتين لأنها تكون جزءا من الكلمة ، فقد أضيفت فى الترجمة كلمة (الخاصة) وان ذلك ليذكرنا بنفس الحالة التى جاءت فى قصة ليلة شـــتاء فى فلاديلفيا (ص ١٥٦ ملحوظة (١))

(٣) وردت بالنص quattro pezzi d'uomini وكلمة pezzi جمع لكلمة pezzo وهى اسم مذكر s.m. ومعناها

(أ) جزء من كل أو شىء منزوع من كل أكبر Parte di un tutto o staccato da un tutto.

(ب) عنصر من حركة ميكانيكية elemento di un meccanismo

(جـ) مقطوعة من عمل موسيقى او أدبى brano di un' opera letteraria o musicale.

(د) اصطلاح عسكرى كل سلاح من أسلحة النيران T. mil. ogni grossa arma da fouco.

ولها معان مجازية

(أ) pezzo grosso اى شخص ذو سلطة او عات persona autorevole, potente

(ب) da un pezzo اى منذ وقت كبير da molto tempo

معاطف فاتحة من صوف الجمل) نهض رباعتهم وهم يبتســمون تو
رؤيتهم ل « ستراتزى » جلس الرجل النحيل دون أن يقوم حتى
بمجرد الشكر كان شــاحبا لأقصى درجة من الغضــب ضيق حوالى
عشرين رجلا الحلقة من حوله ، وهم تواقون للأخبار وسط مجموعة من
أصوات التعجب ، والتساؤل ، انبرى صوت « ستراتزى » الحاد الأبح
آه ، ولكنه لن ينهيها هكذا ! ما كان ينقص الا هذا ! (فمنذ ثلاث ساعات
أوقف « أتافانتى » أثناء مباراة حاسمة بســبب ما فعله ضد الحكم)
ماذا ؟ ولكنه لم يلمسه مجرد اللمسة ! ولكن اذا كان الجميع قد رأوه ··
اوه أننى لا أستطيع التنفس هنا ، افسحوا المكان أيها القوم الطيبون
ماذا قال « ماورو » ؟ لقد كان يبكى الشاب المسكين ! كان الرجل
يتحمس فى برود ، منتشيا بالشعبية بحث نادل عن منفذ رافعــا
الصينية فوق الرؤوس المتجمعة « أتسمع ؟ المشروب البونش » للفارس
« ستراتزى » ! انفرجت فورا فتحة وسط الحشد · أوه شاطر ياعزيزى
« جاكومو » هكذا قال « ستراتزى » وهو يصعد الكوميديا لأقصى الحدود
لم يزل يوجد على الأقل من يتذكر « بيينو » المسكين ! ضــحك أحدهم
قائلا « يا له من خفيف الظل ! » ثم انبرى الصوت المبحوح (١) قال
لى « ماورو » ·· ان ماورو » يعرف ما ·· لو أن « ماورو » أعارنى انتباهه
لقد أقسم لى « ماورو » أن

أو هل تعرفين ، يا « جوزيفه » ، على من تعرفت فى «بروتشيدار» ؟
الكونتيسة « ليزاسكوارتشا » انها ابنة عمك أليس كذلك ؟ بدت جوزيفه
سكوارتشا الجميلة كثعبان هرسوا ذيله « ليزاسكوارتشا » ابنة عمى ؟
« انك تعرفينها أليس كذلك ؟ » ربما ذات مرة لكننــا فضــلنا
دائما أن نكون بعيدين عن أولئك الموتى من الجوع « لكنها ابنة عمك
أم لا ؟ » « ولا فى الخيال لا بد أنها من فرع جانبى ، جانبى جدا ثم
أنها لم تكن أبدا كونتيسة » · « لكن الجميع كانوا ينادونها بالكونتيسة

= (ج) un pezzo d'uomó اى شخص ثابت وقوى .persona ben plantata
(د) pezzo d'asino أى ممعن فى الجهل grande ignorante
(هـ) essere tutto d'un pezzo اى امين جدا أو ذو شخصية ثابتة
او شخص لا تناقض فى كلماته او فى افعاله
integerrimo, di carattere fermo; coerente.
وهكذا فيمكن ترجمة العبارة (أربعة من الرجال الأشداء)
(١) وردت بالنص voce chioccia ومعناه الصوت المميز للدجاجة التى ترقد
على بيضها

وزوجها يحمل التاج الموشى على » « اعملى معروف ! ان اللقب يخصنا نحن فقط ان « ماسيمو » يعرف سلسال العائلة كما تعلمين »
« ومع ذلك يا عزيزتى « جوزيفه » « أؤكد لك أن » « يكفى هذا أرجوك ، يا لاورا ، اغفرى لى صراحتى ، لكننى لا أستطيع أن اقبل أن يستغل فلاحون نعم فلاحـــون تشابـــه الأسماء من أجـــل ليزاسكوارنشا » الكونتيسه ! هاه ! هاه ! » وانفجرت فى ضحكة هستيرية « اعذرينى يا عزيزتى لم أكن أعتقد » « اعذرينى أنت بالأحرى لو أن الزمام كان قد أفلت منى بعض الشىء لكن هذا الموضوع يثير فى »

ذهب العمدة لزيارة أجهزة التعداد السكانى الحديثة كان رئيس القسم المحاسب « كلاوديو فيتشســيدومينى » فى المعطف الأبيض يشرح أعاجيب الأرشيف الالكترونى حديث التركيب كانوا أمام لوحة كبيرة مليئة بالروافع والأزرة قال « فيتشيدومينى » « هذه الآلة تنفذ فى ثلاث ثوان العمل الذى كان يقوم به فيما قبل عشرة أو أحد عشر موظفا على امتداد ست ساعات ها هى ذى على سبيل المثال يا سيدى العمدة جرب سيادتك أن تختار أى يوم من أية سنة » « آه لا أدرى ١٦ يونيو ١٦ يونيو ١٩٥٧ » « حسن جدا ليس على الا أن أضغط على بعض الأزرة والآن واحد اثنين ثلاثة » سمع صوت « طنطنة ، وثب شىء ما داخل جوف الآلة الغامض ثم فى نفحة هبطت بهدوء بطاقة من الورق المقوى فى احدى السلال ها هى »(١) هكذا قال « فيتشيدومينى » فى زهو « ها هى بيانات الحالة المدنية لذاك اليوم على أحد الجوانب المواليد ساعة بساعة وعلى الآخر الوفيات » تناول العمدة البطاقة فى يده مجامـــلا فى شرود ومن خلال عدسات النظارة انزلقت على الأمـــوات « كوتسى لاتيبتيا من تراجيتى برين » « بريديكانتى سيرجو » « سكاراباتى

(١) وردت بالنص voilà بالفرنسيه

بيترو » ، « كاكوباردو جوليبليمو » ،« ألفونسى ايرنيستا من سميديرلى»
« ستراتزى جوزيبى » « بانيى فيديريكو » « باسالاكوا اليزا من
سكوارتشا » « بانيى » « بانيى » « همهم العمدة وكأنه
يبحث فى ذاكرته عن شىء ما « بانيى فيديريكو » لا يبدو لى هذا
الاسم غريبا هيه .

« عجيبة أليس كذلك ؟ » هكذا سأله « فيتشيدومينى » « عجيبة
بالتأكيد » هكذا أكد له العمدة والآن من هنا ، لو سمحت ، يا سيدى
العمدة فلنذهب لزيارة مكتبة البطاقات لو سمحت لى أن أدلكم على
الطريق والتفت مبتسما لاحدى الموظفات « يا آنسة « اليدى »
أرجوك أن تتذكرى اطفاء النور »

١٧ ـ الاحتياطات غير المجدية

ضد الاحتيال :

دخل « ليوبوسى » المندوب المتجول والبالغ من العمر ثلاثين عاما ، الفرع رقم ٧ لبنك « كريديتو ناتسيونالى » ليصرف شيكا دوريا بمبلغ ٤٠٠ ليرة (أربعة آلاف) .

لم تكن هناك شبابيك ولكن حاجزا طويلا يعمل الموظفون خلفه

« تحت أمرك ؟ (١) » سأله واحد منهم بأدب

« لدى شيك لأصرفه »

« عفوا » هكذا قال له الموظف وأخذ الورقة فى يده ، وفحصها من قبل ومن دبر ثم قال « تفضل هنالك ، عند زميلى »

كان زميله رجلا فى الخمسينيات تأمل الشيك طويلا وهو يقلبه

(١) وردت بالنص? desidera وترجمتها المباشرة (ماذا ترغب سيادتك ؟) او (ما هى رغبتكم ؟) وقد جاء بعد ذلك (أنه سأله بأدب) فربما تكون عبارة (تحت امرك) أكثر استقامة مع صيغة الأدب هذه

من ناحية لأخرى ، تنحنح ، رفع عينيه من فوق النظارة متفحصـــا وجه العميل ، نظر مرة أخرى للشيك ، نظر من جديد ل « بوسى » كما لو كان يبحث عن تشابه بينهما (١) ، وأخيرا سأله « هل لدى سيادتك حساب جار هنا ؟ »

« لا » هكذا أجابه

« وثائق تحقيق الشخصية ؟ » .

أبرز « بوتى » جواز السفر أخذه الموظف حمله الى منضدته ، جلس تصفح الجواز مراجعا اياه ، بدأ فى أخذ البيانات ، مسجلا ، على احدى الاستمارات الاسم والرقم وتاريخ الاصدار الى آخره ولكنه عند نقطة بعينها توقف وهو يصلح من وضع نظارته ، وهمهم ببعض الكلمات

« أهناك شيء غير مضبوط ؟ » هكذا قال « بوسى » وقد أحس من طرف خفى أنهم يخلطون بينه وبين رجل من رجال العصابات

أما ذلك فقال ببسمة غامضة « أبدا ، أبدا » وبينما كان يقول ذلك ، توجه وجواز السفر فى يده ، ليستشير المدير ، الذى كان جالسا فى آخر القاعة خلف منضدة أكبر (٢)

تهامس الاثنان وهما يرفعان عيونهما من آن لآخر ليتفحصا وجه المندوب المتجول أخيرا ، عاد الموظف .

سأله « أهى أول مرة تأتى فيها لهذا البنك ؟ » .

« نعم ، أول مرة ولكن هل هناك مصاعب معينة ؟ » .

« أبدا ، أبدا » . هكذا كرر له الموظف القول مجددا البسمة . وملأ استمارة الصرف ، وأعطاها له كى يوقع عليها ، ثم أخذ الاستمارة ، فتح من جديد جواز السفر ، راجع تطابق الامضائين . وهنا تملكه ، بوضوح ،

---

(١) وردت بالنص quasi cercando una corrispondenza
ولم ترد عبارة fra tutti e due ولكنها أضيفت فى الترجمة (بينهما)

(٢) وردت بالنص
il direttore che stava in fondo a un tavolo piu grande
وقد أضيفت عبارة (الذى كان جالسا) ثم اضيفت كلمة القاعة حتى تستقيم مع الصياغة العربية ولا سيما أنه ورد بعد ذاك أنه على منضدة . وبذلك فكأن النص قد أصبح
Il directtore che stava seduto in fondo.

شك جديد وللمرة الثانية ذهب ليستشير المدير من خلف الحاجز لم يستطع « بوسى » أن يلتقط الكلمات في تلك الأثناء أخذ يفكر («يا لها من مواويل من أجل ٤٠٠٠ ليرة ماذا لو كانت مائة ألف ليرة؟»)٠

عندما أراد الله ، عاد الموظف الى الحاجز ولسان حاله يقول انه يائس لأنه لا يجد أسبابا أخرى يوسع بها تحقيقاته « ها قد تم ، تفضل الى الخزينة » ٠ وأعطاه ، مع جواز السفر ، كعبا مرقما

عندما حل دوره في الخزينة ، سلم « بوسى » الكعب أخذ الصراف وكان رجلا بدينا له هيبته ، يتحسس الشيك بعناية وقارنه بكعبه ، ونظر الى « بوسى » ثم الى الشيك مرة أخرى ، كما لو كان هو أيضا يبحث عن تشابه خفى بين ورقة البنك وبين الرجل أخيرا ثقب الورقة بخاتم ثاقب ، ثم عاود تأملها ، ووضعها الى جانبه فى أحد الأدراج ٠ وبعد ذلك استخرج أوراق البنكنوت ، بمهابة كهنوتية ، وبخبطة مميزة جعلها « تقرقع » بين أصابعه واحد ، اثنين ، ثلاثة ؛ أربعة ورقات فئة ١٠ر٠٠٠ (عشرة آلاف) ليرة وناولها للعميل

« أنطونيو لانشيللوتى » ، موظف كبير بالدولة ورجل حذر جدا ، يقابل فى الوزارة « موديكا » نائب المراقب ، وهو مرءوس له ، لكنه رجل يعمل له ألف حساب (١) فله شهرته بأنه من العيون (٢) سأله بغباء لمجرد المداعبة قائلا « عزيزى موديكا » ما هى آخر الأنباء ؟ ما هى آخر الأنباء ؟ فقال له «موديكا » وهو يهز رأسه هيه ، الأفضل ألا تكون لنا آذان ، صدقنى ان العمل الكبير الذى يؤدى هنا فى الوزارة هو نحل الفروة (٣) ! « وضحك لانشيللوتى فى متعة » فروة من ؟ فروة

---

(١) وردت بالنص uomo da tener in conto وقد ترجم هذا التعبير بما يحمل روح التعبير العامى (رجل يعمل له الف حساب) وقد زيدت كلمة الف والا فانه يمكن ترجمة العبارة هكذا : (رجل يخشى جانبه) أو (رجل مهيب) أو (رجل يحذر الجميع) أو شىء من هذا القبيل وانما المقصود أن له نفوذ أكثر مما يؤهله له منصبه وقد يكون تعبير « مركز قوة » كذلك يؤدى هذا المعنى من قريب أو من بعيد

(٢) وردت بالنص spione وهو اسم مذكر .s.m معناه الشخص الذى ينبرى بطريقة كريهة فى كشف او ابلاغ نقائص وتفريط الآخرين الى من بيده سلطة العقاب ٠٠
persona odiosamente zelante nel segnalare mancaza e negligenze altrui
وان كان البعض يعرفه بالجاسوس spia ولكنه هنا جاسوس من نوع خاص يمكن ان نطلق عليه كلمة (عين) ٠

(٣) وردت بالنص di tagliare i panni addosso وهو تعبير يفيد ، اغتياب شخص ما ٠ وهناك التعبير الدارج الذى يماثله وهو ما جاء بالترجمة بالاصل

الجميع يا صاحب السـعادة والاحترام فروة الجميع حتى أكثر الأشخاص أمانة وهيبة وفروتك أنت أيضا يا عزيزى « موديكا » ؟
طبعا ! طبعا ! ولكن صبرا اذا ما اغتابونى فأنا من سقط المتاع (١)
لكنـهم يغتابون سـيادتك أيضـا لو كان على أن أكون صريحا !
يغتابوننى أنا أيضا ؟ هكذا قال « لانشيللوتى » قلقا : وماذا يقولون عنى ؟
لا تشغل بالك ، بالله عليك ، انها كلها افتراءات بائسة افتراءات ؟ ولماذا اذن ؟ أتريد سيادتك أن تعرف الأمور بكاملها ؟ لا ، لا الأفضل الا تعكر دمك ! أصبح صاحب السعادة « لانشـيللوتى » على أحر من الجمر « هيا يا عزيزى » موديكا ، فمن حقى أن أعرف !

بعد مزيد من الالحاح أقر « موديكا » قائلا أتعلم سيادتك الى أى مدى بلغت جراتهم فى التلميح ؟ أتعلم بماذا ؟ ان سيادتك همزة(٢) انك تغتاب بطريقة منتظمة رئيسنا الكبير ، المارشال « بالتاتزانو » ، انك
أنا ؟ أنا ؟ أنا الذى على استعداد أن أبذل حياتى فداء « بالتاتزانو » !
أنا الذى أقرأ كل مساء ، قبل أن أنام ، بضع فقرات من مؤلفاته ! ينظر « موديكا » اليه ويقول « حسن ، تعرف ماذا أقول لك ؟ حتى ولو !
حتى ولو ماذا ؟ حتى ولو كان حقيقيا أنك تقول على « بالتاتزانو » أنه مغفل هيا ، هيا فلنكن صرحاء ، يا صاحب السـعادة والاحترام فلنقلها فيما بيننا (٣) ألم يعترك انطباع بأنه منذ بعض الوقت وصاحبنا

---

(١) وردت بالنص l'ultima ruota del carro وهو تعبير معناه الذى يحتل مكانا ثانويا او هامشيا تماما ..
che sta occupando una posizione per tutto à marginale.
وقد يكون التعبير العربى الشهير (من سقط المتاع) هو الأقرب لهذا التعبير الايطالى

(٢) وردت بالنص mormoratore وهى اسم مذكر S.m. ومعناها هماس بالنقد فى غير الأوان insistere suggeritore di motivi di protista inopportuni o intepestivi
والكلمة العربية المناسبة لذلك هى (همزة) بضم الهاء وفتح الميم او هى (نمام) بتشديد الميم الأولى ، وهى أقل من (همزة) فى دقة المعنى
(٣) وردت بالنص بالفرنسية inter nos ومعناها
(فيما بيننا) fra noi او (وحدنا) a quattro occhi او (سويا) insiemi
أو شىء من هذا القبيل وربما يكون من الأفضل أن نذكر معنى التعبير بالعربية ولا نذكره بلفرنسية لاختلاف حروف الأبجدية العربية عن اللاتينية حتى وأن لم تشر الترجمة من طرف خفى كما أشار النص عن تشـدق أولئك الموظفين الذين يطعمون أحاديثهم من آن لآخر بكلمات أجنبية وقد استخدم Buzzati كثيرا من الكلمات الفرنسية بل والانجليزية فى كثير من قصصه وترجم منها هنا البعض مثل قصة الأصدقاء gli amici =

المارشال أصبح حسن ماذا أقول ؟ يعنى أنه لم يعد بعد هو لا أقول أصيب بالهبل انما أوه لا ، اطلاقا ! هكذا رد « لانشيللوتى » غاضبا وهو يفكر ها هو عامل الاثارة يظهر على السطح على العكس ! فلقد بدت لى أحاديثه الأخيرة ، أجمل من السابقة وأقوى أبلغ وأفصح وموقفه ذلك المناهض ـ دعنا نقول ذلك ـ لخطط الاصلاح التى وضعها الوزير « ايمنز » هه ، هه ؟ هل توافقه عليه ؟ وكيف لا أتفق معه ! فان المارشال هنا ورفع صوته كى يسمع ثلاثة موظفين كانوا مارين ان المارشال يظهر رؤية فذة للمصالح الحقيقية للبلاد ! ان « بالتاتزانو » العظيم لنسر ، يا عزيزى « موديكا » وبالمقارنة معه فان «امينز» ، لن أقول يعد عصفورا ، ولكنه تقريبا كذلك ! ان المارشال يا سيدى العزيز يعد أكثر العقول السياسية التى شاهدها هذا القرن اقتدارا تهادى الموظفون الثلاثة مقتربين وهم ينصتون فى اهتمام بالغ ثم يدنو أحدهم من « موديكا » ويقدم اليه جريدة بطرف عينه يلمح « لانشيللوتى » عنوانا كبيرا فيسأل مرتابا ماذا هناك ؟ أبدا ، أبدا لا ، دعنى أرى

على الصفحة الأولى بكاملها مكتوب « قرار اتحاد الأمة » وكتب بأسفل « بالتاتزانو » يترك السلطة لخلافات منهجية ـ القبض عليه يحبط محاولة هربه للخارج ـ اعلان « امينز » رئيسا جديدا للمجلس

يشعر « لانشيللوتى » بأنه يهوى يترنح بالكاد وجد نفسا يسأل به « ولكنك ، لكنك ، يا « موديكا » أكنت تعرف ؟

أنا ؟ هكذا قال الآخر بابتسامة شيطانية أنا ؟ لكنى أقسم لك ، انى مبهوت أسقط من فوق السحاب(١) !

ضد اللصوص

ومنذ أن وقعت فى المنطقة ثلاث حوادث سرقة ، والرعب من اللصوص يلاحق الثرى « فريتز مارتيللا » لم يعد يثق فى أحد ، لا فى أفراد أسرته ، ولا فى الخدم ، ولا فى الكلاب التى مازالت تقوم بالحراسة الجيدة أين

= او قصة الجرى وراء الريح la corsa dietr, il vento او قصة ليلة شتاء فى فلاديلفيا notte d'inverno a Filadelfia وغيرها .

(١) وردت بالنص casco dalle nuvole وترجمتها المباشرة (اسقط من السحاب) ومعناها ان المفاجاة قد اذهلته

يخبىء ذهب (١) وجواهر الأسرة ؟ ان البيت ليس بالمكان الأمين أما الصندوق المستخدم حتى الآن كخزانة فهو ضمان مضحك بعد تفكير طويل خرج من البيت ذات ليلة ، دون أن يقول شـيئا لأحد ، ومعه صندوق الكنز ومعول ذهب الى الغابة على حافة النهر حيث يحفر حفرة عميقة ويدفن فيها الصندوق

ولكن ، عند عودته للبيت يمعن فى التفكير كم أنا غبى ٠ كيف حدث أننى لم أفكر فى أن آثار حفر الأرض يمكن أن تثير الشـكوك ؟ صحيح أن أحدا لا يمر من هناك أبدا تقريبا ، ولكن من يدرى ، لو حضر أحد الصيادين ولاحظ آثار الحفر ؟ ولو أخذه الفضول ؟ ولو حاول أن يحفر هو أيضا ؟

هكذا أخذ يتقلب ويتقلب بين البطاطين وهو يقلب فكره دون أن يفلح فى أن يستأثر بالنعاس وفى تلك الأثناء ، عند مطلع الفجر يذهب ثلاثة قتلة الى الغابة عند حافة النهر باحثين عن مكان مناسب ليدفنوا فيه جثة الصائغ الذي هاجموه واغتالوه فى الشارع ، ولم يصدقوا بالمدة أنهم وجدوا حقيقة قطعة من الأرض حفرت تربتها حديثا ومن يدرى من الذى قام بحفرها ولأى سبب ٠ هنا بكل السرعة دفنوا الجثة

فى الليلة التالية ، يعـود الثرى الى الغابة ، والمعول على كتفه ليسترد صندوقه وقد أخذ منه القلق كل مأخذ سوف يجد فيما بعد مخبأ أكثر أمانا

وبينما هو يحفر اذ به يسمع همهمة فيستدير ، واذا باثنى عشر من المسلحين يتقدمون على ضوء المصابيح اليدوية يأمرونه « قف عندك »

يبقى « مارتيللا » متحجرا والمعول بيده

« ماذا تفعل فى هذه الساعة ؟ » سأله رئيس الحرس

« أنا ؟ أنـا أبدا أنا المالك اننى أحفر انى دفنت هنا صندوقا لى

---

(١) وردت بالنص i marenghi وهى جمع كلمة marengo اسم مذكر s.m وهى عملة ذهبية تساوى ٢٠ فرانك صكها نابوليون الاول فى تورينو فى ذكرى معركة المارينجو (سنة ١٨٠٠) ٠٠

Moneta d'oro del valore di 20 FRANCHI coniata da Napolione il primo a Tornio nella memoria della battaglia di Marengo (1800).

يقول الآخر متهكما آه هكذا ؟ ، أما نحن فنبحث عن ميت ، عن ميت ! ثم اننا نبحث عن القتلة •

« وما شأني أنا بالميت ؟ انى حضرت هنا أؤكدلك لأستعيد شيئا يخصنى »

« حسن ، حسن جدا ! » هكذا يهتف قائد مجموعة الجنود ثم يضيف هلم ، هيا ، أيها الرجل الطيب ، احفر احفر فلنر اذن ما سوف تستخرجه

ضد الحب

الآن وقد رحل ، ولن يعاود الظهور حيث انه اختفى ، انمحى من مسرح (١) الحياة تماما كما لو أنه مات ، لم يبق ، ل « ايرينى » ، الا أن تتزود بكل الشجاعة التى تستطيع أن تطلبها امرأة من الله وأن تقتلع كل الأغصان التى بها التصق ذلك الحب التعس فى أحشائها لقد كانت دائما فتاة قوية ، ولن تكون « ايرينى » هذه المرة بأقل

وقد كان ! أقل رعبا مما كانت تعتقد ، وأقل طولا لم تكد تمر أربعة أشهر وها هى قد تحررت كلية • أصبحت بعض الشىء أكثر نحافة ، أكثر شحوبا ، أكثر ضعفا ، ولكنها رشيقة بطلاوة ضعف النقاهة، التى تختلجها نبضات أوهام مبهمة جديدة • أوه لقد كانت شجاعة (٢) ،

---

(١) وردت بالنص quadrante della vita وكلمة quadrante هى اسم مذكر s.m. ومعناها

(أ) المربع فى المصطلحات الهندسية

(ب) الزوال

(جـ) آلة لقياس ارتفاع ووضع الأجرام السماوية

(د) ميناء او مسطح بيان الساعة

وهكذا فيمكن أن تترجم هذه العبارة بـ (مجال حياتها) أو (مسرح حياتها)

(٢) وردت بالنص è stata brava وهى هنا صفة agg. ومعني الكلمة

(أ) ذو خبرة فى نشاط من النشاطات esperto in qualche attività

أو حصيف abile او قدير (ذو مقدرة ذو طاقة) capace

(ب) ذو ميزات طيبة che ha buone qualità

أو ذو قلب طيب che ha buon cuore

او ذو امانة عالية che ha buon onestà

وقد يكون من الأفضل ترجمة كلمة brava هنا بـ (قديرة) او (شجاعة) او حتى (عظيمة)

بطلة كانت عرفت كيف تكون صارمة مع نفسها لقد رفضت باصرار كل اغواءات الذكريات ، التى لو تركت نفسها لها لشعرت رغم كل شيء بعذوبتها حطمت (١) كل ما تبقى منه بين يديها ، حتى وان كان دبوسا، حرقت الخطابات والصور ، ألقت بعيدا بالأثواب التى ارتدتها عندما كان هو التى ربما تركت عليها نظراته أثرا غير محسوس تخلصت من الكتب التى قرأها هو أيضا والتى وطدت معرفتها المشتركة رباطا خفيا بينما باعت الكلب الذى كان قد تعلم أن يتعرف عليه وكان يجرى لاستقباله عند باب الحديقة ، هجرت الصداقات التى ارتبطا بها معا بل وغيرت البيت فعلى حافة تلك المدفئة أسند كوعه فى احدى الأمسيات وفى ذات صباح انفتح ذلك الباب وخلفه ظهر هو لأن جرس الباب مازال يصدر نفس الرنين الذى كان يصدره عندما كان يحضر هو ، وفى كل حجرة كان يبدو لها أنها تتعرف على أثر غامض له وأيضا تعودت أن تفكر فى أشياء أخرى أن تنكب على عمل مضن به يجثم عليها نوم الأحجار عندما يعود الخطر مساء يهتاج أكثر تحفزا عرفت أشخاصا جددا انخرطت فى أوساط جديدة غيرت حتى لون شعرها

كل ذلك نجحت فى أن تقوم به ، بالتزام عنيد ، دون أن تترك ركنا أو شقا غير محصن ، تستطيع أن تتسرب منهما ذكرى لقد قامت بذلك. وشفيت ، الوقت الآن صباحا ، فى ثورب أزرق جميل بعثته الخياطة اليها لتوها « ايرينى » على وشك الخروج من البيت ، وبالخارج تسطع الشمس انها تشعر بصحتها بشبابها كلها مغتسلة من الداخل منتعشة كما كانت وهى فى السادسة عشرة أهى سعيدة حقا ؟ (٢) ربما (٣)

---

(١) ابتداء من هذا الفعل وطوال هذه الفقرة نجد أن الجمل التى تدل على فعل قامت البطلة به موضوعة فى صيغة المصدر وقد آثرنا أن نترجمها بالفعل الماضى

(٢) وردت بالنص addirittura وهى ظرف avv. ومعناها

ا ــ بشكل مطلق assolutamente او بالتاكيد senz' altro او مباشرة direttamente

ب ــ بصراحة francamente وقد ترجمت هنا ب (حقا) ولا سيما أنه سؤال استنكارى

(٣) وردت بالنص Quasi والمعنى فى مجمله تغطية فى العربية صفة الجواز وهنا يمكن أن تترجم ب (جائز) او (ربما) أو (تقريبا)

ارجو النظر فى ملحوظة forse فى قصة الطفل الطاغية ص ١٢٧ ملحوظة (١)

ولكن من بيت قريب تأتى موجة ضئيلة من الصوت أحدهم فتح المذياع أو يدير الحاكى ، ونافذة فتحت فتحت ثم اغلقت بسرعة

وكان كافيا ست أو سبع نوت ، ليس أكثر المقدمة الموسيقية للحن قديم أغنيته (١) هيا يا « ايرينى » الشجاعة ، لا تفقدى نفسك بسبب شىء بسيط كهذا الى العمل ، لا تتوقفى ، اضحكى ! لكن فراغا مريعا قد تكون داخل صدرها لقد حفر بالفعل هوة لأشهر وأشهر كان الحب ، هذه الادانة الغريبة ، يتظاهر بأنه قد نام ، تاركا « ايرينى » تنخدع والآن كان شىء تافه كافيا لأن يطلقه من جديد بالخارج تمر السيارات ، ويحيا الناس ولا أحد يدرى أن امرأة ، مستـــتلقية على الأرض بجوار باب المنزل كطفلة تعاقب ، تبكى فى ضياع وهى تفســد ثوبها الجـديد الجميل ، وهو بعيد لن يعود أبدا وكل ما فات كان غير ذى جدوى.

(١) وردت بالنص la sua canzone بصفة الملكية sua قد تعنى أنها اغنيته او اغنيتها على السواء وقد اخذ بالمعنى الأول حسب دلالة السياق

١٨ ـ رسالة حب

« انريكو روكو » ، فى الحادية والثلاثين ، مدير شركة تجارية ، واقع فى الحب ، يحبس نفسه فى مكتبه ، لقد أصبح تفكيره فيها مستبدا ومقلقا لدرجة جعلته يجد القوة فى نفسه فسوف يكتب لها رغم كل كبرياء وكل حرص

بدأ : « الآنسة المحترمة » وبمجرد أن تبادر الى ذهنه أن تلك العلامات التى يتركها القلم على الورق سوف تراها هى · بدأ قلبه يخفق بجنون · « أورنيلا » الرقيقة(١) ، يا بهجتى الغالية ، يا نورى ، يا نارى التى تحرقنى يا وجد ليلى يا ابتسامتى ، يا زهرتى الصغيرة ، يا حبى ··· » ·

دخل الساعى « ارميتى » : « معذرة يا سيد « روكو » يوجد بالخارج سيد جاء لسيادتك · انه (نظر فى بطاقة) يدعى « مانفريدينى »

(١) وردت بالنص gentile وهى صفة agg. من بين معانيها
أ ـ مؤدب ، مهذب ، لطيف cortess
ب ـ رقيق ، جميل fine, delicato, grazioso

« مانفريدينى » ؟ لم أسمع اسمه أبدا ثم أنا الآن ليس لـــدى وقيت ، لدى عمل عاجل جدا • فليعد غدا أو بعد ذلك »

« أعتقد يا سيد « روكو » ، أعتقد أنه الخياط لابد أنه جـاء من أجل « البروفة (١) » »

« آه « مانفريدينى » ! حسن ، قل له أن يعود غداء » •

« سمعا يا سيدى ، لكنه قال ان سيادتك الذى بعثت فى طلبه » •

« صحيح ، صحيح ••• (تنهد) دعه يأتى ، لكن قل لـــه أن يسرع ، ثانيتين لا أكثر(٢) »

دخل الخياط « مانفردينى » ومعه الحلـــة لم تكن « بروفة » بمعنى الكلمة لقد ارتدى السترة للحظات قلائل ثم خلعها مجـــرد الوقت اللازم لوضع علامتين أو ثلاث بالطباشير

« معذرة ، فبين يدى عمل عاجـــل جـــدا الى اللقـــاء ، يـــا « مانفردينى »

وبنهم آب الى المكتب وعاود الكتابة « يا روحا قدسية ، مخلوقتى، أين أنت فى هذه اللحظة ؟ ماذا تفعلين ؟ أفكر فيك بقوة من المحـــال معها ألا يصلك حبى حتى وأنت هكذا بعيدة ، حتى وأنت فى الجـانب الآخر من المدينة ، الذى يبدو لى جزيرة ضائعة • فيما وراء البحار ••• » (كان يفكر أثناء ذلك يا للعجب كيف يمكن تفسير هذا رجـــــل عملى(٣) مثلى ، مدير تجارى فجأة يشرع فى كتابة أشياء من هذا القبيل ؟ أهو ضرب من الجنون ؟)

فى تلك الأثناء بدأ « التليفون » فى الرنين الى جواره بدا كمـــا لو أن منشارا من الحديد البارد قد مر على ظهره فجأة همهم

« آلو ؟ » •

---

(١) انظر ص ٢٢٦ ملحوظة (٢) قصة الجرى وراء الريح

(٢) لم ترد فى النص كلمة لا أكثر وانما أضيفت فى الترجمة كى تتناسب العبارة مع الأسلوب العربى ، والا فان العبارة ستكون مبتورة لو انتهت عند كلمة (ثانيتين)

(٣) وردت بالنص uomo positivo ومعناها رجل ايجابى انما قد ترجمت (رجل عملى) مجاراة للسياق

« آلو وو (١) » هكذا قالت امرأة بمواء كسول ثم أضافت : « ما هذا الصوت الفظيع قل لى طلبتك فى وقت غـــير مناسب(٢) على ما يبدو » سأل هو « من يتكلم ؟ » « أوه انك غير معقول اليوم ، أنظر أن » « من يتكلم ؟ » « انتظر على الأقل لمـا » وضـــع بوق التليفون وقبض مرة أخرى على القلم

كتب « اسمعى يا حبى يوجد بالخارج الضباب الرطب البارد ، المحمل بالنفط والعادم لكن هل تعرفين أنى أحسده ؟ هل تعرفين انى اود لو فورا استبد ٠٠٠ »

درن التليفون ارتعد كما لو أن شحنة مائتى ألف فولت قد اصابته « آلو » « يا انريكو ! » كان الصوت نفسه الذى سمعه منذ قليل « لقد حضرت خصيصا الى المدينة لأحييك أنت »

ترنح من وقع الصدمة ٠ كانت « فرانكا » ، ابنة عمه ، فتاة طيبة ، وكذلك لطيفة منذ عدة شهور وهى تخطب وده من يدرى ما الذى يدور فى ذهنها ان السيدات مشهورات بأنهن يبنين روايات خيالية وبالتأكيد كان من غير الممكن أن يتخلص منها(٣) بطريقة مهذبة

لكنه صمد فهو مستعد لأى شيء فى سبيل أن يستكمل تلـك الرسالة انها الوسيلة الوحيدة لتهدئة النار التى تتأجج بداخله عندما كان يكتب لـ « أورنيلا » كان يبدو له أنه يدخل فى حياتهـــا بطريقة ما ، ربما تقرأها حتى النهاية ، ربما تبتسم ، ربما تطوى الرسالة فى حقيبة يدها ، ان الورقة التى كان يغطيها بجمل لا معنى لها ربمـــا

---

(١) وردت بالنص ciaoco وأصلها ciao وانما جاءت زيادة الحرف (ه) مرتين لاعطاء حقيقة صوت المواء magalio وقد استخدمت كلمة « آلو » لأنها تستعمل فى العربية أثناء المحادثات التليفونية وأصلها تحية كما أن الواو الواردة بآخرها تعطى فرصة لتاثير صوتى اذا طال يقترب من مواء القطة

(٢) وردت بالنص sono capitata male وهو تصريف من فعل capitare معناه يصل او يحدث بالصدفة والمعنى intr. وهو فعل لازم المراد هو أن (حلت فى غير وقتها)

(٣) وردت بالنص mandarla a quel paese وهو واحد من التعبيرات المقامة على فعل mandare وهو فعل متعد tr. ومن هذه التعبيرات : ومعناه (يعاد يصل فى التعبير الى الفظاظة ، أو انفصال بائن أو نهائى)
L'allontanamento può arrivare ad esprimere l'imposizione di un brusco, durevole o definitivo distacco.

تلامس خلال ساعات قليلة أشياءها الصغيرة الأنيقة المعطرة الرائعـــة ، تلامس قلم شفتيها ، تلامس منديلها المطرز ، تلامس حليها الغامضـــة المليئة بدواخل حياتها والآن ها هى « فرانكا » ، تلاحقه

سأله الصوت المتشدق « اسمع يا « انريكو » ، أتحب أن آتى لآخذك من المكتب ؟ » « لا لا ، اعفينى ، الآن لدى كومة أعمال » « أوه لا داعى للمجاملات ، لو أنى أسبب لك ضيقا ، فاعتبر (١) انى لم أقل شيئا ، مع السلامة » « ربى ، كيف فهمتنى ؟ أقول لك لدى عمل تعال فيما بعد » « فيما بعد متى ؟ » « تعال تعال بعـد ساعتين »

خبط البوق بعنف على حامله ابدا له أنه فقد وقتا لا يعوض فلابد للرسالة أن تبعث فى الواحدة ، والا وصلت اليها فى اليوم التالى • لا ، لا سوف يبعثها بالمستعجل

استأنف الكتابة « ••• أود لو استبدله بنفسى ، عندما أفكر أن الضباب يحيط بدارك ويتموج أمام غرفتك ولو كانت له عينان ـ من يعرف فربما الضباب أيضا يرى ـ فقد يستطيع أن يتأملك خـــلال النافذة أو لا تريدين أن يكون هناك شرخ صغير شق صغير جـدا من خلاله يدخل ؟ تدخل نفخة صغيرة ، ليس الا ، يدخل نفس رقيق(٢) ناعم لا يمكن لمسه فيهدهدك ؟ يكفى هذا القدر القليل للضباب ، يكفى هذا القدر القليل للحب ••• »

الساعى « ارميتى » على الباب « معذرة » « لقد سبق أن قلت لك ، لدى عمل عاجل ، أنا غير موجود لأى أحد ، قل لهم أن يعودوا هذا المســـاء » •

---

(١) لم ترد بالنص كلمة (فاعتبر) وقد اضيفت فى الترجمة لتوضيح المعنى وانما وردت sia التى يمكن التعبير عنها بهذه الكلمة

(٢) وردت بالنص un esile fiato di bambagia ، وكلمة bambagia هى اسم مؤنث s.f. تعنى فى الأساس نتف القطن ، ولكن هناك معنى مجازى فهى لفظة مقارنة على النعومة ، ورقة الحال impalpobit di paragone di morbidezza,

« لكن ... » « لكن ماذا ؟ » « الفارس (١) « أنفيرنيتسى » موجود بأسفل وهو ينتظر سيادتك فى السيارة » .

يا للعنة ، انه « انفيرنيتسى » ، انهـــا معاينة المخزن الذى نشبت فيه بداية حريق ، ومقابلة الخبراء ، يا للعنة فهو لم يفكر فيها ، لقـــد نسيها تماما   ولا شفاعة للقديسين (٢)

ان ذاك العذاب الذى يحرقه من الداخل ، والذى كان تمـــاما فى مستوى عظمة الصدر   قد وصل الى حد لا يطاق   هل يدعى المرض ؟ مستحيل   هل ينهى الرسالة هكذا على ما هى عليه ؟ ولكن ما زالت لديه أشياء كثيرة ليقولها ، أشياء كثيرة مهمة جـــدا   عندئذ أصـــابه الاحباط   فأغلق على الورقة أحد الأدراج   أخذ المعطف وخرج ، الحل الوحيد هو أن يحاول انجاز هذه المهمة بسرعة   فى نصف ســـاعة بعون الله ، ربما يستطيع أن يعود

عاد وكانت الساعة الواحدة الا الثلث   لاحظ ثلاثة أو أربعة رجال جالســين فى قاعــة الانتظار   اعتــدل وهو يلهث بالمكتب ، جلس الى المنضدة ، فتح الدرج ، الرسالة لم يعد لها وجود

فوضى دقات القلب كادت تسلبه أنفاسه   ترى من ذا الذى عبث بالمكتب ؟ أم تراه أخطأ ؟ فتح الأدراج الأخرى بعنف واحدا وراء واحد

الحمد لله   كان قد اختلط عليه الأمر ، لقد كانت الرسالة هناك ولكن ارسالها قبل الواحدة كان مستحيلا   لا بأس ـ وكانت الأفــكار (فى أمر بسيط وعادى كهذا) تتواكب فى رأســـه المضطرب ببدائل اللهفة والأمل المنهكة لا بأس ، لو بعثها مستعجلة فسوف تلحق بوقت

---

(١) وردت بالنص **il commandatore** وهى اسم مذكر **s.m.** ومعناه (درجة او رتبة فى نظم الفروسية ، تقع بين الفارس والضابط الكبير « أو فارس الصليب الاكبر »)
Grado degli ordini cavallereschi, intermedio tra il cavaliere e il grande ufficiale (o il cavaliere di gran croce)

وقد اختيرت كلمة الفارس لشمولها فى الترجمة والا فكان يمكن أن نترجمها ب (الكوماندور)

(٢) وردت بالنص **non c'erano santi** وتعبير **non c'è santo** هو تعبير شعبى يستخدم لتاكيد أو لابراز حتمية حدث ما والمقصود انه لا تنفع شفاعة القديسين فى هذا الحدث
espressione popolare usata per sottolineare l'inevitabilità di un fatto : non c'èsanti (she tengono).

توزيع المساء ، أو من الأفضل ، أن يعطيها لـ « ارميتى » لتوصيلها باليد ، لا لا ، الأفضل ألا يورط الساعى فى أحد الشئون الدقيقة ، سوف يحملها هو شخصيا

كتب « يكفى هـذا القدر البسيط للحب ليسحق الفضاء ويتخطى »

درن التليفون غاضبا دون أن يترك القلم قبض بيسراه على السوق

« آلو ؟ » « آلو ، هنا سكرتارية صاحب الفخامة » تراكى »

« تفضل تفضل » « بخصوص اذن الاستيراد الخاص بتوريد كابلات لـ »

تسمر انه عمل ضخم عليه يتعلق بمستقبله ! استغرقت المحادثة عشرين دقيقة

كتب « ويتخطى سور الصين العظيم أوه يا عزيزتى « أو رنـ » »

الساعى مرة أخرى على الباب استقبله بوحشية « أفهمت أم لا أننى لا أستطيع أن أستقبل أحدا ؟ » « لكن يوجد مفتـ » صرخ بوحشية « لا أحد ، لا أحد ! » « مفتش المالية وهو يقول أن معه موعدا »

أحس بقواه تخور أن ارجاع المفتش لهو ضرب من الجنون ، نوع من الانتحار ، الدمار استقبل المفتش

انها الواحدة وخمس وثلاثون دقيقة هناك توجد ابنة العم « فرانكا » التى تنتظر منذ ثلاثة أرباع الساعة ثم المهندس « ستولز » الذى جاء خصيصا من جنيف والمحامى « ميسوميتشى » لقضية عمال الشحن والتفريغ . والممرضة التى تحضر كل يوم لاعطائه الحقن

يكتب باهتياج الغريق الذى تتخبطه موجات البحر العاصف القاتلة والتى تتزايد علوا « أوه يا عزيزتى » أورنيلا »

التليفون : « هنا الفارس « ستاتزى » من وزارة التجارة »
التليفون « هنا سكرتير اتحاد النقابات ... » .

يكتب « أوه يا لذيذتى « أورنيلا » أود لو تعر

الساعى « أرميتى » على الباب يعلن عن مقدم(١) الدكتور « بى » نائب المحافظ

كتب لو تعرفين عنـ

التليفون « هنا رئيس الأركان العامة » التليفون « هنـا السكرتير الخاص لنيافة رئيس الأساقفة »

يكتب محموما بآخر نفس « عندما أر

درن ، درن ، التليفون « هنا الرئيس الأول لمحكمة الاستئناف »
آلو آلو ! « هنا المجلس الأعلى ، السيناتور « كورموران » شخصيا »
آلو ، آلو ! « هنا المساعد الأول لصاحب الجلالة الامبراطور » .

محمولا بعيدا مسحولا بالأمواج العاتيات(٢)

« آلو آلو ! نعم أنا شكرا لسعادتك أنا مدين لك تماما ! حالا حالا ، نعم يا سيدى الجنرال سأتخذ اللازم بدون شك وشكرا جزيلا آلو آلو ! مؤكد يا صاحب الجلالة بالتأكيد مع ولائى الفائق (القلم المهجور تدحرج ببطء حتى الحافة توقف لحظة فى توازن سقط رأسيا فانكسر سنه وهنا رقد) تفضل استرح ، يا سلام (٣) تقدم تقدم لا لو سمحتم لى ربما أفضل لو جلستم على « الفوتيه » فانه مريح أكثر ولكن ياله من شرف غير متوقع اطلاقا ، بالضبط أوه شكرا ، قهوة ، سيجارة ؟

كم استمرت الدوامة ؟ ساعات أيام أشهر آلاف السنين ؟ مع انسدال الليل وجد نفسه وحيدا ، أخيرا

---

(١) لم ترد كلمة (مقدم) بالنص لكنها اضيفت بالترجمة

(٢) وردت بالنص flutti) وهى جمع pl. للاسم المذكر plutto s.m. وهى الموجة العاتية onda agitota, cavallone.

(٣) وردت بالنص perbacco وهى كلمة تفيد القسم ويمكن ان تعرب عن التعجب والاندهاش والمباغتة
intrepretazionne. Esclamazion di meraviglisa, stupore, disappunto.
ويفيد كذلك المزاح schetzo وربما يكون التعبير العربى (يا سلام) أو (والله) هو الأقرب لكل ذلك .

لكن قبل أن يترك المكتب ، حاول أن ينظم قليلا جبل الحافظات ، العمليات ، المشروعات البروتوكولات ، المكدســـة على المكتب تحت الصف الهائل وجد ورقة خطاب مكتوبة باليد غير موضح عليهـــا اسم المرسل اليه • تعرف على خطه •

بشغف قرأ « يالها من تفاهات يالها من شطحات مضحكة من يدرى متى كتبتها ؟ تساءل وهو ينقب بلا جدوى فى ذكرياته ، بشعور من التبرم والضياع لم يجربه أبدا ومرر يده على شعره الذى صـــار رماديا » متى استطعت أن أكتب مثل هذه التفـــاهات ؟ ومن كانت « أورنيلا » هذه ؟ » •

١٩ ـ القديسون

لكل واحد من القديسين على امتداد الشاطىء منزل صغير بشرفة تطل على المحيط ، وذاك المحيط هو الله ٠

فى الصيف ، عندما يكون الجو حارا فانهم يغطسون ليترطبوا فى المياه المنعشة ، وتلك المياه هى الله

بمجرد ورود نبأ قرب حلول قديس جديد فان العمل يقوم على قدم وساق لتشييد منزل صغير بجوار المنازل الأخرى تكون بذلك صفا طويلا جدا على امتداد شاطىء البحر ، ولا ينقص فى الأرض الفضاء بكل تأكيد ٠

كذلك سان « جانشيللو » لدى وصوله الى المكان بعد التعيين ، وجد منزله الصغير مجهزا تماما كالآخرين بالأثاث بالبياضات بالأوانى الصينية ، وبعض الكتب الجيدة وكل شىء كانت احدى المنشآت الانيقة معلقة أيضا على الحائط لأن بالمنطقة كان يعيش ذباب كثير ، غير أنه ليس مزعجا

لم يكن « جانشيللو » قديسا صاخبا ، لقد عاش فى تواضع يعمل

فلاحا وبعد مماته فقط تذكره أحدهم وأدرك البركة التى كانت تملأ ذاك الرجل وتشع حوله لمدى ثلاثة أو أربعة أمتار على الأقل قام القمص دونما ثقة كبيرة فى الحقيقة ، بالخطوات الأولى لعملية اشهار القدسية(١) ومضت منذ ذلك الحين مائتا سنة تقريبا

لكن العملية تقدمت داخل أحضان الكنيسة الواسعة خطوة خطوة ، بلا عجلة كان أساقفة وبابوات يموتون الواحد تلو الآخر وينصب منهم الجديد ، وملف « جانشيللو » على كل حال يعبر من مكتب لآخر وحده تقريبا ، دائما لأعلى وأعلى كانت احدى نفحات البركة قد بقيت ملازمة بطريقة خفية لتلك الأوراق التى قد بهتت ولم يكن هناك من حبر الا ويدرك هذا وهو يقلبها هذا يفسر لماذا لم تترك المسألة للاهمال الى أن رفعت ذات صباح صورة الفلاح فى أطار من الأشعة الذهبية فى كنيسة القديس بطرس على ارتفاع كبير وأسفلها رنم الأب القديس شخصيا مزمور المجد ، رافعا « جانشيللو » لجلالة الهياكل

أقيمت احتفالات كبيرة فى بلده واعتقد أحد دارسى التاريخ المحلى أنه قد تعرف على البيت الذى ولد فيه « جانشيللو » ، وعاش ومات ، بيت تحول الى نوع من أنواع المتاحف القروية ولكن حيث ان أحدا لا يذكر شيئا عنه وأن كل أقربائه قد اندثروا ، فان شعبية القديس الجديد دامت لأيام قليلة جدا ومنذ زمن قديم كان قديس آخر قد علا شأنه فى ذلك البلد كشفيع لها ويدعى « ماركولينو » كان الحجاج يفدون حتى من النواحى البعيدة ليقبلوا تمثاله الشهير بمعجزاته وبجوار هيكل سان « ماركولينو » الفاخر المزدحم بالتقدمات (٢) وبالقناديل بنى هيكل « جانشيللو » الجديد • ولكن من كان ينتبه اليه ؟ من ذا الذى كان يركع ليصلى أمامه ؟ لقد كان ، شخصية شاحبة الى هذا الحد ، بعد مائتى سنة • ولم يكن به شىء يثير الخيال •

---

(١) وردت بالنص il processo di beatificazione
وهو قرار من رئيس الأساقفة يأذن فيه ان أحد خدم الله قد بجل الملا كموعود بالجنة بعد فحص ودراسة لهذا الغرض تعرض على المجمع المقدس للمذاهب
SACRA CONGREGAZIONE DEI RITI

(٢) وردت بالنص ex voto شىء يقدم كهدية لله (فى الحقبة المسيحية لله للعذراء ، لقديس) من أجل الفضل المتلقى أو ايفاء بوعد وتسمى ب (النذور) أى أن الكلمة تحمل معنى النذر وهو معروف وكذلك معنى الشىء المقدم نفسه (التقدمة)

على كل حال ، فان « جانشيللو » ، الذى لم يكن قد توقع كل هذا التكريم ، اعتكف في منزله الصغير ؛ وتأمل ، وهو جالس في الشمس بالشرفه في طوباوية المحيط الذى كان يتنسم هادئا عتيدا

الا أنه في الصباح التالى ، وقد استيقظ مبكرا رأى ساعيا في زيه الرسمى قد وصل على دراجة ، ودخل المنزل المجاور حاملا طردا ضخما ثم مر على المنزل المتاخم ليترك طردا آخر وهكذا فعل بكافة المنازل ، الى أن اختفى عن ناظرى « جانشيللو » ، أما له ، فلا شىء

ولما تكرر الحدث فى الأيام التالية كذلك ، أشار « جانشيللو » ، وقد دفعه الفضول ، للساعى أن يقترب وسأله « عفوا أى شىء تحمل كل صباح لكافة زملائى ولا تحمله الى ؟ » « انه البريد » هكذا أجابه الساعى وهو يرفع غطاء رأسه فى احترام « وأنا ساعى البريد »

« أى بريد ؟ ومن الذى يبعثه ؟ » مما جعل ساعى البريد يبتسم ويقوم باشارة وكأنه يعنى بها أولئك الذين فى الناحية الأخرى أولئك الذين هناك بأسفل أناس العالم القديم

فسأله سان « جانشيللو » الذى كان قد بدأ يفهم « شفاعات ؟ » « نعم شفاعات ، تضرعات ، طلبات من كل الأنواع » هكذا قال له ساعى البريد فى نغمة لا مبالية ، كما لو أنها كانت أمورا صغيرة ، حتى لا يحرج القديس الجديد

« أو يصل كل يوم منها هذا القدر الكبير ؟ »

كان ساعى البريد يود أن يقول أن ذلك كان على العكس موسما ميتا وأنه فى أيام الذروة كان يصل الى عشرة أضعاف أو عشرين ضعفا لكنه عندما فكر فى أن « جانشيللو » قد يتضايق ، تصرف قائلا « حسنا ، على حسب الأحوال ، الأمر نسبى » ثم وجد حجة للانسحاب

الأمر هو أن أحدا لم يكن ليلجأ الى سان « جانشيللو » اطلاقا كما لو لم يكن موجودا لا خطاب ولا أى قصاصة ورق ولا حتى بطاقة بريدية ، ولما كان يرى كل صباح هذه الطرود موجهة الى زملائه لم يكن ليحسدهم ، لأنه لم تكن لديه المقدرة على الأحاسيس السيئة وانما بكل تأكيد كان يشعر بالضيق من جراء تأنيبه لذاته أن يبقى هناك دون أن يقوم بفعل أى شىء بينما الآخرون ينجزون أعمالا كثيرة ؛ كان

على وجه العموم يتملكه شعور أنه يأكل خبز القديسين دون استحقاق (وقد كان خبزا خاصا ، أطيب قليلا من خبز المطوبين العاديين)
دفعه هذا الضيق ذات يوم أن يستطلع الأمر على مشارف واحد من أقرب المنازل الصغيرة تنبعث منه طقطقة عجيبة

« تفضل ، يا عزيزى ، ادخل ، هذا المقعد على قدر كبير من الوثارة. معذرة ان كنت أنتهى من اجراء أحد الأعمال الصغيرة ، ثم سأكون فورا عندك » هكذا قال له زميله فى محبة ثم عبر الى الحجرة المجاورة حيث أملى فى سرعة مذهلة على أحد كاتبى الاختزال حوالى اثنى عشر خطابا ، وأوامر خدمة مختلفة ؛ وكان السكرتير يتعجل كتابتها على الآلة ثم عاد بعد ذلك الى « جانشيللو » « هيه ، يا عزيزى ، اذا لم يكن هناك أقل قدر من التنظيم فان الأمر سيكون شاقا مع كل البريد الذى يرد لو أنك أتيت هناك فسوف أريك الفهرس الالكترونى الجديد الخاص بى وهو للبطاقات المثقوبة » عموما كان لطيفا معه جدا

لم يكن « جانشيللو » الذى عاد الى منزله أقرب الى الاحباط فى حاجة الى البطاقات المثقوبة بطبيعة الحال وأخذه التفكير « أيمكن الا يكون أحد فى حاجة الى ؟ وأنا أستطيع أن أكون نافعا ماذا لو أننى قمت مثلا بعمل معجزة صغيرة حتى أجذب الانتباه ؟ »

وما أن قال حتى فعل ، جال بخاطره أن يجعل عينى صورته الموجودة بكنيسة القرية تتحركان لم يكن هناك أبدا من أحد أمام هيكل سان « جانشيللو » ولكن بالمصادفة حدث أن « ميموتانشا » عبيط القرية كان يمر أمامه ، فرأى الصورة تدير عينيها وشرع فى الصباح بالمعجزة

وفى نفس الوقت هرول اثنان أو ثلاثة من القديسين الى «جانشيللو» بسرعة البرق المتاحة لهم بفضل مركزهم الاجتماعى وأفهموه فى دماثة كبيرة أن من الأفضل لو يكف عن ذلك لا لأن فى ذلك أى شىء من السوء انما هذه الأنواع من المعجزات بسبب عدم جدواها لا تحوز على رضا كبير لدى « المكان الأسمى » لقد قالوا له ذلك دون أى سوء نية ولكن من الجائز أنهم على شىء من الاندهاش من آخر القادمين ذاك الذى يقوم فى سرعة وبتلقائية كبرى بمعجزات تتطلب منهم جهدا جهيدا

كف سان « جانشيللو » طبعا وهناك فى القرية فحص الناس ، الذين جذبهم هتاف العبيط ، فحصوا الصورة مليا دون أن يلحظوا بها شيئا غير

عادى . ولذلك فقد عادوا أدراجهم قانطين وكان « ميموتانشا » على وشك أن ينال من ضربات العصى الكثير

عندئذ فكر سان « جانشيللو » فى أن يجذب انتباه البشر بمعجزة أقل شأنا وأكثر شاعرية (١) فجعل وردة رائعة جميلة تتفتح فى حجر مقبرته القديمة التى كانت قد جددت بمناسبة اعلان القدسية والتى أصبحت الآن مهجورة من جديد ولكن كان قدره هو ألا ينجح فى أن يفصح عن نفسه ، فبمجرد أن رأى قس المقابر ذلك أسرع الى اللحاد ورفعه رفعا : « على الأقل تستطيع أن تعير اهتمامك لمقبرة سان «جانشيللو» أليس كذلك ؟ انه لعار ، أيها التنبل فلست سوى ذلك لقد مررت عليها

---

(١) وردت بالنص un miracolo più piccolo e poetico

وكلمة miracolo هى اسم مذكر .s.m وترجمتها (معجزة)

وكلمة piccolo هى صفة .agg وترجمتها (صغير) أو (قليل) او (زهيد) أو (طفيف) او (ضئيل) أو (يسير) وهذا ما يعنينا هنا

وكلمة poetico هى صفة .agg أيضا وترجمتها (شاعرى)

وقد أتت الصفتان مسبوقتان بكلمة وهذه الأخيرة هنا ظرف (فهى مقارنة « للاكثرية » على عكس « أقل » عندما تأتى أمام صفة)

(comparativo nel sistema di «molto», opposto «a meno», devanti ad aggettivo).

ولا يخفى هنا أن المقارنة معقودة بين هذه المعجزة التى نحن بصددها والمعجزة التى سبق أن قام بها

وهناك احتمالان

(الأول) ان يكون الظرف più مقصود به الصفة piccolo السابق لها مباشرة وفى هذه الحالة هناك أربعة بدائل متدرجة من مجرد التركيز على المعنى حتى الوصول الى الصياغة العربية الملائمة وهى

أ ـ معجزة صغيرة أكثر (من سابقتها) وشاعرية

ب ـ معجزة أكثر صغرا (من سابقتها) وشاعرية

جـ ـ معجزة أصغر شأنا (من سابقتها) وشاعرية

د ـ معجزة أقل شأنا (من سابقتها) وشاعرية

(الثانى) أن يكون الظرف più مقصود به الصفتين poetico, piccolo معا أى أن تكون المقارنة معقودة على كلتا الصفتين فى المعجزتين والبدائل الأربعة فى هذه الحالة هى

أ ـ معجزة صغيرة أكثر وشاعرية أكثر (من سابقتها)

ب ـ معجزة أكثر صغرا وأكثر شاعرية (من سابقتها)

جـ ـ معجزة أصغر شأنا وأكبر شاعرية (من سابقتها) .

د ـ معجزة أقل شأنا وأكثر شاعرية (من سابقتها)

وقد أخذ بالاحتمال الثانى فى الترجمة .

الأن ورأيتها كلها مليئة بالحشائش » وأسرع اللحاد لاقتلاع شجيرة الورد

ولكى يكون فى جانب الأمان لجأ « جانشيللو » أخيرا الى أكثر المعجزات تقليدية ولأول كفيف مر أمام هيكله رد البصر على الفور

حتى هذه المرة لم تأت له بنتيجة لأنه لم يرد على خاطر أحد أن الأعجوبة كانت من فعل « جانشيللو » لكنهم جميعا نسبوها الى سان ماركولينو » الذى كان هيكله بجواره تماما كان الحماس متأججا الى حد أنهم حملوا تمثال « ماركولينو » ، الذى يزن قنطارين ، على الأكتاف ، وساروا به فى موكب عبر شوارع القرية على دقات الأجراس ومكث هيكل سان « جانشيللو » منسيا وخاويا أكثر من أى وقت مضى

هنا قال « جانشيللو » لنفسه « الأفضل أن أستسلم ، واضح أن أحدا لا يريد أن يتذكرنى وجلس فى الشرفة ليتأمل المحيط الذى كان فى الواقع عزاء عظيما

كان هناك يتأمل الأمواج ، عندما سمع طرقا على الباب توك توك ذهب ليفتح • لم يكن سوى « ماركولينو » بشخصه يريد أن يبرر موقفه

كان « ماركولينو » واحدا من الرجالات الأجلاء فياضا ومليئا بالمرح « ماذا عساك أن تفعل يا عزيزى » جانشيللو » ؟ اننى شخصيا لا ذنب لى أتعلم لقد جئت ، لأننى لا أريدك أن تعتقد ذات مرة

« أو ترى ذلك ؟ » هكذا قال له « جانشيللو » ، ضاحكا هو الآخر وقد واسته كثيرا تلك الزيارة

« أترى ؟ » هكذا استطرد « ماركو لينو » « اننى شخصية فظيعة ومع ذلك يحاصروننى من الصباح حتى المساء وأنت أكثر منى قداسة بكثير ، ومع ذلك فالجميع يغفلونك لا بد أن تتذرع بالصبر يا أخى مع هذا العالم القذر » وكان يربت فى محبة على ظهر « جانشيللو » براحة يده •

« لكن لماذا لا تدخل ؟ عما قليل يســود الظلام ، ويبدأ الجو فى البرودة ، نستطيع أن نشعل النار وتبقى للعشاء » •

« بسرور ، بل بكل السرور » اجابه « ماركولينو »

دخلا ، قطعا قليلا من الخشب ، وأشعلا النار ، بشيء من الجهد في الحقيقة لأن الخشب كان مازال رطبا ولكن انفخ انفخ ، ارتفع أخيرا لهب جميل عندئذ وضع « جانشيللو » على النار ، اناء بالماء للحساء وفي انتظار أن يغلي ، جلس كلاهما على الأريكة يدفئان ركبتيهما ويتجاذبان أطراف الحديث في ود بدأ يخرج من المدفأة عمود رفيع من الدخان وكذلك كان ذاك الدخان هو الله ٠

٢٠ ـ الخبر

كان المايسترو « ارتورو ساراتشينو » (١) ، البالغ من العمر (٢) ٣٧ عاما ،وهو فى أوج الشهرة، يقود بمسرح «أرجينتينا» ، السيمفونية الثامنة (٣) لـ « برامز » من مقام لا الكبير ، عمل رقم ١٣٧ ، وكان قد بدا لتوه الحركة الاخيرة المجيدة « وسرعتها فرح بحمـــــاس » كان اذن

(١) يذكرنا هذا الاسم Arturo Saracino بقائد الأوركسترا العالمى الشهير ارتورو توسكانينى Arturo Toscanini وهكذا تبدأ القصة من أول كلمة فيها بالايحاء مباشرة بالجو الموسيقى ، وقد جاء بالترجمة كلمة (المايسترو) ولم تترجم (بقائد الأوركسترا) نظرا لانها كلمة رسخت فى الأذهان بمعناها ومدلولها لـــدى العامة ولدى المتخصصين عند العرب

(٢) لم ترد كلمتا (من العمر) فى الأصل انما أضيفتا فى الترجمة

(٣) لم يؤلف « يوهانز برامز » الا اربع سيمفونيات فقط اما ما الفه قبل ذلك فقد قطع مسوداته لعدم رضائه عنه

انظر بثينه فريد ، ١٠ من أساطين النغم دار المعارف بمصر القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ١٤٨ ١٨٤

ينساب نحو بداية عرض اللحن الأساسى، ذلك اللون من المنولوج الناعم(١) العنيـــد وللحقيقــة طويلا بعض الشيء ولكن به متجمع شحنة الالهـام العاتية التى ستنفجر عنها النهاية ، ومن يسمع لا يعرف ذلك امـــا « سارا تشينو » وكل عازفى الاوركسترا كانوا يعرفونه ولذلك فقد كانوا فى حالة استمتاع تهدهدهم موجات انغام آلات الكمان بتلك الوقفة(٢) التى تسبق المعجزة التى عما قليل سوف تســـحبهم ، من عازفين ، ومستمعين الى دوامة خلابة من المتعة

الى ان لاحظ هو ان الجمهور قد شرع فى هجرانه .

وهى أكثر التجارب فجيعة بالنسبة لقائد الأوركسترا أن تتلاشى مشاركة المستمع لاسباب لا تفسير لها وباعجوبة يدرك ذلك للتـو ، حينئذ يبدو الجو نفسه كما لو أصبح فراغا ، وأن الخيوط الخفية الممتدة بينه وبين الجمهور والتى تبلغ الفا او الفين أو ثلاثة آلاف والتى منها يستمد الحياة والقسوة والاود تتراخى أو تتلاشى الى الحد الذى يصبح فيه المايسترو وحيدا عاريا فى صحراء من الصقيع ليسحب وراءه بضنى جيشا لم يعد يؤمن به .

لكن منذ سنوات عشر على الأقل توقف عن الخوض فى تلك التجربة المريرة ، بل نسى ذكراها ايضا ولذلك فان الضربة كانت أكثر قوة ثم ان خيانة الجمهور هذه المرة كانت فجائية وصارمة الى درجة كافية لان تتركه هامدا بلا نفس

« مستحيل » هكذا حـــدا به التفكير ما من سبب يجعل الذنب

---

(١) وردت بالنص انها اذن الحركة الرابعة (الأخيرة) من السيمفونية التى تخيلها DINO BUZZATI وهى مصاغة فى قالب الروندو (أى اللحن وتنويعاته) فكأن اللحن يحادث ذاته فان كلمة monologo اسم مذكـر .s.m وتعنى فى الأصل (منظر درامى يظهر فيه الممثل أو يبقى وحده متكلما مع ذاته كما لو كان يفكر بصوت عال « مونولوج هاملت »)
Scena drammatica, in cui un attore compare o resta solo parlando come se pensasse ad alta voce.

(٢) وردت بالنص la vigilia وهى وقفة العيد او ليلة العيد

ذنبى هذه الليلة أشعر أننى فى أحسن حال (١) والاوركسترا يبدو كشاب فى العشرين ، لابد أن يكون هناك تعليل آخر .

بالفعل عندما ارهف السمع استطاع ان يتبين وسط الجمهور ، من وراء كتفيه ، ومن حوله ، ومن أعلى ، فحيح همس مكتوم (٢) وتناهى اليه صرير ضعيف من مقصورة على يمينه وبأقصى طرف عينه لمح فى قاعة المسرح شبحين أو ثلاثة (٣) تنسل تجاه أحد الأبواب الجانبية .

صه بعتو قالها أحدهم من الشرفة قارضا السكوت(٤) لكن الهدنة كانت قصيرة فبسرعة فائقة ، كتفاعل الغليان الذى لا يمكن

---

(١) وردت بالنص mi sento perfettamente in forma

وكلمة forma اسم مؤنث s.f. وتعنى شكل لشىء ما فيكفى لان نميزه خارجيا l'aspetto di un oggetto, sufficiente a caratterizzarlo esteriormente

وتعنى كذلك فيما تعنى نهيو كثير الطريقة المفروضة أو الملائمة لعمل ما Modo prescritto o conveniente relativo ad un atto.

وهذا هو المقصود هنا لا سيما أن جاء التعبير in modo مؤكدا على عمله أو مهمته atto كقائد للاوركسترا على أحسن وجه

(٢) وردت بالنص serpeggiare وهو فعل لازم intr. معناه فى الأصل (تعرج أو تلوى) والمعنى المجازى fig انتشر أو تخلل فى طريقة سريعة ومتوارية diffondersi o insinuarsi in modo rapido e coperto.

والفعل من كلمة serpe أى الثعبان ولذلك استخدم صوت الثعبان حتى نقترب من الصورة

(٣) وردت بالنص tre ombre in platea sgusciavano

والفعل sgusciare فعل متعد ولازم tr., intr. فهو كفعل متعد

يعنى (نزع قشرة الشىء) كفعل لازم يعنى

أ ــ خرج من قشرة البيضة

ب ــ انزلق لدى الامساك به .

جـ ــ فقد الشىء الممسوك على أرض زلقة

د ــ معنى مجازى يتخلص بفطنة او بحذر من مصيدة أو من موقف صعب sottraarsi accortamente a una cattura o a un insidia وربما يكون الفعل العربى (انسل) هو الأقرب لهذا المعنى المجازى

(٤) وردت بالنص qualcuno zitti وفعل zittire فعل لازم

ومعناه (طلب السكوت) أو (أمر به) وقد استخدم (صه) وهو اسم لفعل الأمر مبنى على السكون ومعناه اسكت وقد أوثر فى الترجمة استعمال اسم فعل الأمر هذا ، مع بعض التغيير فى بناء الجملة المترجمة عن النص ففى النص لم يأت الحديث مباشرا ، وانما رواه الكاتب ولم يأت اسم لفعل الأمر انما جاء الفعل فى الماضى .

ايقافه ، عادت الهمهمة ، مصحوبة بحفيف ، همهمات ؛ خطوات متلصصة أصوات احتكاكات(١) خفية تنقلات لمقاعد أبواب تفتح وتقفل

ما الذى كان يحدث ؟ فجأة عرف المايسترو « ساراتشينو » الأمر كما لو انه قد قرأه فى صفحة مطبوعة ، ربما بث المذياع منذ وقت قصير خبرا ما وأتى به الى المسرح أحد الذين وصلوا متأخرين لابد أن شيئا مخيفا قد وقع فى جزء ما من الارض وهو الآن يهوى فى طريقه نحـــو « روما » . اهى الحرب ؟ العدوان ؟ انذار بهجوم نـــووى ؟ كانت كل الاحتمالات المدمرة واردة فى تلك الايام ، وبينما هو يتسلل بين صفحات نوته « برامز » داهمه ألف تفكير مغموم وبائس

لو اندلعت الحرب فأين يبعث بذويه ؟ أهو الهروب الى الخارج ؟ وما العمل فى الفيلا التى بنيت لتوها والتى انفق كل مدخراته عليها ؟نعم بالنسبة للمهنة ، كان « ساراتشينو » محظوظا . ففى اى جزء من العالم - وبشهرته - فلن يموت قطعا من الجوع ثم ان الروس ضعاف (٢) بشكل ملحوظ أمام الفنانين ولكن فى هذه اللحظة تذكر بهلع أنه منـــذ سنتين مضتا كان قد تورط بشكل ما فى التوقيع مع كثير من المفكرين الآخرين على بيـــان مناهض للسوفييت وانه لمحض خيال ألا يبلغ زملاؤه ذلك الى سلطات الاحتـــلال لا ؛ ذ الافضـــل هو الهروب . وأمه وقد صارت عجوزا ؟ واخته الصغرى ؟ والكلاب ؟ كان يهوى فى بئر مـــن الرعب .

الخلاصة أن وصول خبر كارثة صاعقة كان أمرا لا يحتمل ظلا من شك وبالرغم من أبسط قواعد اللباقة التى يفرضها تقليـــد المسرح فإن الجمهور كان مستمرا فى القرار بشكل فاضح كلما كان يرفـــع « ساراتشينو » عينيه نحو المقصورات كان يلحظ ازدياد الاماكن الخالية

---

(١) وردت بالنص stropiccii وهو جمع لاسم مذكر s.m. الضوضاء او الحركة المقاومة attrito الناتجة عن احتكاك شىء ما على مسطح
Il rumore o l'attrito provocato dello strofinamento di qualcosa su una superficie.

(٢) وردت بالنص un debole hanno ، وكلمة debole هى فى الأصل صفة agg. ولكن يمكن ان تتحول لاسم agg. sostantivao كما حدث هنا فيصبح معناها (نقطـــة الضعف (punto di debolezza او هى (الميل الشعورى او العاطفى oggetto di diclinazione sentimentale

باستمرار واحدا واحدا كانوا ينصرفون النجاة (١) النقود، الزاد الهجرة السريعة، نما من دقيقة لاضاعتها تبا « لبرامز » . « جيناء » تبادر هذا الى ذهن « ساراتشينو » الذى كانت لا تزال امامه عشر دقائق كاملة من السيمفونية قبل أن يستطيع الحركة « جبان » للتو قالها لنفسه أيضا مقدرا الهلع الخسيس الذى تركه يستحوذ عليه

كان كل شيء بالفعل ينهار داخله وحوله . أصبحت اشارات العصا الصغيرة ميكانيكية تماما ولا تنقل شيئا اطلاقا الى الأوركسترا الذى لحظ بدوره الانهيار العام بشكل لا مناص منه عما قليل سوف يصلون الى النقطة الحاسمة فى السيمفونية ، الى الخلاص ، الى خبطة النجاح القوية . « جبان » كررها « ساراتشينو » وقد أصابه الاشمئزاز أكان الناس ينصرفون ؟ أكان الناس لا يعبأون به ولا بالموسيقى ، ولا « ببرامز » كى يجروا لينقذوا وجودهم « البائس ومع هذا ؟ .

فجأة فهم أن الخلاص ، وأن الطريق الوحيد للنجاة ، وأن المهرب الفريد والجدير بالنسبة له وبالنسبة لكل الآخرين كذلك أن يظل فى مكانه . الا يترك نفسه تنسحب خارجا ، ان يستمر فى عمله حتى النهاية انتابه غضب عندما فكر فيما كان يحدث فى الظلام خلف كتفيه ، والذى كان على وشك أن يحدث له هو الآخر

انتفض ، ورفع العصا الصغيرة وهو يرى أعضاء الأوركسترا بنظرة جسورة ومرحة ؛ وأعاد سريان الحياة بما يشبه المعجزة

أعلن انحدار تتابع لحنى من الكلارينيت أنهم كانوا الآن قريبين كان على وشك أن يبدأ الفاصل تلك اللمسة الوحشية التى بها تقفز السيمفونية الثامنة من السهول الوسطى نحو العلا بوثبات « برامز » المميزة ، وترتفع عموديا بتيارات عاصفة كالسحاب الى أن تشمخ منتصرة فى ضوء على .

هنا القى بكل ثقله فى حماس زاده الغضب حماسا . وبعد أن اهتز الاوركسترا من ارتعاشه ، فتذبذب بطريقة مرعبة لجزء من الثانية ، انبرى بعدها جامحا لا يقاوم

---

(١) وردت بالنص le pelle ومعناها الجلد وهناك تعبير بالايطالية هو salvarsi la pelle اى (انقذ جلده) ومعناه توخى السلامة والنجاة . وقد لخصه الكاتب هنا فى كلمة الجلد .

عندئذ سكت الطنين الهمهمات الخبطات التقلبات المستمرة والمتكررة ، الخطوات ، الذهاب والاياب سكتت كلها ، لم يتحرك احد ولم يعد أحد يخرج نفسا ، بقى الجميع متسمرين ، فما من خوف الآن بل خجل ، بينما من قصبات الابواق الفضية ، هناك في العلا كانت ترفرف الأعلام

فهـرس

الموضوع **الصفحة**

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٢٧٨/١٩٨٤

ISBN ـ ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ٠٤٢٦ ـ ٤